من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

صموئيل الأول



القمص تادرس يعقوب ملطى

من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

صموئيل الأول

القمص تادرس يعقوب ملطي

إسم الكتاب : صموئيل الأول .
إسم المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطى .
الناشر : كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج .
الجمع التصويرى : مركز الدلتا للجمع التصويرى ــ اسبورتنج ــ اسكندرية .
المطبعة : مطبعة الأنبا رويس ــ القاهرة .



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة فى سفر صموئيل الأول

تسميته :

سفرا صموئيل الأول والثانى فى الأصل العبرى سفر واحد يحمل اسم « صموئيل » ، ليس فقط لأن صموئيل يحتل الدور الرئيسى فى الجزء الأول من السفر ، وإنما أيضا لأنه هو أول من مسح ملوكاً لإسرائيل : شاول ، وداود ، وهو أول من قدم هذا النوع من الكتابة النبوية التاريخية بوحى الروح القدس ، كما قام بأدوار رئيسية أخرى وردت فى هذا السفر .

كلمة « صموئيل » ليس كما يظن البعض تعنى « سأل الله » ؛ معتمدين على العبارة : « ودعت اسمه صموئيل ، قائلة : لأنى من الرب سألته » ١ صم ١ : ٢٠ ؛ إنما تعنى « سمع الله » ، فإن كانت حنة قد قالت « من الرب سألته » إنما عنت أن « الله سمع سؤالها » . عبارة « سألت الله » أقرب إلى « شاول » منها إلى صموئيل[1] . ويرى البعض ان كلمة « صموئيل » تعنى « اسم الله » أو « اسمه إله »[2] .

قُسم السفر إلى اثنين فى الترجمة السبعينية لمجرد أسباب عملية ، إذ كانت هناك حاجة إلى استخدام درجين (لفتين rolls) عوض درج واحد . واعتبرتهما ضمن « أسفار المملكة » ، حيث ضمت الأسفار الحالية الأربعة (١ صم ، ٢ صم ، ١ مل ، ٢ مل) بكونها تحوى تاريخاً كاملاً لمملكتى إسرائيل ويهوذا . وقد اتبع القديس جيروم ذات التقسيم فى ترجمة الفولجاتا اللاتينية ، ودعاها « أسفار الملوك » Regum (١ مل ، ٢ مل ، ٣ مل ، ٤ مل)[3] ، عوض « أسفار المملكة » .

أُخذ بهذا التقسيم فى الكتاب المقدس العبرى فى القرن الرابع عشر ، وظهر فى الطبعة الثانية لدانيال بومبرج Danial Bomberg فى فينيسيا عام ١٥١٧ .

إذن جاءت التسمية الحالية « صموئيل الأول وصموئيل الثانى » عن العبرية ، مع استخدام التقسيم اليونانى .

كاتبهما :

بحسب التقليد اليهودى[٤] الذى تسلمته كنيسة العهد الجديد كاتب السفرين هما صموئيل النبى ــ رئيس مدرسة الأنبياء ومؤسسها ــ إلى ما قبل خبر نياحته وجاد وناثان لتكملة السفرين (١ أى ٢٩ : ٢٩ ، ٣٠) .

واضح أن مدرسة الأنبياء التى أسسها صموئيل النبى كانت مركز الثقافة اليهودية ، لذا احتفظت بسجلات خاصة بمعاملات الله مع شعبه ، كما يظهر من القول : « فكلم صموئيل الشعب بقضاء المملكة وكتبه فى السفر ووضعه أمام الرب » ١ صم ١٠ : ٢٥ . يشير ٢ أى ٩ : ٢٩ إلى ناثان النبى ومعه أنبياء آخرون كمصدر لتاريخ مُلك سليمان .

موضوعه :

١ــ إقامة مملكة فى الشعب ؛ يحوى تاريخ حوالى ١١٥ سنة من ميلاد صموئيل سنة ١١٧١ ق.م. إلى موت شاول .

لقد قدمت لنا الأصحاحات الستة الأولى صموئيل كنبى ومن الأصحاح السادس أبرز السفر دوره أيضاً كقاضٍ . أما صموئيل الثانى فيُبرز داود كملك لا منازع له ، يستولى على أورشليم ويقيمها مركزاً جديداً للعبادة بإحضار التابوت وإقامته فى المدينة (٢ صم ٥ــ٦) .

٢ــ بالنسبة لإقامة ملك لإسرائيل ، فقد كان الله نفسه ملكاً على الشعب ، هو يختار لهم القادة كأنبياء مثل موسى ، وصموئيل أو قضاة كجدعون وشمشون وصموئيل . ولكن لما زاغ الشعب والكهنة عن الحق حلّت بهم تأديبات الرب المتكررة فى سفر القضاة ، حتى متى شعروا بخطاياهم ورجعوا إلى الله بالتوبة يستجيب لهم ويرسل لهم قاضياً يخلصهم . بهذا لم تكن وظيفة القاضى رسمية تُسلم بالخلافة ولا مقصورة على سبط معين . وقد بلغ الانحطاط ذروته حتى ارتكب أبناء الكهنة والقضاة الشرور ، وصاروا عثرة للشعب مثل ابنى عالى الكاهن وأولاد صموئيل . شعر الشعب بما وصلوا إليه من انحطاط هم وقادتهم ،

ففكروا فى العلاج بأسلوب بشرى ، بإقامة ملك يدافع هو وأولاده عنهم .

إذ تحدث هذا السفر عن بدء إقامة ملوك لإسرائيل ، لذا نجده لأول مرة فى الكتاب المقدس يُلقب الله « رب الجنود » ١ : ٣ ، ليُذكر هذا اللقب بعد ذلك أكثر من ٢٨٠ مرة . وكأن الوحى قد أراد تأكيد أن الله هو الملك المهتم بشئون شعبه ومدبر أمورهم .

إذ تحدث السفر عن مسح الملوك ، لأول مرة أيضا نسمع فى الكتاب المقدس عن « مسيح الرب » : « الرب يدين أقاصى الأرض ويعطى عزاً لملكه ويرفع قرن مسيحه » ٢ : ١٠ . وقد دُعى الملوك مسحاء الرب بكونهم رمزاً للسيد المسيح الذى يملك على الصليب ، ويقيم ملكوته فى القلب . لهذا لا نعجب إن رأينا داود لا يمد يده بالشر ضد شاول بالرغم من رفض الله له ، ذلك لأنه مسيح الرب (١ صم ٢٦ : ١١) . هذا وقد صار داود نفسه رمزاً للملك المسيح الذى جاء من نسله حسب الجسد . لذا أكد العهد الجديد نسب ربنا يسوع المسيح لداود فى سلسلة الأنساب ، وأنه وُلد فى مدينة داود ، وأنه بالحقيقة ابن داود (راجع أع ٢ : ٢٥ــ٣١ ؛ رو ١ : ٣) .

هذا ويلاحظ أن هذا السفر [وتكملته (٢ صم)] لا يهدف إلى تقديم تاريخ للدين ، إنما ركز اهتمامه الأساسى فى عرضه لتاريخ إسرائيل على الكشف عن دور الله فى حياة شعبه ، إذ هو يحكم التاريخ ويوجهه ، خاصة فى سلسلة الأحداث التى بها أدخل الله النظام الملكى أو سمح به ، حيث وجهه إلى بيت داود ليملك إلى الأبد ، كبيت مسيانى يحمل وعداً بديمومته[٥] .

سـماته :

١ــ يعتبر العرض التاريخي في سفرى صموئيل الأول والثانى أول عرض تاريخى رائع فى تاريخ البشرية . فقد سبق الكاتب ــ بالوحى الإلهى ــ كلَّ المؤرخين فى منهجه .

فيما يلى تعليقات بعض الدارسين فى هذا الأمر :

[قال أحد العلماء فى العصر الحديث : « إن سفر صموئيل سفر رائع للغاية ، لا يفوقه شيء فى تاريخيته وفى تبصره بالطبيعة البشرية وأسلوبه الأدبى وقوة تصويره للحوادث » . ويُظهر هذا السفر طرائق الله فى معاملته للأشخاص سواء كانوا خيرين أم أشراراً ، وكذلك يظهر طرائق معاملة الله للشعوب ، ويعطينا صورة صادقة لأعمال الله فى قضائه وعقابه (تأديباته) كما فى غفرانه ورحمته[٦]] .

[يلزمنا أن ندرك أن سفرى صموئيل يحويان بطريقة غير عادية تاريخاً موضوعياً وأصيلاً ، خاصة تاريخ داود الملوكى. لأول مرة نجد كتابات ما يمكن أن يُسمَّى بالتاريخ فى معناه العادى الحديث بمعنى الكلمة . واضح أن تاريخ القصر (الملكى) كُتب بيد شاهد عيان للأحداث ، أو باليد التى تقدم المعلومات لأول مرة . لقد كتب القصة بصراحة بأقل ما يمكن من الوعظ . لقد رأى يد يهوه فى الأحداث ، لكنه كان يفكر فى يهوه العامل خلال الأشخاص والأحداث فى الحياة العلمانية أكثر مما هو خلال المعجزات . وفى رأى بعض الدارسين أن واضع هذا التاريخ الملوكى هو أول مؤرخ فى القديم بطريقة جازمة[٧]] .

كتب Robert H. Pfeiffer عن واضع سفرى صموئيل الأول والثانى بكونه رائد التاريخ الذى سبق كل المؤرخين ، قائلاً : [هو أبو التاريخ بكل ما تحمل الكلمة من معنى أكثر من هيرودت الذى جاء بعده بحوالى نصف ألف سنة . حسب معرفتنا هو الذى خلق التاريخ كفن ، يستعرض الأحداث الماضية خلال فكر عظيم ... من غير أن يكون أمامه نموذج سابق له يقتدى به . كتب نموذجاً رائعاً ، لم يتخطَّ الحقيقة التاريخية ، حاملاً نظرة سيكلوجية ، بأسلوب أدبى ، فى إخراج (تمثيل) قوى[٨]] .

٢ــ ألقى سفرا صموئيل الأول والثانى ضوءاً على أهم المؤسسات الدينية فى ذلك الوقت ، مثل النبوة [مدرسة الأنبياء] والكهنوت [العمل الروحى للكاهن ودوره التعبدى الطقسى غير المنفصل عن حفظ الوصية والطاعة لله بفهم روحى] والمسيانية [الملوك كمسحاء الرب يلتزمون بالطاعة لله فى اتضاع لخدمة الشعب] .

هذه المؤسسات يقودها روح الله القدوس بكونه أقنوماً إلهياً ، إذ هو :

- يهب النبوة (١ صم ١٠ : ٦) .
- يمنح القلب الجديد (١ صم ١٠ : ٩) .
- يعطى الغيرة الصالحة (١ صم ١١ : ٦) .
- يمنح المواهب (١ صم ١٦ : ١٣ ، ١٨) .
- يحفظ الإنسان من الأرواح الشريرة (١ صم ١٦ : ١٤) .

٣ــ يمكن اعتبار سفر صموئيل الأول مقالاً عن الصلاة وثمارها فى حياة المؤمنين :

- جاء صموئيل النبى بركة للشعب ثمرة صلوات أمه (١ صم ١ : ١٠ــ٢٨).
- نال إسرائيل النصرة بصلوات صموئيل النبى (١ صم ٧ : ٥ــ١٠) .
- إذ رفض الشعب الله كملك عليهم لجأ صموئيل إلى الصلاة فعزَّاه الله (١ صم ٨ : ٥ــ٦) .
- الصلاة تهب إعلاناً عن الأسرار الإلهية (١ صم ٩ : ١٥) .
- اعتبر صموئيل كفه عن الصلاة من أجل شعبه خطية (١ صم ١٢ : ١٣).
- إذ رفض الله شاول سد أذنيه عن صلاته (١ صم ٢٨ : ٦) .

يمكننا القول بأن آية هذا السفر الرئيسية هي : « وأما أنا فحاشا لى أن أخطىء إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم » ١ صم ١٢ : ٢٣ .

أقسامه :

١ــ صموئيل النبى والقاضى ١ صم ١ ــ٧ .
٢ــ شاول الملك ١ صم ٨ ــ١٥ .
٣ــ داود الملك ١ صم ١٦ــ٣١ .

وحدة السفر :

يرى بعض النقاد أن سفرى صموئيل الأول وصموئيل الثانى قد كررا الحديث عن بعض الأحداث ، فقال بعضهم بأنهما جاءا تجميعاً لمصدرين[٩] ، أحدهما مصدر مبكر Early Source يحبذ النظام الملكى ، والآخر مصدر متأخر Late Source[١٠] كتب فى عصر السبى أو ما بعد السبى يضاد النظام الملكى ويحمل جانباً وعظياً أكثر منه تاريخياً ، حيث ظهرت مساوىء النظام الملكى وفساده . بلغ بالبعض أن قسم عبارة واحدة إلى شطرين ، ينسبون جزءاً منها للمصدر المبكر والآخر للمتأخر . كما نادى فريق آخر بأن السفرين جاءا عن ثلاثة مصادر[١١] أو أكثر .

وإننى أذكر هنا كلمات القديس أغسطينوس القائل بأن المصاعب التى يثيرها البعض عن الكتاب المقدس تدفعنا بالأكثر إلى التمتع بأعماق جديدة خلال دراستنا للكتاب المقدس .

قدم Oesterley and Robinson وغيرهما عرضاً لأهم الأحداث التى ركز عليها النقاد بكونها تكررت فى السفرين[١٢] ، وسأقدم ردّ بعض الدارسين على ذلك :

١ــ تأسيس النظام الملكى فى مجموعة معادية للنظام الملكى (مثل ١ صم ٨ ؛ ١٠ : ١٧ــ٢٥) ، وأخرى محبذة للنظام الملكى (مثل ١ صم ٩ : ١ــ١٦ ؛ ١١ : ١ــ١٥) .

إذا رجعنا إلى النصوص لا نجد تعارضاً بينها بل انسجاماً ، إذ يلاحظ الآتى :

(أ) فى ١ صم ٨ استاء صموئيل النبى من طلب الشعب إقامة ملك لهم ، وهذا أمر طبيعى ، إذ يعنى هذا الطلب الآتى :

I ــ نكراناً لخدمة صموئيل النبى الذى عاش بينهم باذلاً ومحباً . لقد انحرف أولاده لكنه لم يلزمهم بقبولهم قضاة لهم ، وكان يليق بهم أن ينتظروا عمل الله الذى يقيم لهم قاضياً يخلصهم كما حدث قبلاً معهم .

II ــ تجاهلاً لعمل الله المستمر معهم فى عصر القضاة ، فكان يليق بهم أن ينسبوا الفشل لا إلى نظام الحكم الإلهى Theocratical System (بطلب النظام الملكى Monarchy) بل إلى انحرافهم عن الله وفسادهم الروحى .

III ــ رغبتهم فى التشبه بالأمم (١ صم ٨ : ٥) ، مهتمين بالمظاهر الخارجية .

أما نسبة مثل هذا النص إلى مصدر متأخر كُتب أثناء السبى أو بعده حيث ظهرت مساوىء النظام الملكى وأنه لم يُكتب فى أيام صموئيل النبى ، فيرد عليه بأن الشعب كان قد احتك بالأمم والشعوب المجاورة ، وإن كانوا قد طلبوا أن يكون لهم ملك مثل سائر الشعوب لكنهم شعروا كيف تئن هذه الشعوب من نير الملوك الطغاة المستغلين لشعوبهم ، فقد عانى آباؤهم أيضا من مرارة الاستعباد على يد الفراعنة . أما ما هو أهم من ذلك فهو أن النقاد فى كتاباتهم تجاهلوا العنصر الإلهى أو الوحى ، لذا ينسبون بعض الأسفار إلى عصور متأخرة عن كتابتها لمجرد إشارتها إلى أحداث مستقبلية ، حاسبين أن الكاتب لابد أن يكون معاصراً أو لاحقاً للأحداث ، إذ لا يقبلون قدرة الوحى على الحديث عن أمور مستقبلية خلال النبوة . هنا نجد صموئيل النبى يعرض طلب الشعب على الله ، وفى صراحة يعلن استياءه من الطلب ، وبالرغم من استجابة الطلب إلا أن الله كشف لصموئيل عما سيحدث من مساوىء للملوك القادمين ، وقد نقل صموئيل هذه الصورة بأمانة للشعب . إذن استياء صموئيل وحديثه الذى يبدو معادياً للنظام الملكى لا ينسب لعصر السبى أو ما بعد السبى كما يدعى بعض النقاد إنما هو حديث نبوى فيه يكشف النبى عما سيحل بهم من جور الملوك .

(ب) أما بالنسبة للنصوص التى تبدو محبذة للنظام الملكى ، مثل قول الرب لصموئيل النبى : « غداً فى مثل الآن أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين ، فامسحه رئيساً لشعبى إسرائيل فيخلص شعبى من يد الفلسطينيين ، لأنى نظرت إلى شعبى لأن صراخهم قد جاء إلىّ » ١ صم ٩ : ١٦ ، فلا يعنى هذا تناقضاً للعبارات أو النصوص السابقة ؛ إنما هذه هى طبيعة الله الصالحة إنه يراعى الحرية البشرية ، خاصة إن كان الطلب جماعياً . لقد أعطاهم سؤل قلبهم ، مستخدماً بصلاحه شرهم للخير . هذا ما سبق أن فعله مع اخوة يوسف حيث استخدم

بيعهم لأخيهم عبداً فرصة لإقامة النبتة الأولى لشعبه فى مصر . لقد عزّى قلب نبيِّه صموئيل قائلاً له : « لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم » ١ صم ٨ : ٧ ، وفى نفس الوقت قال له : « فالآن اسمع لصوتهم » ١ صم ٨ : ٩ .

٢ــ أصل المثل « **أشاول أيضاً بين الأنبياء ؟!** » . قيل هذا المثل حين حلّ روح الرب على شاول وتنبأ بين الأنبياء يوم مسحه ملكاً (١ صم ١٠ : ١١) ، وأيضا حين طارد داود إلى نابوت حيث كان يسكن صموئيل ، إذ تنبأ أمام صموئيل وداود بعد أن خلع ثيابه (الخارجية) وانطرح عرياناً النهار كله والليل كله (١ صم ١٩ : ٢٤) . لقد ادعى Welhausen أن النص الثانى وليد عصر متأخر مبغض للملكية ، إذ يظهر شاول فى صورة مزرية يستمتع بها صموئيل وداود .

يُرد على ذلك بأن المثل قيل فى المرة الأولى عند مسحه لأن الله أعطاه قلباً آخر (١ صم ١٠ : ٩) ، وصار المثل بين عارفيه بكونه لم يدخل مدرسة الأنبياء ولم يتوقع أحد نواله نعمة النبوة كعطية إلهية ، فصارت مثلاً فى حدود ضيقة بين عارفيه وأصدقائهم (١ صم ١٠ : ١١ ، ١٢) . أما تكرارها فى المرة الثانية بعد زيغان قلبه فهو أمر طبيعى لشخص مثل شاول عُرف بتقلبه المستمر وانفعالاته القوية المتغيرة ، كما يظهر فى معاملاته مع داود ، تارة يبكى أمامه ويمدحه وأخرى يصوب الرُّمح ضده ليعود فيقيم معه عهداً ثم ينقضه ... لقد رأى صموئيل وداود فثارت فيه ذكريات كثيرة هزت نفسه فترنح ، وخلع ثوبه الخارجى ليهذ فى النبوة ... هنا يتكرر المثل الذى بدأ يُشاع ليتثبت أكثر ، إذ تنبأ شاول الذى سبق فانحرف مقاوماً الحق . أما صموئيل وداود فلم ينظرا إليه بهزء كما ظن Welhausen .

٣ــ يدعى بعض النقاد أن مبايعة شاول فى المصفاة (١ صم ١٠ : ١٧ــ٢٧) جاءت عن مصدر متأخر مقاوم للنظام الملكى بينما تجديد المملكة فى الجلجال (١ صم ١١ : ١٤) جاء عن مصدر مبكر محبذ للنظام الملكى . يُرد على ذلك بأنه كان لزاماً على صموئيل النبى عند مبايعته لشاول فى المصفاة أن يبرز أن الله استجاب لطلب الشعب وأعطاهم سؤل قلبهم بالرغم من رفضهم لملكه ، مبرزاً صلاح الله ومعاملاته الرقيقة مع الإنسان . أما فى الجلجال إذ صارت غلبة على الأعداء وقد رفض شاول قتل بنى بليعال (من شعبه) لأنهم رفضوه قبلاً قائلاً :

« لا يُقتل أحد فى هذا اليوم ، لأنه فى هذا اليوم صنع الرب خلاصاً فى إسرائيل » ١ صم ١١ : ١٣ ، لهذا كان لائقاً أن يُمدح شاول وتجدد مملكته ويكون فرح وسط الشعب .

هنا نود تأكيد أن صموئيل النبى لم يهدف إلى مقاومة نظام سياسى معين أو تحبيذه إنما كان يرفض كل فساد داخلى وكل علاج مقنّع يحمل مظهراً خارجياً دون إصلاح روحى داخلى . حين كان شاول يسلك حسب الوصية امتدحه صموئيل النبى علانية وحين انحرف صار يوبخه فى شجاعة وبصراحة . هذا ونجد صموئيل مسح داود وكان سنداً له حتى النهاية .

٤ـ أورد السفر قصتين متشابهتين بخصوص **سماحة داود النبى** عندما سقط شاول مطارده بين يديه (١ صم ٢٤ ، ٢٦) . ويلاحظ أن القصتين تمثلان حادثتين واقعتين مختلفتين :

(أ) تكرارهما أمر طبيعى لما عاناه شاول من مرض نفسى ، فكان متقلب المزاج ، فبعد أن رفع شاول صوته وبكى معلناً لداود : « أنت أبر منى لأنك جازيتنى خيراً وأنا جازيتك شراً » ١ صم ٢٤ : ١٧ عاد ليطارده مرة أخرى .

(ب) فى المرة الأولى (١ صم ٢٤) أبلغ الزيفيون شاول عن موقعه فى تل حخيلة إذ كانوا أعداء له ، أما فى المرة الثانية (١ صم ٢٦) ففعلوا ذلك خوفاً من الانتقام .

(جـ) مع وجود تشابه فى القصتين مثل تقدير رجال شاول بـ ٣٠٠٠ حارس ، لأنهم حرسه المرافق له ، فإن القصتين تكشفان عن مناسبتين مختلفتين :

(أ) فى الأولى كان شاول فى كهف نهاراً ، أما فى الثانية فكان فى معسكر ليلاً .

(ب) فى الأولى هرب داود مسرعاً ، أما فى الثانية التجأ إلى الفلسطينيين لأن داود النبى فقد الثقة تماماً فى شاول بعد تكرار الأمر ، (هذا يؤكد حدوث الأمر مرتين) .

لكى لا أطيل الحديث فإننى سأعرض للأحداث التى أوردها النقاد بكونها

متكررة فى دراستنا لصلب السفر وتفسير ذلك . هنا أود أن أكرر ما ذكره بعض الدارسين الذين فندوا آراء هؤلاء النقاد ، وهو :

(أ) أن العمل ليس وليد مصدرين ــ واحد لاحق وآخر سابق ، إنما هو عمل مترابط يحمل هدفاً واضحاً بعرض رائع منسجم معاً[١٣] .

(ب) لم يُوضع السفران بهدف تاريخى بل بقصد الكشف عن خطة الله ومعاملاته مع شعبه ، لذا جاءت الأحداث الواردة فيهما ليست دائماً مرتبة على أساس زمنى .

(جـ) أجمعت الآراء أن سفرى صموئيل الأول والثانى امتازا باللغة العبرية الفصحى التى تدل على أن الوقت الذى كتبت فيه كان العصر الذهبى للأدب العبرى . فلو كان السفران أجزاء متناثرة من عصور مختلفة لما حملت هذا الطابع الأدبى الرائع[١٤] .

(د) يقول Driver إن السفر حوى بعض عبارات كانت شائعة الاستعمال فى ذلك الوقت (العصر المبكر) مثل : « حية هى نفسك » ، « بنو بليعال » ، « رب الجنود » ، « وهكذا يعمل الرب وهكذا يزيد » ، « مبارك أنت من يهوه (الله) » الخ ...

\+ + +

الباب الأول

صموئيل الأول

١ صم ١ ــ ١ صم ٧

١ــ ميلاد صموئيل ١ .
٢ــ نشأة صموئيل ٢ .
٣ــ دعوة صموئيل ٣ .
٤ــ خدمة صموئيل ٤ــ٧ .

مرحلة انتقالية

(اصم ١ - ١صم ٧)

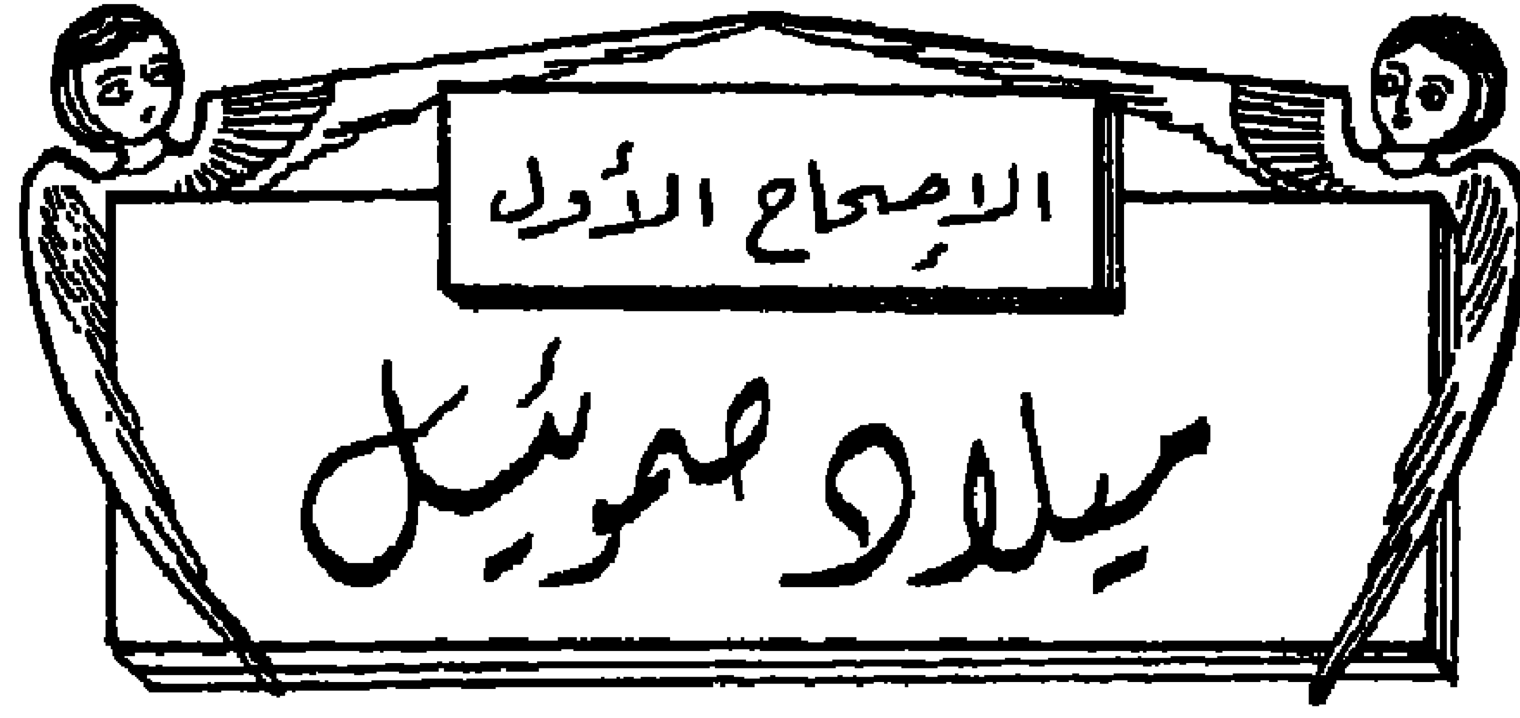
تمثل حياة صموئيل النبى والقاضى مرحلة انتقالية ، خلالها عبر إسرائيل من حكم القضاة إلى النظام الملكى . وُلد صموئيل من والدين تقيين كثمرة لصلاة أمه وإيمانها ، تعهده عالى الكاهن والقاضى ، رجل تقى ضعيف الشخصية خاصة أمام ابنيه .

تربى صموئيل فى بيت الرب بشيلوه حيث استقرت خيمة الاجتماع هناك حوالى ٣٠٠ سنة ، إذ خربها الفلسطينيون فى إحدى هجماتهم ، غالباً بعد معركة أفيق (١ صم ٤) ، إذ لم يرجع التابوت بعد ذلك إليها .

جاء تاريخ حياته كقاضٍ (١ صم ٧ : ٦ ، ١٥—١٧) مثل عالى الكاهن له سمة خاصة هو الدور الروحى العامل بالصلاة وتقديم المشورة دون قيادة الجيوش للخلاص بواسطة الحروب . اتسم بالإصلاح الروحى قدر المستطاع إذ اتسم الشعب بالزيغان عن الله والجهل وهما السمتان اللتان غلبتا عليهم فى عصر القضاة ، لذا سمح الله لهم بالمذلة على أيدى الفلسطينيين .

طلب الشعب إقامة ملك لهم مثل سائر الأمم . حسب صموئيل النبى ذلك رفضا لمُلك الله وله ، ولكن بأمر إلهى مسح لهم شاول ملكاً الذى اتسم بالعصيان فرفضه الله . مُسح داود ملكاً فى الخفاء وبقى شاول يطارده طالباً قتله مهما كلفه الثمن .

+ + +



وُهب صموئيل لأمه التقية والعاقر حنَّة من قبل الرب ، إذ جاء ابنا لإيمانها وصلواتها ، وتربى فى هيكل الرب ، ليكون سبب بركة للكثيرين .

١ــ حنة التقية العاقر ١ ــ ٨ .

٢ــ ابن الصلاة ٩ ــ ١٨ .

٣ــ ميلاد صموئيل ١٩ــ ٢٣ .

٤ــ صموئيل عارية الرب ٢٤ــ ٢٨ .

+ + +

١ــ حنة التقية العاقر :

كان لألقانة امرأتان : فننة وتعنى « مرجانة » أو « لؤلؤة » ، وحنّة وتعنى « حنان » أو « نعمة » .

(أ) قيل عن ألقانة إنه أفرايمى (١ : ٣) لأنه سكن فى جبل أفرايم ، لكنه كان من سبط لاوى من عشيرة قيهات (١ أى ٦ : ٢٢ــ٢٨ ، ٣٣ــ٣٨) ، لكنه لم يمارس منصب اللاويين . كان رأساً لعشيرة صوفيم التى تسمى بها قرية « رمتايم صوفيم » أى « رابيتا الصوف » أو « مرتفعتا الصوف »[١] ، وقد دعيت هكذا لتمييزها عن المدن الأخرى التى حملت ذات الاسم « رامة » . ربما هى « رام الله » الحالية .

(ب) اعتاد ألقانة أن يأخذ كل أفراد أسرته سنوياً إلى شيلوه ليسجد ويذبح للرب ، أى يقدم ذبيحة سلامة (لا ٧ : ١١ــ٢١) . يرى البعض أنه كان يصعد لتقديم ذبيحة خاصة بعائلته ، بخلاف التزامه بالصعود فى الأعياد الثلاثة : عيد الفطير أو الفصح ، عيد الحصاد أو الخمسين ، عيد المظال (خر ٢٣ : ١٤) ، غير أن بعض الدارسين يرون أن اليهود فى ذلك الوقت اكتفوا بالصعود مرة واحدة

سنوياً للاحتفال بعيد الحصاد بفرح عظيم ، وهذا ما جعل عالى الكاهن يظن أن حنة سكرى[٢] .

كانت شيلوه أو شيلو (غالباً سيلون الحالية) هى مركز العبادة ، اختارها يشوع مقراً للخيمة والتابوت ، وفيها قسم البلاد على الأسباط (يش ١٨ : ١ ، ٨) . سكنها عالى الكاهن وصموئيل النبى ، كما سكنها أخيّا النبى (١ مل ١٤ : ٢) ، وهى تبعد حوالى ١٧ ميلاً شمال أورشليم .

(جـ) كان ألقانة يحب حنة العاقر ، ويعطيها نصيب اثنين الأمر الذى غالباً ما ألهب قلب ضرتها فننة ليزداد حسداً وغيرة . لعل ألقانة — وهو رجل — قد أخطأ فى هذا إذ وسّع الهوة بين المرأتين . على أى الأحوال حملت المرأتان رمزاً لكنيستى العهدين القديم والجديد . فإن كانت فننة تعنى « لؤلؤة » أو « مرجانة » وأنجبت أولاداً ، فإن كنيسة العهد القديم قد تمتعت بكنوز الله إذ تسلمت الشريعة ونالت المواعيد وأنجبت رجال الله الآباء والأنبياء الخ ... لكن هذه الأم الولود صارت عاقراً عندما رفضت الإيمان بالسيد المسيح ، وكما ترنمت حنة ، قائلة : « العاقر ولدت سبعة وكثيرة البنين ذبلت » ١ صم ٢ : ٥ . أما حنة فاسمها يعنى « حناناً » أو « نعمة » ، إذ تمتعت كنيسة العهد الجديد بحنان الله الفائق المعلن خلال ذبيحة الصليب ونعمة الروح القدس واهب البنوة لله والشركة معه . إنها الكنيسة المحبوبة لديه ، جمعت من الأمم من كانوا عواقر لينجبوا بنين لله .

لقد سمح الله لحنة التقية أن تشبع نفسها من المرارة لتصرخ من أعماق قلبها فيهبها الابن الذى سبق أن أعده لها ، بل ولكل شعبه ، والذى صارت حياته وخدمته جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المقدس . هكذا يسمح الله لكنيسته فى تقواها أن تدخل تحت الآلام لتشاركه ضيقة الصليب وتختبر موته فيها فتثمر بهجة داخلية وسلاماً فائقاً للعقل . « إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضا معه » رو ٨ : ١٧ .

لقد تركها الرب وسط الآلام « سنة بعد سنة » ١ صم ١ : ٧ ، لكنها إذ انتظرت إلى ملء زمانها قدم لها الرب أكثر مما سألت أو فكرت ، فنالت « صموئيل » العظيم بين الأنبياء .

(د) تأمل عتاب رجلها الذى كان يحبها ، واهباً إياها نفسه قبل أن يقدم لها

نصيباً مضاعفاً ، إذ يقول لها : « ياحنة ، لماذا تبكين ؟ ولماذا لا تأكلين ؟ ولماذا يكتئب قلبك ؟ أَمَا أنا خير لكِ من عشرة بنين ؟! » ١ صم ١ : ٨ . هكذا يعاتبنا رب المجد يسوع عريس نفوسنا : « لماذا تحزن على أمور زمنية ؟ أو بسبب ضيقات وقتية ؟ أما أستطيع أن أشبعك وأعزيك ؟ أما يكفيك أنى عريس نفسك الأبدى ؟! » .

ليتنا نردد مع الرسول بولس قائلين : « الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء ؟!... من سيفصلنا عن محبة المسيح ؟! أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف ؟!... فإنى متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ، ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » رو ٨ : ٣٢—٣٩ .

لنحب الله من أجل شخصه ، لنقبله ساكناً فينا ، فيعلن ملكوته الإلهى فى داخلنا ولا يحرمنا حتى من البركات الزمنية مادامت لبنياننا .. هكذا تمجد الله فى حنة وأعطاها صموئيل ثمرة إيمانها وصلواتها .

٢— ابن الصلاة :

(أ) كانت حنة مرة النفس (١ صم ١ : ١٠) ، هذه المرارة لم تمنعها عن أن تشترك فى الأكل مما قُدم للرب ، إذ لم يكن هذا الأكل للتنعم واللذة إنما علامة شركة المؤمنين معاً فى الذبيحة ليكون الكل مصالحاً معاً فى الله . مرارة نفسها لم تجلب لها كراهية أو حقداً ضد ضرتها إنما طلبت العون الإلهى ليحقق لها ما ينزع عنها عارها . اشتهت أن تنجب ليس كرغبة طبيعية فى الإنجاب وممارسة الأمومة ، وإنما لما هو أقوى ؛ فإن كل سيدة يهودية كانت تترقب أن يأتى المسيا من نسلها ، كما يظهر من تسبحة حنة نفسها عندما قدمت ابنها عارية للرب كل أيام حياته (١ صم ٢ : ١—١٠) .

بعد الأكل قامت لتمارس صلاة شخصية سرية أمام هيكل الرب [دعيت الخيمة هيكل الرب لأنها كانت قد استقرت حوالى ٣٠٠ سنة فى شيلوه ، وأقيمت حولها أبنية وأمامها باب وقائمة ومكان لجلوس رئيس الكهنة لأجل القضاء] .

صارت تصلى وعالى رئيس الكهنة يراقبها لكنه لم يقدر أن يدرك سر قوة صلاتها ، بل حسب المرأة سكرى (١ صم ١ : ١٤) ، أما الرب فاستجاب لها .

صارت حنة مثلاً حياً — عبر الأجيال — للصلاة الصامتة النابعة عن إيمان عميق داخلى ، وقد امتزجت صلاتها بإيمانها وأيضا بوداعتها .

فيما يلى تعليقات بعض الآباء على صلاة حنة الصامتة ، إذ تحدثت بقلبها كما بدموعها :

+ بالنسبة لحنّة ، ما أن حملت فكراً حتى وُهب لها الحبل بالطفل صموئيل . يقول الكتاب : اسألوا وأنا أعمل ، فكروا وأنا أعطى . إننا نسمع عن الله أنه يعرف القلب ، ولا يحكم مثلنا نحن البشر من خلال الحركات (الظاهرة) للنفس ولا من الأحداث (الخارجية) ؛ فمن السخافة أن تفكر هكذا .

+ الصلاة هى أن تتكلم بعظم دالة ، محاوراً الله . إن كنا بالهمس دون فتح الشفتين نتحدث فى صمت فإننا نصرخ من الداخل . الله يسمع على الدوام كل حديث داخلى ...

الآن إن كان البعض يحدد ساعات معينة للصلاة — مثل الساعات الثلاثة والسادسة والتاسعة — لكن الغنوسى (الإنسان الروحى صاحب المعرفة) يصلى خلال حياته كلها ، ساعياً أن تكون له شركة مع الله بالصلاة .

+ يمكن النطق بالصلاة بدون صوت ، وذلك بتركيز الطبيعة الروحية الداخلية كلها على تغيير الذهن ، بدون تشتيت له عن التفكير فى الله .

القديس اكليمندس الاسكندرى[٣]

+ حنة — المذكورة فى الكتاب الأول من الملوك (١ صم) — رمز الكنيسة تمسكت بالصلاة لله لا بطلبات صاخبة وإنما فى صمت ووداعة فى أعماق قلبها . نطقت بصلاة خفية بإيمان واضح . لم تتكلم بصوتها إنما بقلبها ، إذ عرفت أن الله يسمع مثل هذا نالت — بطريقة فعّالة — ما طلبته ، لأنها سألت بإيمان . هذا ما يؤكده الكتاب قائلاً : « كانت تتكلم فى قلبها

وشفتاها فقط تتحركان ، وصوتها لم يُسمع (والله سمع لها) » ١ : ١٣ . نقرأ في المزامير : « تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا » مز ٤ : ٤ .

القديس كبريانوس[٤]

+ لم يُسمع صوت حنة ؛ لقد حققت كل رغبتها إذ كان قلبها يصرخ ! أما هابيل فصلى ليس فقط وهو صامت وإنما وهو ميت إذ كان دمه يصرخ في وضوح أكثر من أى بوق ![٥] .
+ دموعها سبقت لسانها ، بها ترجت أن يذعن الله لقبول طلبتها[٦] .
+ كانت دموعها تصرخ في أكثر وضوح من أى بوق ، لذلك فتح الله رحمها ، وجعل الصخرة الصماء حقلاً مثمراً .

إن بكيتَ تصير هكذا تابعاً لربك ، نعم فقد بكى على لعازر وعلى المدينة ، كما اضطرب جداً بخصوص يهوذا . هذا الأمر (البكاء) كثيراً ماكان يفعله ، لكنه لم يوجد قط ضاحكاً[٧] .

القديس يوحنا الذهبى الفم

لم يكن ممكناً لرئيس الكهنة عالى أن يميز بين امرأة منسحقة الروح تستجيب السماء لتنهداتها الداخلية وبين ابنة بليعال [اسم عبرى معناه « عديم النفع » أو « شرير » ، ينعت به كل شرير لا يخاف الله (٢ كو ٦ : ١٥)] سكرى ... لكن الله فاحص القلوب وحده يقدر أن يميز بين هذه وتلك .

مزجت حنة صلاتها الخفية بوداعتها فعندما اتهمها عالى الكاهن بالسكر أجابته في وداعة : « لا ياسيدى ، إنى امرأة حزينة الروح ولم أشرب خمراً ولا مسكراً بل أسكب نفسى أمام الرب . لا تحسب أمتك ابنة بليعال ، لأنى من كثرة كربتى وغيظى قد تكلمت إلى الآن » ١ صم ١ : ١٥ ، ١٦ . لقد تأثر **القديس يوحنا الذهبى الفم** بهذه الوداعة فمدحها أكثر من مرة ، إذ يقول : [هنا برهان القلب المنسحق ، عندما لا نكون في غضب ضد من يسبنا فلا نسخط عليهم ، بل نجيب في حدود الدفاع عن النفس[٨]] .

لقد تحدثت بأدب ولطف واتضاع ، قائلة : « لتجد جاريتك نعمة فى عينيك » ١ صم ١ : ١٨ .

يظهر إيمان حنة من قول الكتاب : « مضت المرأة فى طريقها ولم يكن وجهها بعد مغيراً » ١ : ١٨ . هكذا استراح قلبها بعد الصلاة .

ليت الرب يهبنا هذا الإيمان فلا نقلق ولا نضطرب ، خاصة بعد الصلاة وتسليم أمورنا بين يدى الله أبينا .

إذ يتحدث العلامة أوريجانوس عن فاعلية الصلاة فى حياة حنة العاقر وغيرها ، يتطلع إلى النفوس المجدبة التى بلا ثمر لكى تنعم بما نالته حنة قائلاً : « النفوس التى بقيت مجدبة (عاقراً) إلى زمان طويل ، إذ تدرك عقم عقلها وجدب فكرها تحبل بالروح القدس وتلد كلمات خلاصية مملوءة بمفاهيم الحق وذلك بالمثابرة فى الصلاة(٩)] . بمعنى آخر ، نحن فى حاجة أن نكتشف عقمنا الداخلى ليتمرر داخلنا وتنسحق نفوسنا أمام الرب ، نسأله بإيمان واثقين أنه وحده قادر أن يحول عقمنا إلى خصوبة ، مانحاً إيانا من ثمر روحه القدوس فى داخلنا .

٣ــ ميلاد صموئيل :

رجوع حنة إلى أسرتها بوجه باش لتشاركهم الحياة الأسرية بلا تذمر يكشف عن إدراكها أن علاج المشاكل ليس فى يد إنسان ولا فى الظروف الخارجية إنما فى الدخول إلى أعماق النفس واكتشاف إمكانيات الله فينا . هكذا دخلت حنة إلى أعماقها والتقت بإلهها خلال صلاتها السرية ، عندئذ شعرت بقوة الله القادرة أن تحل كل المشاكل . لذا عندما كرز الرسول بولس لأهل كورنثوس قدم لهم « قوة الله » . ١ كو ٢ : ٤ ، ٥ وليس سمو الكلام والحكمة الإنسانية المقنعة .

لقد حان الوقت ليهب الله حنة ابنا ، دعته صموئيل ، وبقيت مع طفلها حتى تفطمه لتحقق نذرها بتقديمه عارية للرب ، يتراءى أمامه ويقيم فى بيته كل أيام حياته (١ صم ١ : ٢٢) .

٤ــ صموئيل عارية الرب :

(أ) « ثم حين فطمته أصعدته معها » ١ : ٢٤ . ربما يتساءل البعض :

كيف قدمته لبيت الرب بعد الفطام مباشرة (بعد حوالى ٩ شهور) ؟ اعتادت الأمهات فى منطقة الشرق الأوسط ألا تفطم الولد تماماً إلا فى الثالثة من عمره وفى بعض الحالات يُترك حتى الخامسة[١٠] ، ربما كنوع من التدليل .

(ب) ماذا تعنى بقولها : « وأنا أيضاً قد أعرته للرب جميع أيام حياته هو عارية للرب » ١ : ٢٨ لقد سبق أن وعدت : « إنى أعطيه للرب كل أيام حياته » ١ : ١١ ، والآن لا تقول : « أعطيه » بل « أعرته » للرب ، فإنها وإن كانت لم تتراجع عن الوعد إذ سلمته للرب ليكون خادماً له كل أيام حياته ، لكنها أرادت تأكيد ارتباطها به كأم لذا حسبته « عارية » . لقد وهبها الله إياه ، وهى تتمسك به كابن لها وفى نفس الوقت تقدمه للرب كل أيام حياته . إنها صورة حية للحب العائلى فى الرب !

+ أيتها النساء اقتدين بهؤلاء النساء العجيبات . هل أنجبت إحداكن طفلاً ؟ فلتتمثّل بحنة (١ صم ١ : ٢٤) ، ولتنظر ماذا فعلت . لقد أحضرته إلى الهيكل . من منكن لا تريد أن يكون أبنها صموئيل فيصير أفضل من ملك على العالم ربوات المرات ؟!

+ إنها لم تقل « لمدة عام » أو « عامين » كما نفعل نحن ، ولا قالت : « إن أعطيتنى طفلاً أقدم لك مالاً » ، بل « أرد لك العطية بكاملها ، أقدم ابنى البكر ، ابن صلاتى » . بالحق إنها ابنة إبراهيم .

لقد قدم إبراهيم (ابنه) عندما طُلب منه ، أما هى فقدمته حتى قبلما يُطلب منها .

القديس يوحنا الذهبى الفم[١١]

لقد أعارت حنة ابنها صموئيل للرب كل أيام حياته ، فأقامه الرب نبياً عظيماً (١ صم ٣ : ٢٠) ، أدرج اسمه فى العهد القديم مع موسى وهرون (مز ٩٩ : ٦ ، إر ١٥ : ١) ، وأشير إليه فى العهد الجديد كأول الأنبياء (أع ٣ : ٢٤) . ويعتبر صموئيل مؤسس مدارس الأنبياء (١ صم ١٩ : ٢٠) فى الرامة والتى تبعتها مدارس أخرى فى بيت إيل (٢ مل ٢ : ٣) وأريحا (٢ مل ٢ : ٥) والجلجال (٢ مل ٤ : ٣٨) . كما يعتبر مؤسس النظام الملكى بالرغم من استيائه أولاً منه ، فمسح شاول

الذى نجح إلى حين ، ثم داود الذى توارث نسله الملوكية . عاش صموئيل ليمسح داود ملكاً لكنه تنيح قبل أن يتوج داود[١٢] .

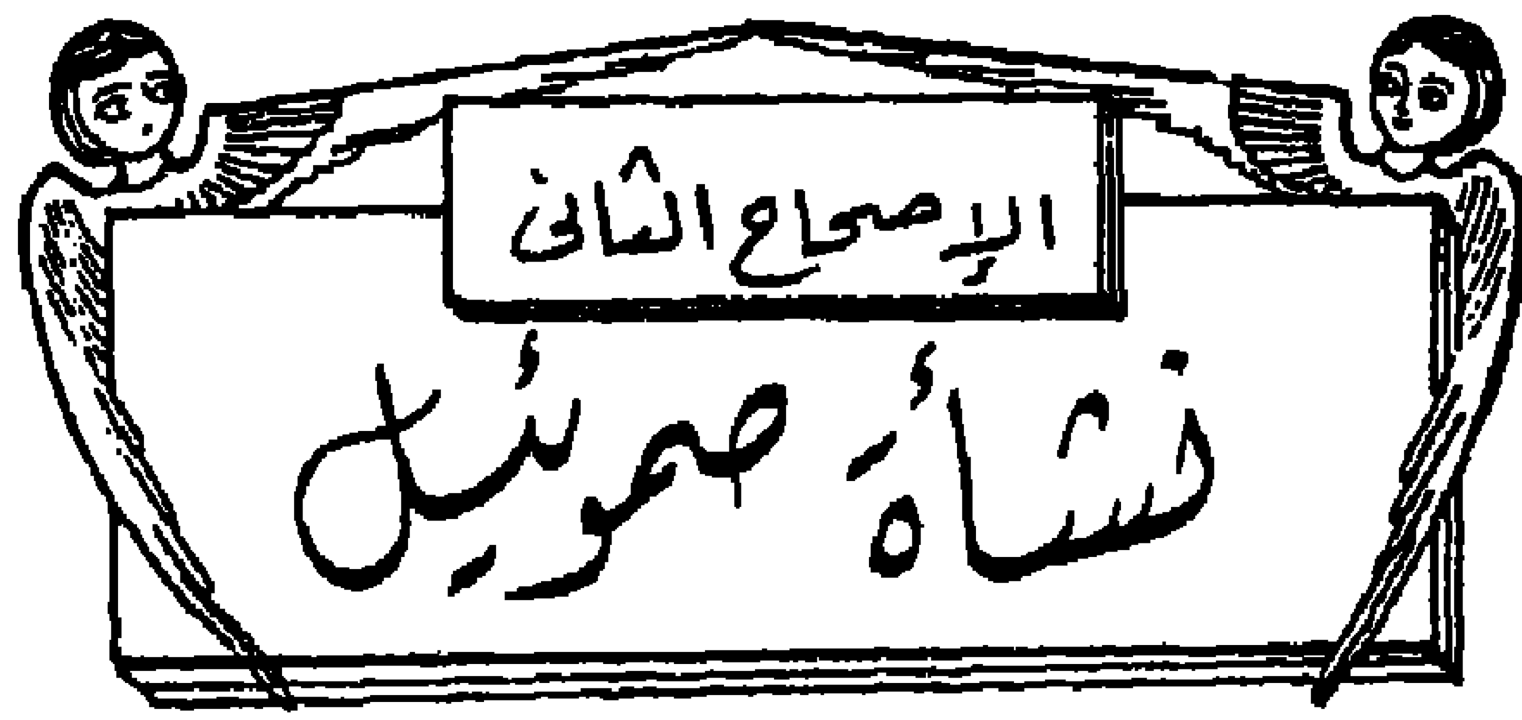
إذ فُطم صموئيل صعدت به أمه (١ صم ١ : ٢٤) ، ولم يذكر الكتاب أن أباه هو الذى أصعده ، ليس لأن حنة اغتصبت رئاسة البيت ، وإنما لأجل إيمانها السامى سبقت رجلها وارتفعت عليه فى عينى الله ، فنسب إليها الصعود إلى بيته بصموئيل والتقدمات التى هى :

(أ) ثلاثة ثيران ، قدم منها ثور محرقة (لا ١ : ١ـــ٩ ، ١ صم ١ : ٢٥) ، لأن صموئيل قُدم كمحرقة للرب ، يقدم كل حياته وامكانياته ذبيحة حب ملتهبة لحساب الرب وحده ؛ أما الثوران الآخران فكانا تقدمة ألقانة السنوية : ذبيحة سلامة وذبيحة خطية (لا ٣ ، ٤) .

(ب) إيفة دقيق ، أى نحو عشرة أرطال [رقم ١٠ يشير إلى إتمام الناموس] .

(جـ) زق خمر ، يشير إلى الفرح ... إذ قدمت ابنها للرب بفرح ، تشعر أنها كرامة عظيمة لها أن يتقبل الرب ابنها تقدمة حب ، وليس خسارة وفقدان لابنها .

+ + +



إذ قدمت حنة ابنها صموئيل عارية للرب جميع أيام حياته تطلعت إليه وهو فى مسكن الرب فرأت فيه رمزاً للمسيا المنتظر الذى يفتح المقادس الإلهية أمام المؤمنين ، عندئذ انطلق لسانها يسبح الله لا على عطيته لها ــ أى إنجابها صموئيل ، وإنما بالأكثر عطيته لكل شعبه بتقديم العمل الخلاصى خلال المسيا .

بينما كسر الكاهنان ابنا عالى الشريعة والناموس وأفسدا شعب الله والمقدسات إذا بصموئيل النبى ابن حنة ــ امرأة إيمان وصلاة وتسبيح ــ ينشأ فى حياة مقدسة فى الرب . بمعنى آخر بينما نشأ ابنا كاهن فى جو دينى لكنهما لم يتمتعا بالحياة الداخلية القدسية ، إذا بصموئيل يتلامس مع أعماق روحانية أسرته ليحمل ثمراً مباركاً

١ــ تسبحة حنة الخلاصية	١ ــ ١٠ .
٢ــ ابن ألقانة وابنا عالى	١١ــ١٧ .
٣ــ مباركة الرب لألقانة وحنة	١٨ــ٢١ .
٤ــ تهاون عالى الكاهن مع ابنيه	٢٢ــ٣٦ .

\+ + +

١ــ تسبحة حنة الخلاصية :

حقق الرب طلبة حنة فقامت تشكره وتسبحه ؛ كثيرون يلجأون إلى الرب وقت الضيق لكنهم ينسونه عند الفرج ، أما حنة فإنها لم تنسه بل ولم تشكره فقط على عطية صموئيل إنما بالأكثر دخلت إلى أعماق جديدة إذ رأت فيه رمزاً لعمل الله الخلاصى . فجاءت تسبحتها تقارب تسبحة القديسة العذراء مريم (لو ١ : ٤٦ــ٥٥) ؛ حنة تسبح من أجل الرمز والقديسة مريم من أجل المسيا نفسه .

يمكننا أن نقول إن انفتاح لسان حنة الداخلى وبصيرتها الروحية وتجاوبها العميق مع عمل الله حمل انعكاساً على ابنها صموئيل الذى سمع صوت الرب الهادىء فى الهيكل دون أن يسمعه عالى رئيس الكهنة . لقد أرضعت ابنها حياة « التجاوب مع عمل الله ومع دعوته وكلماته » ... الأمر الذى حُرم منه كثير من أبنائنا بسبب انغلاق قلب الوالدين وعمى بصيرتهم الداخلية وثقل لسانهم فى الحديث مع الله والتسبيح له .

نعود إلى تسبحة حنة أو قل مزمورها الذى يحسب مزموراً ملوكيا[٣٩] إن قورن مع مز ٢ : ١ ؛ ٤ : ١٠ ، مشيراً إلى الملك الممسوح . ويلاحظ فى هذا المزمور :

(أ) بدأت حنة تسبحتها بإعلان فرحها لا لمجرد نوالها « صموئيل » كعطية إنما لتمتعها بواهب العطية نفسه ، إذ تقول : « **فرح قلبى بالرب** » ١ صم ٢ : ١ . لقد امتلأت أعماقها الداخلية بالله نفسه مصدر الفرح ، وكما يقول الرسول بولس : « وأما ثمر الروح فهو محبة فرح ...... » غلا ٥ : ٢٢ .

هذا الفرح الداخلى يهب للنفس قوة فلا تخور تحت أى ظرف ، إذ تقول : « **ارتفع قرنى بالرب** » ١ صم ٢ : ١ . استخدام القرن (قرن الثور) ككناية عن « القوة » تعبير شائع فى الأدب العبرى[٤٠] .

نالت « قوة » لا لإغاظة أعدائها أو مقاومتهم بل لكى يتسع فمها لتكرز لهم ببهجة الخلاص ، إذ تقول : « اتسع فمى على أعدائى ، لأنى قد ابتهجت بخلاصك » ١ صم ٢ : ١ . فإنه ليس شىء يقدر أن يحطم عداوة الأعداء مثل البهجة بخلاص الرب ، الذى يجتذب الأعداء للتمتع ببشارة الإنجيل المفرحة .

(ب) « ليس قدوس مثل الرب ، لأنه ليس غيرك ، وليس صخرة مثل إلهنا » ١ صم ٢ : ٢ .

إن كان الله وحده هو القدوس (رؤ ١٥ : ٤) ، فقد جاء كلمة الله المتجسد القدوس (لو ١ : ٤٩) ليضمنا إليه فنحمل الحياة القدسية فينا . هذا هو سر خلاصنا ، ليس فقط غفر الرب خطايانا ، وإنما حملنا فيه لنشاركه حياته القدسية ، وتتحقق فينا وصيته : « تكونون قديسين لأنى أنا قدوس » لا ١١ : ٤٤ ، ٤٥ .

إنه الصخرة التى قدمت ماء لشعب إسرائيل فى وسط القفر ليشربوا ويرتووا (خر ١٧ : ٦ ، عد ٢٠ : ١١) ، إذ يقول الرسول بولس : « لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » ١ كو ١٠ : ٤ .

(جـ) إذ اختبرت حنة نعمة الله الفائقة أدركت أن موازين الله ومقاييسه تختلف عن موازين البشر ومقاييسهم ، فقد كانت ضرتها أماً لأولاد كثيرين بينما كانت هى عاقراً فى مذلة وعار ؛ نالت الأخيرة عطية « صموئيل » فصارت كمن ولدت سبعة أولاد (١ صم ٢ : ٥) بينما صارت ضرتها — كثيرة البنين — كمن هى فى ذبول ! لهذا أعلنت :

« قسي الجبابرة انحطمت ، والضعفاء تمنطقوا بالبأس .
الشباعى آجروا أنفسهم بالخبز والجياع كفوا .
حتى إن العاقر ولدت سبعة وكثيرة البنين ذبلت .
الرب يميت ويحيى ، يهبط إلى الهاوية ويصعد ،
الرب يفقر ويغنى ، يضع ويرفع .
يقيم المسكين من التراب ، يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء ويملكهم كرسى المجد » ١ صم ٢ : ٤—٨ .

هكذا انكسرت فننة المتشامخة فتحطمت قسيها ، صارت كمن يؤجّر نفسه ليجد خبزاً يأكله ، ذبلت بالرغم من إنجابها للبنين ، فقدت الحياة وصارت كمن هبط إلى الهاوية ؛ افتقرت وانحطت إلى التراب . وعلى العكس بروح الاتضاع تقبلت حنة من يد الله قوة فتمنطقت بالبأس وشبعت بعد الجوع ، وأنجبت الكثيرين بعد العقر ، تمتعت بالحياة بعد أن كانت كميتة ، رفعها الله وأغناها ووهبها كرامة لتجلس مع الشرفاء وتنعم بالمجد .

يمكننا أيضاً أن نقول إن فننة تمثل جماعة اليهود الذين عاشوا زمانا فى الإيمان تحت الناموس فصاروا كجبابرة بأس ، شبعى ، مثمرين ، أغنياء ، أصحاب كرامة الخ ... ولكنهم جحدوا الإيمان فانهاروا وافتقروا روحيا وذبلت حياتهم وفقدوا كرامتهم ، بينما حنة تمثل الأمم الذين عاشوا ضعفاء وجياعا عاقرين بل وأمواتاً ، لكنهم إذ آمنوا بالرب المخلص تغير حالهم تماماً .

(د) « **حتى إن العاقر ولدت سبعة وكثيرة البنين ذبلت** » ١ صم ٢ :

٥ . لم تكن حنة قد ولدت سبعة أبناء بل واحداً فقط وهو صموئيل ، بعد ذلك أنجبت ثلاثة بنين وبنتين (٢ : ٢١) ، فماذا عنت بالسبعة ؟ ربما لأنها رأت فى صموئيل ـــ كرمز للسيد المسيح ـــ انه يُحسب كإنسان كامل يقدر بسبعة بنين ، لأن رقم ٧ يعنى الكمال . ولعلها قصدت أنها وهى رمز لكنيسة العهد الجديد التى جاء أعضاؤها من الأمم قد ولدت للرب كثيرين[١٥] خلال مياه المعمودية بينما ضرتها فننة التى رمزت لكنيسة العهد القديم قد أنجبت قبلاً أولاداً لله ذبلت بسبب جحدها للإيمان بالمسيا .

+ إذ وُلد صموئيل كان رمزاً للمسيح ... السبعة أبناء هم الكنائس السبع ، لذا كتب بولس أيضاً لسبع كنائس ، وعرض سفر الرؤيا للكنائس السبع لكى يحفظ رقم ٧ ... مثل السبعة ملائكة الواقفين أمام وجه الله والداخلين والخارجين أمامه كقول روفائيل الملاك فى سفر طوبيا ، والمنارة ذات السبعة سرج فى خيمة الاجتماع ، والسبعة أعين الله التى تحفظ العالم ، والحجر ذى السبعة أعين كما يقول زكريا ، والسبع أرواح ، والسبع منارات فى سفر الرؤيا ، والسبعة أعمدة التى بنت عليها الحكمة بيتها كما فى سليمان .

القديس كبريانوس[١٦]

(هـ) « **لأن للرب أعمدة الأرض وقد وضع عليها المسكونة** » ١ صم ٢ :

٨ . حديث مجازى يكشف عن رعاية الله لنا ، فمن أجلنا أسس الأرض كملك له وأقامنا عليها . إنه ضابط الكل ، لا يفلت من رعايته شيء يمس حياتنا . يهتم حتى بخطوات أقدامنا ، مبطلاً فخاخ الأشرار التى ينصبونها لنا وسط الظلام : « **أرجل أتقيائه يحرس والأشرار فى الظلام يصمتون** » ١ صم ٢ : ٩ . وكما يقول المرتل : « **لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك** » مز ٩١ : ١١ ، « لا يدع رجلك تزلّ . لا ينعس حافظك » مز ١٢١ : ٣ .

مادمنا أتقياء الله تُحرس أرجلنا ولا نفقد سلامنا ، ويقول **القديس جيروم** : [مادمنا فى حالة نعمة تكون نفسنا فى سلام ، لكن ما أن نبدأ نلهو مع الخطية حتى تسقط نفسنا فى ارتباك لتصير كقارب تخطبه الأمواج[١٧]] .

يقول **القديس أغسطينوس** : [إن أردت أن تسمع كيف تثبت قدميك على الدرجات بأكثر أمانٍ ، فلا تتعب أثناء الصعود ولا تتعثر أو تسقط ، صَلِّ بهذه الكلمات : « لا يدع رجلك تزل » مز ١٢١ : ٣ ... لا شيء يجعل الرِّجل تزل إلا الكبرياء . المحبة تحرك الرِّجل للسير والتقدم والصعود ، أما الكبرياء فتدفع الرِّجل إلى السقوط[١٨]] .

« لأنه ليس بالقوة يغلب إنسان . مخاصمو الرب ينكسرون . من السماء يرعد عليهم . الرب يدين أقاصي الأرض ويعطي عزاً لملكه ويرفع قرن مسيحه » ١ صم ٢ : ٩ .

+ ينبغي علينا أن نعرف أننا لا نستطيع أن نجاهد بدون معونة الله ، ولا يصير لجهادنا أى نفع للحصول على عطية النقاوة العظمى ما لم توهب لنا بواسطة المعونة والرحمة الإلهية ، لأن « الفرس معد ليوم الحرب ، أما النصرة فمن الرب » أم ٢١ : ٣١ ، « لأنه ليس بالقوة يغلب الإنسان » .

الأب بفنوتيوس[١٩]

٢ــ ابن ألقانة وابنا عالى :

(أ) ما أبعد الفارق بين ابن ألقانة وحنة ، ابن الصلاة والإيمان ، وابنى عالى الكاهن . الأول تربى فى خوف الله ، فكان سبب بركة لنفسه وعائلته وشعبه بل ولنا نحن إذ صار قدوة عبر الأجيال . وأما ابنا عالى الكاهن فقد استغلا مركز أبيهما لصالحهما الذاتى . تركا الرعية بين الذئاب ، بل صارا ذئبين يصنعان الشر ويعثران الشعب معهما ، وقد تهاون والدهما فى تأديبهما . وحين أراد توبيخهما تكلم فى رخاوة ، فجلبا على نفسيهما وعلى والدهما وعائلتهما والشعب عاراً ، وصارا عبرة لكل من يتهاون فى تربية أولاده .

يلقب الكتاب المقدس ابنى عالى « بنى بليعال » وكما يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** : [دُعِيَ ذات الشخصين « بنى عالى » و « بنى بليعال » ... عندما دُعيا « بنى عالى » أعلنت علاقة القرابة الطبيعية لعالى ، وإذ دُعيا « بنى بليعال » أعلن الشر الذى اختاراه ، إذ لم يعودا يتمثلان بأبيهما فى حياتهما بل ركزا غرضهما فى أن يخطئا[٢٠]] .

(جـ) قيل عن ابنى عالى انهما **لم يعرفا الرب** (١ صم ٢ : ١٢) . انهما ككاهنين عرفا الكثير عن الرب خلال التعليم والمعرفة النظرية ، لكنهما لم يعرفاه فى حياتهما العملية وسلوكهما . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم**[٢١] إن الكتاب المقدس يحدثنا عن أنواع كثيرة من المعرفة ، من ذلك قول الرسول بولس : « يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال ينكرونه » تى ١ : ١٦ .

(د) إذ فسد قلبا ابنى عالى استهانا بالطقس (١ صم ٢ : ١٣—١٦) ، كما استخفا بالحياة الطاهرة والقداسة فأفسدا نساء شعب الله (١ صم ٢ : ٢٢) ، وأهانا الله نفسه . فمن جهة الطقس كان من حق الكاهن أن يأكل الصدر والساق اليمنى بعد حرق الشحم للرب (لا ٣ : ٣—٥) ، ويقوم بتوزيع الباقى على أسرة مقدم الذبيحة (لا ٧ : ٢٩—٣٤) ، لكن ابنى عالى تصرفا حسب هواهما فأفسدا المقدسات (١ صم ٢ : ١٧) .

عندما يدب الفساد فى أعماق الإنسان يستهين بكل شيء : بالطقس كما بالطهارة وبحقوق الغير حتى بالنسبة لله نفسه الخ ...

٣— مباركة الرب لألقانة وحنة :

بدأ صموئيل خدمته أمام الرب وهو صبى متمنطقاً بأفود من الكتان (١ صم ٢ : ١٨) ، يلبسها كمعطف يُشد من الوسط بمنطقة . هذا ويرى **القديس جيروم** أن الأفود التى كانت تقدمها حنة لابنها هى لباس اللاويين لا الكهنة . هذه الأفود تختلف عن تلك التى صنعها جدعون (قض ٨ : ٢٨) وميخا (قض ١٧ : ٥) .

يؤكد الكتاب المقدس أن صموئيل بدأ خدمته وهو صبى ، بدأها فى جو كهنوتى فاسد للغاية ، لا يمكن إصلاحه أو مقاومته ... لكن الله الذى يخلص بالقليل كما بالكثير استخدم هذا الصبى للإصلاح .

كانت أمه تحضر له جبة صغيرة كل سنة ، وهى لباس الملوك والأنبياء والشرفاء . كانت لباساً داخلياً مصنوعاً من الصوف منسوجاً بدون خياطة يتدلى عند الرجلين (١ أى ١٥ : ٢٧ ؛ ١ صم ١٥ : ٢٧ ؛ أى ٢ : ٢) . هذه الجبة السنوية تمثل تجديداً مستمراً للعلاقات الأسرية المملوءة حباً ، فقد قدمت حنة ابنها

للرب ، هذه التقدمة لا تخلق جفافاً بينهما بل على العكس تؤكد حباً فى الرب . بتقديمها للجبة تجدد نذرها للرب وتؤكد صلواتها عن ابنها وتُذكّر الابن برسالته كمكرس ونذير للرب . ربما لقاؤها السنوى حفظ ابنها صموئيل من الانحراف والعثرة بسبب ابنى عالى الكاهن .

٤ـ تهاون عالى الكاهن مع ابنيه :

(أ) كان توبيخ عالى الكاهن لبنيه برخاوة فى غير حزم . لقد عرف أنهم يفسدون النساء المجتمعات فى باب خيمة الاجتماع ، فصار مقدس الله مكان نجاسة وفساد ، وتحوّل ميناء السلام إلى هلاك للنساء المتجندات لخدمة الخيمة . كل ما فعله عالى أنه كشف لهم عن خطورة تصرفاتهم دون القيام بأى تأديب ضدهم . لقد أعلن لهم : « تجعلون شعب الرب يتعدون . إذا أخطأ إنسان إلى إنسان يدينه الله فإن أخطأ إنسان إلى الرب فمن يصلى من أجله ؟! » ١ صم ٢٤ ، ٢٥ .

استخدم نوفتيان Novatian العبارة الأخيرة للغلق على باب التوبة فى وجه الساقطين . وقد ردّ عليه **القديس أمبروسيوس** قائلاً : [لم يُكتب : « لا يصلى أحد لأجله » بل كُتب « فمن يصلى من أجله ؟ » بمعنى أن السؤال هو : من يقدر أن يصلى عن هذه الحالة ؟! (مستصعباً الصلاة من أجله) دون أن يمنع الصلاة عنه[٢٢]] .

(ب) وسط الفساد وُجد رجل لله (نبى) أُرسل إلى عالى الكاهن قبل أن يجرى عليه القصاص (١ صم ٢ : ٢٧) ، يذكّره بالشرف الذى وهب الله عائلته منذ أيام هرون (خر ٤ : ١٤ـ١٦) ، إذ منحها الصعود على مذبح الله لتقديم صعائد ، وايقاد بخور له ولبس أفود (ملابس كهنوتية أو أدوات تُستخدم لإعلان الله عن إرادته لكهنته) ، كما وهبهم نصيباً كبيراً من التقدمات (لا ١٠ : ١٢ـ١٥) . بهذا لا يوجد عذر لعالى الكاهن فى تهاونه فى تأديب ابنيه المستخفين بالمقدسات الإلهية . كان هذا الإنذار فرصة جديدة أعطيت لعالى الكاهن من قبل الله ليضع الأمور فى نصابها ، لكنه خلال ضعف شخصيته لم يكرم الله بردع ابنيه وتأديبهما ، بل احتقره بتكريمه لابنيه الشريرين أو بتهاونه فى تأديبهما حسب

الشريعة (تث ١٣ : ٦—٩) التى تأمر ألا تشفق عين الإنسان ولا ترق للقريب ولا تتستر عليه على حساب المقدسات الإلهية .

(جـ) يقول الرب : « **حاشا لى . فإنى أكرم الذين يكرموننى والذين يحتقروننى يصغرون** » **١ صم ٢ : ٣٠** .

كيف نكرم الرب ؟ يجيب **القديس كبريانوس** إننا نكرمه بقبولنا البنوة لله والامتثال به كأولاد له (مت ٥ : ٤٣—٤٥) . [إنه مصدر فرح ومجد للبشر أن يكون لهم أبناء يتشبهون بهم ... كم بالأكثر يكون سرور الله عندما يُولد إنسان روحىّ فى أعماله وتسابيحه ويعلن السمو الإلهى فى حياته ؟![٢٣]] . ويقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لنكرمه بالإيمان كما بالأعمال ، فننال أيضا المكافأة بتمجيده . « فإنى أمجد (أكرم) الذين يمجدوننى » . حقاً فإنه إن لم توجد مكافأة فإن مجرد تمجيدنا الله هو تمجيد لنا ... لأنه أى مجد لنا أن يتمجد الله بنا ؟![٢٤]] . كما يقول : [فى تكريمنا لله نكرم أنفسنا . من يفتح عينيه لينظر نور الشمس يتقبل البهجة فيه ... من يكرمون الله إنما يفعلون هذا لخلاصهم ولعظم نفعهم ؛ كيف ؟ لأن من يتبع الفضيلة يمجد الله ... لنمجد الله ولنحمله فى أجسادنا وأرواحنا (١ كو ٦ : ٢٠)[٢٥]] .

(د) يقارن **القديس يوحنا الذهبي الفم** بين عالى رئيس الكهنة الذى نال كرامات عظيمة فسقط تحت الدينونة القاسية بسبب تهاونه وبين صموئيل النبى الذى رفضه الشعب (١ صم ٨ : ٧) فكرّمه الله نفسه ، فيقول عن الرعاة : [الإهانة مكسب لهم والكرامة ثقل عليهم[٢٦]] .

(هـ) أعلن رجل الله لعالى رئيس الكهنة تأديبات الرب له ولنسله :

I — انتقال الكهنوت من نسله (١ صم ٢ : ٣٠) ، إذ عزل أبياثار فى أيام سليمان وتعين صادوق من نسل أليعازار وتسلمه نسله حتى أيام السيد المسيح .

II — فقدان القوة من بيته إذ يموت نسله شباباً (١ صم ٢ : ٣١) .

III — يرى ضيق المسكن (١ صم ٢ : ٣٢) ، حيث يأخذ الفلسطينيون التابوت (١ صم ٤ : ١١) .

IV ـــ يشتهى نسله الموت ولا يجدونه : « ورجل لك لا أقطعه من أمام مذبحى يكون لإكلال عينيك وتذويب نفسك » ١ صم ٢ : ٣٣ .

قدم له علامة مرة للتأديب الإلهى وهى موت ابنيه فى يوم واحد (١ صم ٢ : ٣٣ ؛ ٤ : ١١) . لكن الرب لم يختم الحديث بهذا إنما فتح كعادته باب الرجاء ألا وهو مجيء الكاهن الحقيقى ، المسيا المخلص ، إذ يرى **القديس هيبوليتس** فى قول الله على لسان رَجُله : « وأقيم لنفسى كاهناً أميناً يعمل (كل شيء) حسب ما بقلبى ونفسى وأبنى له بيتاً أمينا فيسير أمام مسيحيى (مسحائى) كل الأيام ، ويكون أن كل من يبقى فى بيتك يأتى ليسجد له لأجل قطعة فضة ورغيف خبز ، ويقول ضمنى إلى إحدى وظائف الكهنوت لآكل كسرة خبز » ٢ : ٣٥ــ٣٦ نبوة عن مجيء السيد المسيح رئيس كهنة العهد الجديد . يقول : [كان كل الملوك والكهنة يدعون مسحاء ، إذ مسحوا بالدهن المقدس الذى أعده موسى قديماً . هؤلاء حملوا اسم الرب فى أشخاصهم ، مظهرين مقدماً الرمز ، ومقدمين صورة حتى يأتى الملك الكامل والكاهن الذى من السماء ، الذى وحده يعمل إرادة الآب[٢٧]] .

+ + +



فى وسط الظلام الخارجى الدامس ، « قبل أن ينطفىء سراج الله ... فى الهيكل » ٣ : ٣ دعا الله صموئيل ، ليقيمه سراجاً وسط شعبه ، يعلن إرادته الإلهية ويشهد للحق .

١ـــ دعوة صموائيل ١ ـــ١٤ .
٢ـــ حديث صموئيل مع عالى ١٥ـــ١٨ .
٣ـــ الله يسند صموئيل ١٩ـــ٢١ .

\+ \+ \+

١ـــ دعوة صموئيل :

(أ) يبدو أن الله دعا صموئيل قبيل الفجر ، وسط الظلام الخارجى الحالك ، إذ قيل : « وقبل أن ينطفىء سراج الله وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت العهد » ٣ : ٣ . جاء فى خر ٢٧ : ٢١ ، لا ٢٤ : ٢ ، ٣ أن السراج (المنارة) يُشعل من المساء حتى الصباح ، وكأن دعوة الرب جاءت قبل الصباح فى نهاية الليل .

بجانب الظلام الملموس وُجد ظلام آخر ، إذ قيل : « **وكانت كلمة الرب عزيزة فى تلك الأيام ؛ لم تكن رؤيا كثيرة** » ١ صم ٣ : ١ . عبر المرتل عن هذا الظلام بقوله : « لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد ؟!... آياتنا لا نرى ، لا نبى بعد ، ولا بيننا من يعرف حتى متى » مز ٧٤ : ١ ، ٩ ، كما عبّر عنه عاموس النبى : « هوذا أيام تأتى يقول السيد الرب أرسل جوعاً فى الأرض ، لا جوعاً للخبز ، ولا عطشاً للماء ، بل لاستماع كلمات الرب » عا ٨ : ١١ .

وسط هذا الظلام الحالك ، والمجاعة الروحية ، أعد الله صبياً صغيراً يخدم الهيكل (خيمة الاجتماع) بأمانة ، خلاله ينير الله وسط شعبه . هكذا فى كل جيل يقيم الله بقية أمينة تشهد له وتخدمه بالروح والحق . فعندما سقط الشعب فى

العبودية أرسل لهم موسى ، وعندما ثار أريوس ضد لاهوت المسيح أرسل الله أثناسيوس الرسولى وهكذا يبقى الله ساهراً على كنيسته حتى إن ظن الظلام أنه قد ساد . بمعنى آخر . بقوله : « قبل أن ينطفىء سراج الله » ١ صم ٣ : ٣ عنى أنه وسط الظلام كان صاحب البيت نفسه — يهوه — ساهراً ، قائماً على بيته ، مهتما برعاية شعبه(٢٨) .

(ب) إذ قدم لنا الكتاب المقدس الظروف التى خلالها دعا الله صموئيل ، يقول : « **كان عالى مضطجعاً فى مكانه وعيناه ابتدأتا تضعفان ، لم يقدر أن يبصر ... وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله** » ١ صم ٣ : ٢ ، ٣ . لم يكن صموئيل مضطجعاً فى ذات الخيمة ، القدس أو قدس الأقداس ، وإنما فى أحد الأبنية الملحقة به وكان عالى مضطجعاً فى حجرة أخرى فى ذات المبنى ، ومع هذا قيل عن صموئيل إنه كان مضطجعاً فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله بينما قيل عن عالى إنه مضطجع فى مكانه ؛ لماذا ؟ من حيث الجسد كان كلاهما مضطجعين فى مبنى واحد ، لكن فى عينى الله حُسِب صموئيل أنه فى هيكل الرب أمام تابوت الله حتى فى لحظات نومه ، إذ يقول مع العروس : « أنا نائمة وقلبى مستيقظ » نش ٥ : ٢ . بجسده ينام خارج الخيمة أما قلبه فكان ملاصقاً لها ، فى داخلها . أما عالى رئيس الكهنة فكان نائماً فى مكانه ، أى حيث يوجد جسده تبقى نفسه حبيسة المكان !

كان صموئيل نائماً لكن بصيرته مستنيرة تعاين القدسات ، أما عالى فلم يقدر أن يبصر ! لقد دبت فيه شيخوخة العجز الداخلى وأصيبت بصيرته بالعمى خلال تهاونه بالمقدسات الإلهية بسبب ابنيه !

(جـ) قيل « **ولم يعرف صموئيل الرب بعد ولا أُعلن له كلام الرب بعد** » ١ صم ٣ : ٧ . شتان بين عدم معرفة صموئيل وعدم معرفة ابنى عالى ، صموئيل لم يكن بعد قد تعرف عليه خلال صوته والرؤى لكنه تعرف عليه خلال الإيمان والخبرة اليومية ، أما ابنا عالى فلم يعرفاه إذ لم يتمتعا بالطاعة والمحبة وخبرة الشركة معه .

فى ملء الزمان لم نسمع الصوت فحسب — كما حدث مع صموئيل النبى — وإنما جاء الكلمة الإلهى ذاته متجسداً ، وحلّ بيننا لنعاينه ونتعرف عليه ونثبت

فيه ، فيحملنا إلى حضن أبيه ويكشف لنا أسراره الإلهية . هذه هى المعرفة التى لأجلها تهلل يسوع رب المجد عندما قدمها للمؤمنين خلال البساطة (لو ١٠ : ٢١) . وقد دعا **القديس اكليمندس الاسكندرى** المسيحىّ الحق « غنوسياً » أى صاحبَ معرفة روحية ، غايته أن يتعرف على الله (الحق) ويراه[٢٩] ، أى يعبر إلى كمال المعرفة خلال الإيمان ، وذلك بخبرة الحياة النقية والتأمل الدائم . هذه المعرفة هى هبة إلهية نتقبلها خلال الابن ، بقبولنا إياه وتشبهنا به ، أى خلال نقاوة القلب نعاين الله وندرك ما يبدو للآخرين غير مُدْرَك[٣٠] .

(د) نادى الرب صموئيل ، وكان الصبى فى حوالى الثانية عشرة من عمره كما يقول يوسيفوس . سمع الصوت لأن أوتار قلبه تحمل حساسية لتسمع صوت الله وان كان قد ظنه صوت عالى الكاهن .

إذ سمع الصوت ظن عالى يناديه لذلك « **ركض إلى عالى وقال : هأنذا لأنك دعوتنى** » ١ صم ٣ : ٤ . بلا شك كان صموئيل يرى بعينيه عثرات ابنى عالى وفسادهما ، لكنه فى روح الحب والاتضاع إذ سمع الصوت « ركض » ، أى جرى مسرعاً لئلاً يكون عالى فى حاجة إلى خدمة أو مساعدة . لقد تدرب على خدمة الغير بفرح بلا تردد دون النظر إلى استحقاقاتهم . والعجيب أن الأمر تكرر ثلاث مرات ، وفى كل مرة يسرع إلى الكاهن الشيخ دون تذمر مع أن الوقت كان قبل الفجر . عاش صموئيل الصبى يخدم الكاهن الشيخ ويطلب إرشاده مطيعاً له .

يفتتح القديس يوحنا كليماكوس مقاله عن « الطاعة » بكونها مع الشعور بالغربة يمثلان جناحين ذهبيين يصعدان الإنسان كحمامة إلى السماء (مز ٥٤ : ٦) ، على أن تكون الطاعة « حباً فى المسيح »[٣١] .

+ الطاعة التى هى بنت الاتضاع ليست أن يصنع الإنسان ما يشاء ... ولكن هى أن يقطع الإنسان جميع هوى نفسه ، ويعمل هوى الذى ائتمنه على نفسه ، يعنى الأب الروحانى ، دفعة واحدة .

مار فيلوكسينوس[٣٢]

+ طريق الطاعة هو أقصر المسالك وإن يكن أكثرها صعوبة .

القديس يوحنا الدرجى[٣٣]

(هـ) نادى الرب صموئيل باسمه شخصياً ، ومع هذا لم يكن ممكنا لهذا المبارك أن يتعرف عليه ويلتقى به دون إرشاد عالى الكاهن الذى اتسم بالتهاون فى حق الله مع أولاده . هكذا يليق بنا ألا نستهين بالكاهن كمرشد وأب ، إذ يقودنا للقاء الشخصى مع الله أبينا والرب يسوع مخلصنا بواسطة روح الله القدوس .

+ الله لم يعلم صموئيل النبى بالحديث المباشر ولا بالحوار الإلهى ، بل سمح له بالذهاب مرة فأخرى إلى الشيخ (عالى الكاهن) . لقد شاء أن يتدرب ذاك الذى استحق سماع صوت الله على يدى (عالى) الذى أغضب الله ... حتى يختبر ذاك الذى دُعى إلى وظيفة إلهية حياة الاتضاع ، ويكون قدوة للشباب فى هذا الأمر .

الأب موسى[٣٤]

+ يقول سفر الأمثال : « الذين ليس لهم تدبير يسقطون كالأوراق ، أما الأمان ففى كثرة المشورة » أم ١٤ : ١١ (راجع الترجمة السبعينية) ... انظروا ماذا يعلمنا الكتاب المقدس . إنه يؤكد لنا أنه يلزمنا ألا نقيم أنفسنا كمركز قيادة ، فنحسب أنفسنا ثاقبى الفكر ، ونعتقد أننا قادرون على توجيه أنفسنا . نحتاج إلى عون وإرشاد بجانب نعمة الله . ليس من بائس ولا مَن يُصطاد بسهولة فى غير حذر مثل ذاك الذى لا يقوده أحد فى طريق الله ...

كيف يمكننا أن نتعرف على إرادة الله أو نطلبها كاملة إن وثقنا فقط فى أنفسنا وتشبثنا بإرادتنا الذاتية ؟ لذلك اعتاد الاب بومين Poemen أن يقول : « الإرادة (الذاتية) هى حائط نحاسى يفصل بين الله والإنسان »[٣٥] ...

إن أراد إنسان الأمان لنفسه عليه أن يعرى كل أفكاره الخفية ويسمع من مرشد مختبر : « افعَل هذا ، وتجنب ذلك . هذا حق وذاك لا . هذه فضيلة وتلك إرادة ذاتية » . أو مرة أخرى يسمع : « إنه ليس وقتاً مناسباً لعمل هذا » وفى وقت آخر : « الآن وقت لائق لعمل هذا » . بهذا لا يجد الشيطان فرصة لأذيته وضربه ، إذ يكون على الدوام فى حالة ضبط وحذر وفى أمان .

الأب دوروثيؤس من غزة[٣٦]

+ من يعتمد على رأيه الذاتى ولو كان قديساً فهو مخدوع ، وخطر خداعه أخطر من خطر المبتدىء الذى سلم تدبيره بيد غيره .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٣٧]

+ من يسمع من آبائه فمن الرب يسمع ... ومن لا يسمع منهم فلا يسمع من الرب .

القديس أنبا أنطونيوس[٣٨]

-١

(و) « **فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الأُوَل : صموئيل صموئيل** »

٣ : ١٠ . هكذا يصور لقاء الله مع صموئيل كأنما قد ترك الرب عرشه الشاروبيمى ونزع الحجاب **ليقف** فى المسكن المقدس يدعو الصبى . يا له من تنازل إلهى عجيب ، ومحبة فائقة له نحو الإنسان ! الله يقف ليدعو صبياً إلى عمل فائق !

(ز) جاءت إجابة صموئيل : « **فإن عبدك سامع** » تعلن أن جوهر النبوة هو الاستماع والطاعة للصوت الإلهى . هكذا تدرب صموئيل النبى منذ طفولته على الطاعة ، مدركاً أنها أفضل من ذبائح كثيرة ، الأمر الذى لم يختبره شاول الملك (١ صم ١٥ : ٢٢) .

٢ـــ حديث صموئيل مع عالى :

تحدث الرب مع صموئيل عن أمور مستقبلة كأنها تتحقق فى الحاضر (١ صم ٣ : ١١) ، معلناً له أنه يحقق ما سبق أن تكلم به عن بيت عالى من أمور مخيفة قائلاً له : « أقسمت لبيت عالى أنه لا يكفر عن شر بيت عالى بذبيحة أو بتقدمة إلى الأبد » ١ صم ٣ : ١٤ . لم يذكر له تفاصيل العقوبة ، إذ لا حاجة لتكرارها ، إنما كانت كلمات الرب واضحة وصريحة وحازمة ، ربما ليعطى لعالى وابنيه فرصة للتوبة ... خاصة أن هذا الحديث تم قبل تحقيق الأحداث بحوالى عشر سنوات ...

لقد خاف صموئيل أن يخبر عالى بالرؤيا (١ صم ٣ : ١٥) ، ليس خوفاً من أن يغضب عليه ، وإنما خشية جرح مشاعره وهو شيخ وقور وأب محبوب لديه

جداً ، لم يرد أن يكدره . لكن إذ طلب منه عالى تحدث فى صراحة ولم يخفِ عنه شيئاً .

كانت إجابة عالى تكشف عن تقواه بالرغم من ضعف شخصيته أمام ابنيه ، إذ قال : « **هو الرب ، ما يحسن فى عينيه يعمل** » ١ صم ٣ : ١٨ .

٣ــ الله يسند صموئيل :

إذ دعا الله صموئيل لعمل نبوى قيادى أعطاه امكانيات العمل ألا وهى :

(أ) المعية مع الله : « **وكبر صموئيل وكان الرب معه** » ٣ : ١٩ ... الله نفسه هو سر قوة أولاده ، يرافقهم ليهبهم نفسه ويقدم إمكانياته الإلهية بين أيديهم فلا يعوزهم شيء . هذه هى عطيته لمحبوبيه ، معيته لهم ، كما حدث مع إبراهيم (تك ٢١ : ٢٢) ويعقوب (تك ٢٨ : ١٥) ويوسف (تك ٣٩ : ٢) وموسى (خر ٣ :١٢) ويشوع (يش ١ : ٥) وجدعون (قض ٦ : ١٦) وداود (١ صم ١٦ : ١٨) .

سر قوة معلمنا بولس الرسول فى خدمته هو إدراكه تمتعه بنعمة الله التى هى فى جوهرها تجلى الله نفسه فى حياته ، لذا قال : « لا أنا بل نعمة الله التى معى » ١ كو ١٥ : ١٠ .

+ الله هو الكرّام ، ولو تمّ على أيدى الأنبياء أو الرسل فهو الكرّام . فماذا نكون نحن ؟ ربما عمال لدى الكرّام ، نعمل بقوته وبنعمته الممنوحة لنا من لدنه .

القديس أغسطينوس[٣٩]

+ « هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله » ١ كو ٤ : ١ . فالوكيل يقوم بإرادة أمور موكله حسناً دون أن ينسب لنفسه ما لموكله ... أتريد أن ترى مثالاً لوكلاء أمناء ؟ اسمع ما يقوله بطرس : « لماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى » أع ٣ : ١٢ . وعند كرنيليوس أيضا قال : « قم أنا أيضا إنسان » ... وبولس الرسول لم

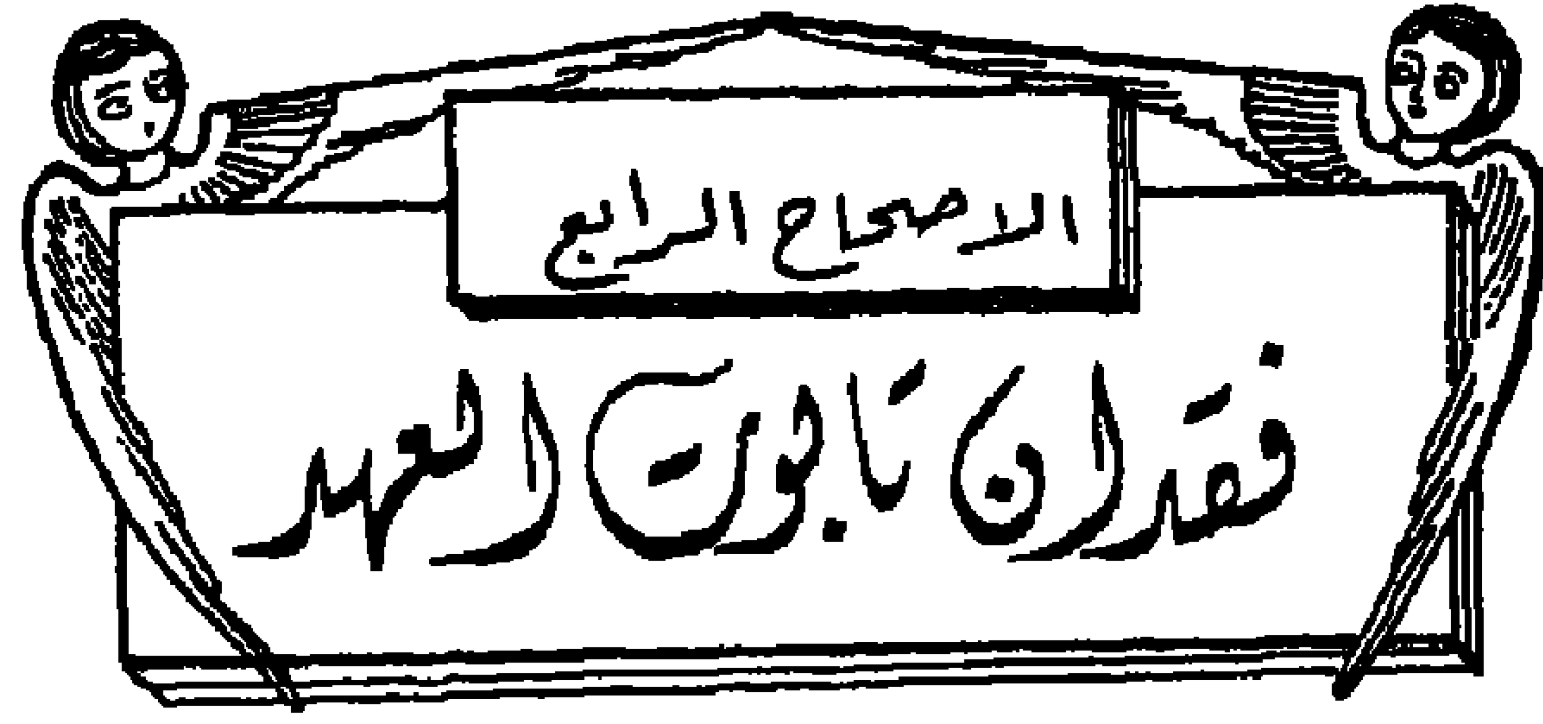
يَقِلُّ عنه أمانة فى قوله : « أنا تعبت أكثر من جميعهم ؛ ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى » ١ كو ١٥ : ١٠ .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٤٠]

(ب) أعطاه نعمة فى عينى شعبه إذ « لم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض ؛ وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بير سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبياً للرب » ٣ : ١٩ ، ٢٠ . تعبير « من دان إلى بئر سبع » يعنى أنه من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، أى فى كل أرجاء البلاد (قض ٢٠ : ١) .

(جـ) بدأ الله يتراءى فى شيلوه معلناً ذاته لصموئيل بكلمته ليقطع فترة الظلمة حيث كانت كلمة الرب عزيزة (١ صم ٣ : ١) .

+ + +



إذ خرج إسرائيل لمحاربة الفلسطينيين ، دون تقديس لحياتهم أو استشارة الرب ، انهزموا . عوض التوبة والرجوع إلى الله حملوا تابوت العهد إلى المعركة مع الكاهنين حفنى وفينحاس . أخذ تابوت العهد منهم ومات حفنى وفينحاس وسقط من إسرائيل ثلاثون ألفاً وانكسرت رقبة عالى الكاهن ومات !

١ـــ أخذ تابوت العهد ١ ـــ ١١ .

٢ـــ موت عالى الكاهن ١٢ـــ١٨ .

٣ـــ ميلاد ايخابود بن فينحاس ١٩ـــ٢٢ .

+ + +

١ـــ أخذ تابوت العهد :

فى قض ١٣ : ١ قيل إن الرب دفع إسرائيل ليد الفلسطينيين أربعين سنة ، ربما الحوادث المذكورة هنا كانت خلال هذه الفترة . لقد نزل الفلسطينيون إلى أفيق والإسرائيليون إلى حجر المعونة بالقرب منهم فى مواجهتهم .

« أفيق »(٤) كلمة عبرية ربما تعنى « قوة » أو « حصن » ، وُجدت خمس مدن تحمل ذات الاسم ، من بينها هذه المدينة وهى كنعانية سبق أن استولى عليها يشوع (يش ١٢ : ١٨) . اجتمع فيها الفلسطينيون مرتين لمحاربة إسرائيل ، مرة فى زمن عالى الكاهن (١ صم ٤ : ١)والأخرى فى زمن شاول الملك (١ صم ٢٩ : ٤) . موقعها حالياً رأس العين على ما يظن . .أعيد بناء المدينة فى القرن الأول ق.م. بواسطة هيرودس ودعاها أنتيباتريس على اسم والده ؛ قضى فيها بولس ليلة خلال رحلته من أورشليم إلى قيصرية (أع ٢٣ : ٣١).

حجر المعونة : أخذت هذا الاسم بعد الحوادث المذكورة بحوالى ٢٠ عاماً (١ صم ٧ : ١٢) . تدعى بالعبرية Ebenezer (eben-ha-ezer) ، إذ وضع صموئيل حجراً تذكارياً بين المصفاة والسن ، فى جنوب شرقى أفيق .

دارت المعركة بين الطرفين فانهزم إسرائيل جزئياً فى الحقل حيث قُتل منهم أربعة آلاف رجل (١ صم ٣ : ٢) ، فرجع الشعب إلى المحلة . هنا نسمع عن الشعب وليس عن رجال حرب أو عن جيش ، فقد كان الشعب يحارب بغير استعداد وفى غير نظام ، بجانب فظاعة فساده الخلقى .

تساءل شيوخ إسرائيل : « **لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين ؟** » ١ صم ٣ : ٣ . كان يلزم أن تكون الإجابة : بسبب الفساد والانحراف عن الله ، فيرجعوا إليه بالتوبة ويحلّ فى وسطهم كسرّ غلبتهم . لكن ما حدث هو تغطية على الفساد بحمل التابوت فى وسطهم ليخلصهم من أعدائهم . وبالفعل جاءوا به من شيلوه مع الكاهنين الفاسدين حفنى وفينحاس ، وقد عبّر المرتل عن ذلك بقوله :

« فجربوا وعصوا الله العلىّ ، وشهاداته لم يحفظوا ...
انحرفوا كقوس مخطئة .
أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم .
سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً .
ورفض مسكن شيلو الخيمة التى نصبها بين الناس .
وسلم للسبى عزّه وجلاله ليد العدو .
ودفع إلى السيف شعبه وغضب على ميراثه .
مختاروه أكلتهم النار وعذاراه لم يُحمدن .
كهنته سقطوا بالسيف وأرامله لم يبكين » مز ٧٨ : ٥٦ـــ٦٤ .

لماذا سمح الله بذلك ؟

(أ) إحضارهم للتابوت لم يكن يحمل رجوعاً قلبياً إلى الله بالتوبة وإنما اتكلوا على شكليات العبادة الظاهرة . هذا ما تكرر عبر الأجيال ، ففى أيام إرميا النبى ظن القادة والشعب أن الله لن يسلم مدينة أورشليم ـــ بكونها مدينة الرب ـــ ولا هيكله بالرغم من إنذارات الرب لهم الكثيرة والمتكررة بواسطة الأنبياء ، وعوض التوبة صاروا ينشدون : « هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو » إر ٧ : ٥ . اتكلوا على « كلام الكذب الذى لا ينفع » إر ٧ : ٨ فسُبيت

أورشليم وهدم الهيكل . هذا أيضا ما أعلنه حزقيال النبى إذ قال : « وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ... وصعد مجد الرب من على وسط المدينة » حز ١٠ : ١٨ ؛ ١١ : ٢٢ .

يقول : **القديس أغسطينوس** معلقاً على المزمور السابق :

[« رفض مسكن شيلوم الخيمة التى نصبها بين الناس » مز ٧٨ : ٦٠ لقد أوضح بكياسة لماذا رفض خيمته عندما قال : « التى نصبها بين الناس » . فإنهم إذ صاروا غير مستحقين أن يسكن هو بينهم فلماذا لا يرفض الخيمة التى بحق أقامها ليس لأجله بل لأجلهم ، هؤلاء الذين يُحكم الآن عليهم أنهم غير أهل لسكناه فى وسطهم .

« وسلم للسبى عزهم (فضيلتهم) وجمالهم ليد العدو » مز ٧٨ : ٦١ . التابوت ذاته الذى حسبوه أنه لا يُقهر ... دعاه « فضيلتهم » و « جمالهم » (هذا سلمه للسبى) . أخيراً ، إذ عاشوا فى الشر وافتخروا بهيكل الرب — فيما بعد — أرعبهم بنبى قائلاً لهم : « انظروا ما صنعت بشيلو حيث كانت خيمتى » (راجع إر ٧ : ١٢) .

« ودفع إلى السيف شعبه وغضب على ميراثه » مز ٧٨ : ٦٢ .

« شبابهم أكلتهم النار » ، أى أكلهم الغضب (الإلهى) .

« وعذاراهم لم ينحن » مز ٧٨ : ٦٣ ، إذ لم يكن ذلك ملائماً بسبب الخوف من العدو .

« كهنتهم سقطوا بالسيف وأراملهم لم يبكين » مز ٧٨ : ٦٤ . لأن ابنى عالى سقطا ، وصارت زوجة أحدهما أرملة وقد ماتت فى الحال وهى تلد (١ صم ٤ : ١٩) ؛ هذه لم تقدر أن تبكى بسبب الارتباك ولم تميز الجنازة[٤٢]] .

(ب) جاء حفنى وفينحاس إلى المعركة ومعهما التابوت ؛ لقد كانا فاسدين ومفسدين للشعب ، وقد ظنا أن الله يلتزم أن يحارب عن الشعب ليس من أجلهما ، إنما من أجل التابوت بكونه يمثل الحضرة الإلهية . حقاً لقد أعلن الله أنه قادر أن يحمى التابوت وأن يدافع عن مجده لكنه بعد تأديب الشعب مع الكهنة بسبب فسادهم .

إذ تحدث المرتل عن تسليم الرب للتابوت والخيمة فى أيدى الأعداء وتأديب شعبه وكهنته ، أضاف « فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر ، فضرب أعداءه إلى الوراء ؛ جعلهم عاراً أبدياً » مز ٧٨ : ٦٥ ، ٦٦ يعلق **القديس أغسطينوس** قائلاً : [« فضرب أعداءه فى مواضع مخفية » بمعنى أن الذين تهللوا بأنهم قادرون على أخذ التابوت قد ضُربوا فى مواضع من وراء (البواسير) ... هم أحبوا الأمور التى من خلف لذلك بعدل تألمت هذه المواضع فيهم(٤٣)] .

(جـ) عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة هتف جميع اسرائيل هتافاً عظيماً حتى ارتجت الأرض . أمام هذا الهتاف خاف الفلسطينيون ، قائلين : « **قد جاء الله إلى المحلة** » ١ صم ٤ : ٧ .

لقد هتفوا بألسنتهم وحناجرهم حتى ارتجت الأرض ، أما قلوبهم فكانت ساكنة لا تتحرك نحو الله بالتوبة ، ولا ارتجت أجسادهم التى تدنست . لهذا حتى وإن خاف الفلسطينيون لكنهم عوض التراجع ازدادوا حماساً وتشددوا ليستعبدوا إسرائيل ، وصارت لهم الغلبة ولكن إلى حين .

هتف الشعب بألسنتهم ، ولم يدركوا أن الغلبة لا بهتاف اللسان إنما بنقاوة القلب والطاعة لله ، كما جاء فى سفر التثنية : « وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التى أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض ... يجعل الرب أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك . فى طريق واحدة يخرجون عليك وفى سبع طرق يهربون أمامك » تث ٢٨ : ١ ، ٧ ؛ « ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك ... يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك . فى طريق واحدة تخرج عليهم وفى سبع طرق تهرب أمامهم وتكون قلقاً فى جميع ممالك الأرض » تث ٢٨ : ١٥ ، ٢٥ . لهذا يقول المرتل : « إن راعيت إثماً فى قلبى لا يستمع لى الرب » مز ٦٦ : ١٨ . يعلق **القديس أغسطينوس** على كلمات المرتل قائلاً : [ارجع إلى نفسك ، كن دياناً لنفسك فى الداخل . تطلع إلى مخدعك الخفى ، فى أعماق قلبك ، حيث هناك تكون أنت وذاك الذى تراه (الله) وحدكما ، هناك فليكن الإثم مكروها لديك ، فتكون أنت موضع سرور الله(٤٤)] .

٢ـــ موت عالى الكاهن :

إذ حدثت الضربة العظيمة [انكسار الشعب ، قتل ٣٠,٠٠٠ شخص ، موت الكاهنين ، أخذ تابوت العهد] ركض رجل بنياميني إلى شيلوه ليبلغ الخبر ، وكانت على بعد حوالى ٢٠ ميلاً من حجر المعونة . جاء أمام رئيس الكهنة وقد مزق ثيابه ووضع تراباً على رأسه ليجد عالى يراقب الطريق « **لأن قلبه كان مضطرباً لأجل تابوت الله** » ١ صم ٤ : ١٣ . واضح أن عالى لم يكن موافقاً على حمل التابوت إلى الميدان ، لكنه خضع لإرادة الشعب .

إذ جاء الرجل يخبر بما حدث صرخت المدينة كلها ، فاستدعى عالى الكاهن ـــ المتقدم فى السن والفاقد البصر ـــ الرجل ليسمع منه الخبر الذى سمع الأخبار المؤلمة والخاصة بانكسار الشعب وموت الكثيرين وأيضا موت ابنيه أما خبر أخذ التابوت فلم يحتمله ، إذ سقط عن الكرسى إلى الوراء إلى جانب الباب فانكسرت رقبته ومات .

لقد قضى لإسرائيل أربعين عاماً (١ صم ٤ : ١٨) ، لكن تهاون ابنيه فى مقدسات الله أفقده كل ثمر ، وأنهى حياته بصورة مؤسفة .

٣ـــ ميلاد ايخابود بن فينحاس :

لقد دعت امرأة فينحاس طفلها « ايخابود » (= أين المجد)[٤٥] ، قائلة : « زال المجد من إسرائيل لأن تابوت الله قد أُخذ » ٤ : ٢٢ . لقد أخطأت الفهم ، فإن الواقع أن التابوت قد أُخذ لأنه قد زال المجد من إسرائيل . فقد إسرائيل مجده بانحرافه عن الله وزيغانه عنه لذلك أسلم الله التابوت للأعداء لتأديب الطرفين معاً .

لقد كانت نكبتها فى أخذ التابوت أشد وقعاً على نفسها من موت حميها ورجلها . لقد أدركت أن خسارتها بموت حميها وموت رجلها وخسارة ابنها بموت أبيه قبل أن يولد أمر لا يُذكر أمام خسارة الشعب بفقدان التابوت ، علامة ترك الله شعبه .

+ + +



سمح الله للفلسطينيين أن يأخذوا تابوت العهد لأجل تأديب إسرائيل ، ليدركوا أنهم بالانحلال فقدوا حلول الله فى وسطهم . وفى نفس الوقت أعلن الله مجده وقدرته إذ سقط داجون معبود الفلسطينيين وتحطم أمام التابوت وحلت بهم الأمراض لذا فكروا فى إعادته .

١ــ سقوط داجون أمام التابوت ١ ــ ٥ .

٢ــ ضرب أهل أشدود بالبواسير ٦ ــ ٨ .

٣ــ ضرب أهل جت بالبواسير ٩ .

٤ــ ضرب العقرونيين بالبواسير ١٠ .

٥ــ قرار جماعي بإعادة التابوت ١١ــ١٢ .

\+ + +

١ــ سقوط داجون أمام تابوت العهد :

يبقى الله أميناً بالرغم من عدم أمانتنا (٢ تى ٢ : ١٣) ، فإن كان بسبب انحلال شعبه سلم تابوت عهده للوثنيين لكنه أظهر قوته ومجده بسقوط داجون معبودهم . كان يلزم لأهل أشدود أن يدركوا أنه لا شركة بين الله وداجون فى بيت واحد ، وأن يقبلوا الواحد دون الآخر . لكنهم تجاهلوا الأمر فجاءوا فى الصباح التالى ليجدوه أيضاً ساقطاً ورأسه ويداه مقطوعة على عتبة البيت . لقد أكد لهم أن معبودهم بلا رأس ، عاجز عن القيادة والتدبير ؛ وأيضا بلا يدين عاجز عن العمل لحسابهم .

إن كنا قد أقمنا فى القلب أو الفكر معبوداً كداجون ، مثل محبة المال أو شهوة الجسد أو حب انتقام أو محبة المجد الباطل ... فإن دخول رب المجد يسوع وقبوله فى أعماقنا يحطم داجون ، ينزل به إلى الأرض ويقطع رأسه ويديه على العتبة كى نطأها تحت أقدامنا . يقول **القديس أغسطينوس** [ليدخل تابوت العهد

قلوبكم ، وليسقط داجون إن أردتم . لتصغوا الآن ولتتعلموا أن تشتاقوا إلى الله . كونوا مستعدين أن تتعلموا كيف ترون الله[٤٦]] .

لقد وجدوا رأس داجون ويديه مقطوعة على العتبة (١ صم ٥ : ٤) ، علامة الانحدار والاحتقار ، إذ صارت هذه الأعضاء موضع الدوس بالأقدام . هكذا كل فكر مقاوم لله وكل عمل مضاد لإرادته قد يتشامخ إلى حين لكن نهايته المذلة والمهانة من الجميع .

داجون : يقال إن اسمه مشتق من الكلمة العبرية « داج » وتعنى سمكة[٤٧] . إله فلسطينى له رأس إنسان ويدا إنسان أما بدنه فعلى شكل سمكة . يعتبر إله الخصوبة مثل Ceres ذلك لأن البحر يفيض بسمك كثير . هذا الإله لم يكن فى الأصل يمثل العبادة القومية للفلسطينيين بل هو إله سامى تبناه الفلسطينيون بعد الغزو السامى على كنعان . عبادة الإله داجون (داجان) فى منطقة ما بين النهرين ترجع إلى الأسرة الثالثة لأور فى القرن ٢٥ ق.م. عُرفت عبادته بين الأموريين والأشوريين. هدم يوناثان معبد داجون بأشدود وذلك فى عهد المكابيين (١ مك ١٠ : ٨٤)[٤٨] .

جاء الفلسطينيون بتابوت العهد إلى بيت داجون بكونه فى ذلك الوقت من أعظم آلهتهم ؛ جاء هذا التصرف كعلامة على غلبتهم لا على إسرائيل فحسب وإنما على إلههم ، حاسبين أن داجون انتصر على إله اسرائيل الذى أنقذهم من مصر ، لكن هذا الافتخار لم يدم طويلاً .

فى كبرياء وعجرفة وضع الفلسطينيون تابوت العهد ــ وهم يدركون أنه يمثل الحضرة الإلهية ــ فى بيت داجون ، فتحدث معهم الله باللغة التى يفهمونها ألا وهى لغة المرض وحلول الكوارث ، إذ ضرب أهل أشدود بالبواسير وبضربه الفيران.

٢ــ ضرب أهل أشدود بالبواسير :

« فثقلت يد الرب على الأشدوديين وأخرجهم وضربهم بالبواسير فى أشدود وتخومها » ٥ : ٦ . وكأن تابوت العهد الذى هو سبب نصرة وبركة للمؤمنين إن عاشوا فى حياة قدسية بالرب ، يصير هو نفسه سبب شقاء لغير المؤمنين ، وكما يقول الرسول بولس : « فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن

المخلصين فهى قوة الله » ١ كو ١ : ١٨ . « لأن رائحة المسيح الذكية لله فى الذين يخلصون وفى الذين يهلكون ، لهؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة » ٢ كو ٢ : ١٥ ، ١٦ .

« البواسير » هنا ربما تعنى طاعوناً يصيب الغدد اللمفاوية والفخذ .

جاء فى الترجمة السبعينية أن البلاد ضُربت أيضا بالفيران على غير العادة وأكلت محصولاتهم .

إذ شعر أهل أشدود أن يد الرب قست عليهم وعلى إلههم داجون أرسلوا إلى أقطاب الفلسطينيين يطلبون مشورتهم بخصوص « تابوت إله اسرائيل » . غالبا ما تشاور أقطاب المدن الخمس الرئيسية : أشدود وغزه وأشقلون وجت وعقرون وقرروا نقل التابوت إلى مدينة جت . جاء قرارهم فى الغالب لظنهم أنه متى انتقل التابوت من بيت الصنم يرفع الله غضبه عنهم . لم يدركوا أنه لا يمكن أن يبقى التابوت فى وسطهم مادام داجون أو غيره محتلاً قلوبهم الداخلية . ربما أيضاً ظنوا أن ما حدث فى بيت داجون كان عرضاً ، لذا أرادوا نقل التابوت للتأكد من دور التابوت وقدرته .

« **أشدود** » ربما تعنى « قوة »[٤٩] ، اسمها الحالى أشدود تبعد حوالى ١٩ ميلا جنوب غرب ليدا ، فى منتصف الطريق بين غزة ويافا . كانت فى القديم تستخدم كمدينة تابعة لميناء . هى إحدى مدن فلسطين الخمس العظمى ، ومركز لعبادة الإلهة داجون . هدم عزيا ملك يهوذا أسوارها (٢ أى ٢٦ : ٦) . حاصرها ترتان ــ القائد الأشورى أثناء حكم سرجون ــ وأخذها (إش ٢٠ : ١) . هددها عاموس (١ : ٨) وصفنيا (٢ : ٤) وزكريا (٩ : ٦) .

قاوم أهلها إعادة بناء أسوار أورشليم فى أيام نحميا (نح ٤ : ٧) . كما أخذ بعض اليهود الراجعين من السبى زوجات من أهلها فلقوا قصاصاً صارماً من نحميا (نح ١٣ : ٢٣ ، ٢٤) . استولى عليها المكابيون مرتين فى القرن الثانى ق.م ؛ فى المرة الثانية خربوا هيكل داجون (١ مك ٥ : ٦٨ ؛ ١٠ : ٨٤) . فى أشدود نادى فيلبس الرسول بالإنجيل (أع ٨ : ٤) .

٣ــ ضرب أهل جت بالبواسير :

« جت » كلمة عبرية تعنى « معصرة »[٥٠] ، وهى إحدى مدن فلسطين الخمس العظمى : أشدود ، جت ، عقرون ، غزة ، أشقلون (١ صم ٦ : ١٧) . أغلب الدارسين يرون أن موقعها الحالى « عراك المنشية » تبعد حوالى ٧ أميال غرب بيت جبرين . كانت إحدى مدن العناقيين (يش ١١ : ٢٢) ، نشأ فيها العمالقة (٢ صم ٢١ : ٢٢ ، ١ أى ٢٠ : ٢١) ، أشهرهم جليات الجبار الذى قتله داود النبى (١ صم ١٧) . كانت أحد حصون الفلسطنيين ، أخذها داود منهم (٢ صم ١٥ : ١٨ ، ١ أى ١٨ : ١) ثم تناقلت بين أيدى الفلسطنيين (١ مل ٢ : ٣٩) ويهوذا (٢ أى ١١ : ٨) وآرام (٢ مل ١٢ : ١٧) ثم يهوذا (٢ مل ١٣ : ٢٥) فالفلسطنيين الخ ...

إذ نُقل تابوت العهد إلى جت كانت الضربة أشد حتى يدرك الفلسطينيون أن ما يحدث ليس اعتباطاً إنما هو تأديب إلهى ، إذ قيل : « **إن يد الرب كانت على المدينة باضطراب عظيم جداً ، وضرب أهل المدينة من الصغيرة إلى الكبيرة ونفرت لهم البواسير** » ١ صم ٥ : ٩ .

٤ــ ضرب أهل عقرون بالبواسير :

المدينة الشمالية من مدن الفلسطينيين الخمس العظمى ، تسمى الآن « عاقر » . وهى قرية صغيرة تقوم على تل ، تبعد حوالى ١٢ ميلاً من يافا . كانت فى البداية من نصيب يهوذا ، على تخومه الشمالية ثم أُعطيت لدان ، وقد استرجعها الفلسطينيون بعد مدة . عبد أهلها بعل زبوب (٢ مل ١ : ٢) . هددها عاموس (١ : ٨) وصفنيا (٢ : ٤) وإرميا (٢٥ : ٢٠) وزكريا (٩ : ٥) . أعطاها الاسكندر ليوناثان كمكافأة له لنصرته على أبولونيوس (١ مك ١٠ : ٨٩)[٥١] .

إذ نقل إليها تابوت العهد على غير رغبة شعبها كانت يد الله ثقيلة جداً هناك ، فصرخوا « **فصعد صراخ المدينة إلى السماء** » ١ صم ٥ : ١٢ . لقد طلبوا عودة التابوت إلى مكانه .

٥ــ قرار جماعى بإعادة التابوت :

يعتبر هذا القرار شهادة لقداسة الله وقدرته . وكأن الله استخدم حتى شرهم لاستنارتهم ؛ منذ البداية كانوا يعلمون أنه إله قوى خلص شعبه من مصر بعجائب (١ صم ٤ : ٧ ، ٨) لكنهم تشددوا لمقاومته ، أما الآن فقد أيقنوا أنهم لن يستطيعوا مقاومته . لقد حقق الله ما قيل فى إشعياء النبى : « أنا الرب هذا اسمى ، ومجدى لا أعطيه لآخر ، ولا تسبيحى للمنحوتات » إش ٤٢ : ٨ .

+ + +



لقد طالت مدة إقامة تابوت العهد فى وسط الوثنيين إلى سبعة أشهر ، ليتأكد الكل أن ما حل بالوثن (الإله داجون) وما حل بالناس (مرض البواسير) وأيضاً بالأرض (جرذان أو فئران كبيرة تأكل محاصيل الأرض) لم يكن محض صدفة إنما علامة غضب الله على الوثنيين . وأيضاً لكى يقدم المؤمنون توبة صادقة مشتاقين بالحق للتمتع بالحضرة الإلهية المعلنة بوجود التابوت فى وسطهم :

١ــ عمل قربان إثم ١ ــ٥ .
٢ــ رد التابوت على عجلة جديدة ٦ ــ١٦ .
٣ــ حجر شهادة فى حقل يهوشع ١٧ــ١٨ .
٤ــ ضرب أهل بيتشمس ١٩ــ٢١ .

\+ + +

١ــ عمل قربان إثم :

« **وكان تابوت الله فى بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر** » ٦ : ١ . لا نعرف ما هى مشاعر إسرائيل نحو الأحداث فى ذلك الوقت . لقد دُهشوا أن التابوت أُخذ منهم كما فى خزى وضعف والكاهنين قُتلا وكثيرين سقطوا وفقد الشعب كرامته ... لقد مرت الأيام والأسابيع وأيضاً الشهور ولم يسمعوا شيئاً عن التابوت ، لكن الله كان يعمل مؤكداً قدرته على الخلاص ، وشعر الوثنيون بالرهبة أمام الله ، فاستعدوا الكهنة والعرافين قائلين : « ماذا نعمل بتابوت الرب ؟ أخبرونا بماذا نرسله إلى مكانه ؟ » ٦ : ٢ .

لقد استخدم الله حتى كهنة الوثنيين والعرافين للشهادة له ، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [شهد أعداء الله أنفسهم له ؛ نعم قدم معلموهم أصواتهم عنه[٥٢]] .

العرافون هم الذين يدعون بأنهم قادرون على معرفة الأمور المستقبلة بواسطة علامات طبيعية كطيران الطيور أو أمعاء حيوان مذبوح أو النظر إلى الكبد أو السهام أو ماء فى كأس أو استدعاء أرواح الأموات أو قراءة الكف أو تتبع حركة النجوم الخ ... هذه عادات شائعة فى الشعوب القديمة خاصة الشرقية ، ولا تزال قائمة فى بلاد شرقية كثيرة . خلال العرافة يأخذ البعض قراراتهم مثل اختيار شريك الحياة أو القيام بحرب فى وقت محدد ، وقد نهى عنها الكتاب المقدس (لا ٢٠ : ٢٧ ؛ تث ١٨ : ٩ــ١٤ ، إر ١٤ : ١٤ ؛ حز ١٣ : ٨ــ٩) .

طلب الكهنة والعرافون ألاَّ يرسلوا التابوت فارغاً بل يردوا له قربان إثم اعترافاً منهم أنهم أخطأوا وأن ما حل بهم هو تأديب وثمرة لإثمهم فى حق الله ، وكنوع من التعويض الأدبى والمادى لما أصاب شعبه . طلبوا أن تشترك كل مدينة من المدن الخمس العظمى فى هذا القربان ليكون الاعتراف جماعياً والقربان عن الشعب كله .

كانت العادة لدى الوثنيين تقديم تمثال الجزء المصاب بمرض للآلهة عند البرء من المرض ، ولذا طلب الكهنة والعرافون تقديم خمسة بواسير من ذهب وخمسة فئران من ذهب ، غير أن الشعب زادوا على هذا العدد وصنعوا فئران الذهب بعدد جميع المدن من المدينة المحصنة إلى قرية الصحراء لأن الضربة كانت عامة (١ صم ٦ : ١٨) .

لقد أدرك الوثنيون حقيقتين :

(أ) أن الله لا يُرشى بذهب أو فضة إنما ما يقدمونه من قربان إثم هو اعتراف وشهادة لمجده ، إذ قالوا : « **أعطوا إله اسرائيل مجداً لعله يخفف عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم** » ١ صم ٦ : ٥ .

(ب) أن مقاومته لن تجدى ، فقد أغلظ فرعون قلبه فهلك (١ صم ٦ : ٦) . كأن ما حدث منذ حوالى ٣٥٠ عاماً فى مصر انتشرت معرفته فى كل البلدان فى منطقة الشرق الأوسط .

٢ــ رد التابوت على عجلة جديدة :

لقد عمل الفلسطينيون عجلة جديدة تجرها بقرتان مرضعتان لم يعلهما نير

(٦ : ٧) ، تحمل تابوت العهد وقربان الإثم . بالفعل استقامت البقرتان فى الطريق ، وكانتا تسيران فى سكة واحدة وتجأران ، لم تميلا يميناً ولا يساراً ، وأقطاب الفلسطينيين يسيرون وراء تابوت الرب .

ما أروعه منظراً يشهد لحب الله لشعبه ! فمهما طالت إقامة التابوت فى أرض الأعداء ، لكن الله يشتاق أن يسكن وسط شعبه ويحل فيهم ، لقد ساق البقرتين رغم ميلهما الطبيعى لصغيريهما ، واستقامتا فى الطريق نحو شعب الله . ما أعظم رحمة الله بنا ، فإنه يريد أن يتناسى أخطاءنا ويسكن فينا ويستريح فى أحشائنا .

العجلة الجديدة والبقرتان اللتان لم يعلهما نير تكشف عن إدراك الوثنيين أيضاً أن الله لا يقبل التعريج بين الفريقين ، يريد أن يكون القلب الحامل له بالكامل لا يمزج بين حب الله وحب الخطية أو بين ملكوت الله ومملكة إبليس . وكما يقول القديس بولس : « وأية شركة للنور مع الظلمة ، وأى اتفاق للمسيح مع بليعال ؟! » ٢ كو ٦ : ١٤ . يقول **العلامة أوريجانوس** : [لا يقوم ملكوت الله مع مملكة الشر . لذلك إن كانت إرادتنا أن نكون تحت مُلك الله ليته لا تملك أية خطية فى جسدنا المائت (رو ٦ : ١٢) ، ولا نطيع وصاياها ، عندما تحث نفوسنا أن تمارس أعمال الجسد (غلا ٥ : ١٩) والأمور الغريبة عن الله[٥٣]] .

لقد طلب الوثنيون عمل عجلة جديدة وإحضار بقرتين مرضعتين لم يعلهما نير ... وقد رأينا فى شريعة البقرة الحمراء تقديم بقرة لم يعلها نير (عد ١٩ : ٢) ، وعندما دخل السيد المسيح أورشليم ركب جحشاً لم يجلس عليه أحد من الناس (مر ١١ : ٢) .

طلب الكهنة والعرافون ترك العجلة بلا قيادة لينظروا إن كانت تسير نحو تخم التابوت ، أى تخم أرض اسرائيل التى كان التابوت فيها ، متجهة إلى بيتشمس . وهى مدينة للكهنة (يش ٢١ : ١٦) على تخم يهوذا ، على بعد حوالى ١٢ ميلاً جنوب شرقى عقرون ، حالياً تدعى عين الشمس .

٣ــ حجر شهادة فى حقل يهوشع :

إن كانت العجلة تمثل كنيسة العهد الجديد التى تضم شعباً من فريقين : من أصل يهودى ومن الأمم ، وقد صار الكل بروح الله « جديداً » فى الرب كمن لم

يعلُهما نير ، فإن العجلة انجذبت إلى حقل يهوشع البيتشمسى (٦ : ١٨) ، لماذا ؟

يجيب **القديس يوستين** مقدماً مقارنة بين دخول الشعب أرض كنعان تحت قيادة يشوع الذى كان يدعى قبلاً يهوشع وبين دخول العجلة الجديدة بالتابوت إلى حقل يهوشع قائلاً : [البقرتان اللتان لم يقدهما إنسان لم تذهبا إلى الموضع الذى أُخذ منه التابوت بل إلى حقل رجل معين يدعى « يهوشع » ... اسمه مأخوذ عن « يسوع (يشوع) » ... لتظهرا لكم أنهما كانتا مقادتين بقوة الاسم ، كما حدث قبلاً مع الشعب الذى تبقى من الخارجين من مصر . لقد قادهم إلى الأرض ذاك الذى حمل اسم يسوع (يشوع) والذى كان يُدعى قبلاً يهوشع(٥٤)] .

بقى حجر الشهادة الذى وُضع عليه تابوت العهد فى حقل يهوشع شاهداً لعمل الله مع شعبه (١ صم ٦ : ١٨) ، تتطلع إليه الأجيال لتذكر رعاية الله واهتمامه بأولاده .

٤ــ ضرب أهل بيتشمس :

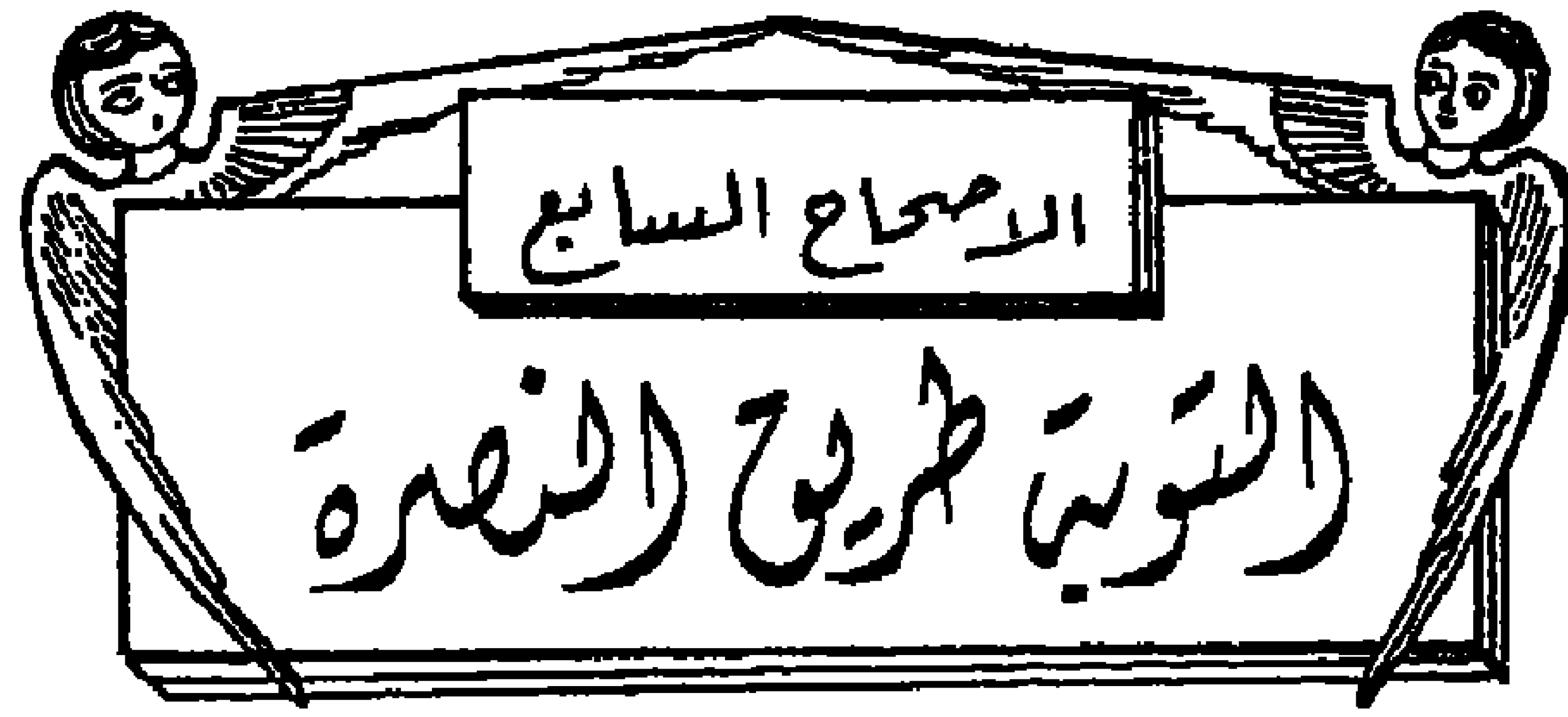
(أ) كنا نتوقع من الشعب أن يسقطوا على وجوههم عند معاينتهم للتابوت ، ويقدموا توبة للرب ، ويستدعوا الكهنة واللاويين لحمله والاحتفال به ، لكنهم فى تجاهل للشريعة التفوا حول التابوت . ضُرِب من الشعب خمسون ألف رجل وسبعون رجلاً . لقد كرّمه الفلسطينيون بالرغم من جهلهم أكثر من الشعب المعطى له وصايا صريحة بشأنه . نحن أيضاً كم مرة ندوس مقادس الله ونتقدم إلى الأسرار الإلهية فى تهاون ونستمع إلى كلمته بغير خشوع ؟!

(ب) يميز الكتاب بين الخمسين ألفاً والسبعين المضروبين بسبب رؤية التابوت ، ربما لأن الخمسين ألفاً من كل بنى إسرائيل الذين سمعوا من كل موضع وجاءوا يحتفلون برجوعه بينما السبعون هم وحدهم من بيتشمس . يرى البعض أن النسخ العبرية القديمة لم تذكر سوى رقم ٧٠ .

لم يرجع التابوت إلى شيلوه ، غالباً لأنها كانت قد دُمرت بواسطة الفلسطينيين ؛ هذا واضح من الحفريات ومن إرميا ٧ : ١٢(٥٥) .

أُصعد التابوت من بيتشمس إلى قرية يعاريم (مدينة الغابات أو مدينة المدن)[٥٦] ، على تخم يهوذا وبنيامين ، كانت تابعة ليهوذا (قض ١٨ : ٢) . يُرجح أنها قرية العنب التى تسمى أيضا اباغوش تبعد حوالى ٩ أميال غرب أورشليم . بقى بها تابوت العهد حتى نقله داود النبى إلى بيدركيدون وبيت عوبيد أدوم الجتى (١ أى ١٣ــ٥ــ١٣ ، ٢ أى ١ : ٤) .

+ + +



كان صموئيل النبى يهيىء الشعب للتوبة قرابة ٢٠ عاماً ، وأخيراً نادى بالتوبة الجماعية من كل القلب ، والعودة الكاملة لله ، ورفض كل عبادة غريبة ، وبعد الصلاة والصوم قدم عنهم ذبيحة ، وعندئذ إذ تقدم الفلسطينيون لمحاربتهم أرعدهم الرب نفسه وأزعجهم لينكسروا أمام الشعب .

لقد برز صموئيل النبى فى هذا الأصحاح كقاضٍ وكممثل للحكم الإلهى مثل موسى (إر ١٥ : ١) ومثل يشوع (يش ٢٤ ، ١ صم ١٢) ، وكأحد القضاة لكن على مستوى أعلى فى الشفاعة[٥٧] .

يعتبر هذا الأصحاح مقدمة للأصحاح التالى ، فيه أبرز فساد النظام الملكى المُقام من أجل مظاهر بشرية .

١ــ تابوت الرب فى بيت أبيناداب ١ ــ٢ .
٢ــ الرجوع القلبى والعمل لله ٣ ــ٤ .
٣ــ الصلاة والصوم والذبيحة ٥ ــ٩ .
٤ــ الرب واهب النصرة ١٠ــ١٤ .
٥ــ قضاء صموئيل فى مواضع متعددة ١٥ــ١٧ .

\+ \+ \+

١ــ تابوت الرب فى بيت أبيناداب :

أثار تابوت العهد رعباً ليس فقط فى مدن فلسطين العظمى وإنما أيضا فى بيتشمس ، أما أهل قرية يعاريم فقد أدركوا أنه يمثل حضرة الله ، هو نار آكلة بالنسبة للمرتدين عنه والمنحرفين أما بالنسبة لمحبيه فحافظ لهم وسر فرحهم وتعزيتهم . لهذا صعدوا بفرح وأتوا به فى احترام ووقار ، وجاءوا به إلى بيت أبيناداب ليبقى هناك قرابة مئة عام حتى نقله داود النبى (٢ صم ٦ : ١ــ٤) .

كلمة « أبيناداب » تعنى « أبا الكرم[٥٨] أو النُبل » ، وكأنه لا يمكن التمتع بالحضرة الإلهية ما لم تحمل النفس الداخلية نوعاً من الكرم أو السخاء فى العطاء . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ليس شىء يجعلنا هكذا قريبين من الإله وعلى شبهه مثل هذا العمل الحسن[٥٩]] . ويقول **مار إسحق السريانى** : [أعطِ للمساكين ، وهلم بدالة قدم صلواتك ، أى تحدث مع الإله كما يتحدث الابن مع أبيه ، فليس شىء يقدر على دنو القلب إلى البارى مثل الرحمة[٦٠]] .

وُضِعَ التابوت فى بيت فى الأكمة أى على مكانٍ عالٍ ، وقُدِّسَ أليعازر (تعنى الله معين[٦١]) بن أبيناداب لأجل حراسة التابوت ، غالباً ما كان لاوياً وليس كاهناً .

كان التابوت فى قرية يعاريم بينما أُقيمت الخيمة فى نوب بلا تابوت مما عطّل العبادة فيها أو جعلها عبادة غير كاملة ، وكان هذا إعلاناً عن حالة الخمول الروحى والانحطاط التى بلغ إليها الشعب .

صار صموئيل يجول بين الشعب ليعدهم لحياة التوبة والرجوع إلى الله .

٢ـ الرجوع القلبى والعملى لله :

بعد موقعة أفيق التى مات فيها ابنا عالى الكاهن وعالى نفسه بدأ صموئيل النبى يمارس عمله القيادى الهادىء والبناء . اتخذ إقامته غالباً فى الرامة حيث التف حوله بعض الشباب وصاروا نواة لأول مدرسة للأنبياء . فى هذه الفترة تزوج صموئيل وأنجب ابنين دعاهما : يوئيل « يهوه هو الله » ، أبيا « الرب هو أبى » .

فى هذه الفترة عاد تابوت العهد إلى إسرائيل ووضع فى قرية يعاريم بينما نُقلت الخيمة إلى نوب ، وتعطلت بعض الشعائر الدينية ، أما صموئيل فلم يكف عن العمل الهادىء البناء على المستوى الفردى والاهتمام بالشباب ، مع ممارسة حياة الصلاة . خلال هذا الإصلاح الهادىء انفتحت القلوب بالحب لله وبالتالى تجمعت القلوب معاً بالحب الأخوى وروح الوحدة . بعد عشرين سنة من وجود تابوت العهد فى قرية يعاريم وجد صموئيل الفرصة سانحة للمناداة بالتوبة الجماعية والرجوع لله مع الكشف عن سر فشل الشعب وعن طريق النصرة ، إذ تحدث صموئيل مع كل بيت إسرائيل (أى مع الجماعة كلها) قائلاً : « **إن كنتم بكل**

قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من وسطكم ، وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم » ١ صم ٧ : ٤ .

سر ضعف الإنسان التعريج بين الطريقتين وعدم رجوعه بكل القلب إلى الرب، كأن يتمسك بشكليات العبادة الخارجية بينما يقيم فى أعماقه إلهاً خفيا كالأنا ego أو حياة التدليل أو محبة الزمنيات الخ ... النصرة تستلزم تقديس القلب واستقامة هدفه مع جدية فى الحياة وأن يبتر الإنسان بصليب رب المجد كل ما هو غريب داخل القلب ، ليقيم الرب ملكوته المفرح السماوى .

انتزع الشعب من وسطهم كل عبادة غريبة ، خاصة البعليم (جمع بعل) والعشتاروت .

البعل[٦٢] تعنى « السيد » أو « الرب » ، بمعنى مالك أو سيد لامرأة أو لعبد أو لشيء ما يمتلكه . لم يكن « البعل » اسماً لشخص ما إنما هو لقب أستخدم للعبادة تحت أشكال كثيرة وبطرق متعددة . من بينها تماثيل من الخشب أو الحجر أو المعدن عليها صورة للشمس (إش ٢٧ : ٩) بكونها أعظم ما فى الطبيعة وأنها مصدر الحياة . أما العشتاروت (جمع عشتار) ، فينظر إليها كقرينة أو زوجة للبعل عبدها الفلسطينيون خلال تماثيل عليها صور للقمر أو كوكب الزهرة. عُبد بواسطةأمم كثيرة وتحتأشكال متعددةوبأسماء مختلفة. تعتبر إحدى ثلاث الإلاهات (جمع إلامة) للخصوبة . احتوت عبادتها على الكثير من روح الخلاعة والرجاسات ، فقد تكرست كاهنات لممارسة الدعارة فى هياكل العشتاروت .

كثيراً ما سقط اليهود فى عبادة البعليم والعشتاروت ، وأقاموا التماثيل فى المرتفعات وتحت كل شجرة خضراء بل وأحيانا داخل الهيكل ، وجاء زمان تقدمت فيه النساء المتزوجات والفتيات إلى النجاسة لحساب هذه الآلهة ، وقدمت الأمهات أطفالهن ذبائح آدمية بإلقاء الطفل على التمثال النحاسى بعد احمراره من شدة النار وسط الطبول حتى لا يستمع أحد لصرخات الطفل !!!

هذا ما يفعله الإنسان عند انحرافه عن الله مصدر حياته وقدسيته وشبعه !

٣ــ الصلاة والصوم والذبيحة :

التوبة بما يلازمها من تغيير القلب الداخلى وعبادة هى أمر شخصى يمس حياة

المؤمن وعلاقته الخفية مع الله ، لكنها فى نفس الوقت هى ممارسة جماعية ، إذ يقول صموئيل النبى : « اجمعوا كل إسرائيل إلى المصفاة » ٧ : ٥ . يقول الرسول بولس : « فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه . وإن كان عضو واحد يُكرم فجميع الأعضاء تفرح معه » ١ كو ١٢ : ٢٦ . توبة خاطىء واحد تُفرِّح ملائكة السماء (لو ١٥ : ١٠) ، وتسند الكثيرين على الأرض وتدفعهم للتوبة معه ؛ ومع كل سقوط واستهتار خفى نسىء إلى الجماعة كلها .

جاءت التوبة القلبية تحمل أعمالاً ظاهرة أيضاً :

(أ) نزع الآلهة الغريبة (١ صم ٧ : ٤) .

(ب) التقاء جماعى فى المصفاة للعبادة بروح واحد (١ صم ٧ : ٤) .

(جـ) صموئيل النبى يصلى إلى الرب لأجلهم (١ صم ٧ : ٥) .

(د) استقاء ماء وسكبه أمام الرب (١ صم ٧ : ٦) .

(هـ) صوم جماعى (١ صم ٧ : ٦) .

(و) الاعتراف بالخطايا للرب أمام صموئيل النبى (١ صم ٧ : ٦) .

(ز) الحاجة إلى ذبيحة للمصالحة مع الله (١ صم ٧ : ٩) .

« طلب صموئيل النبى من الشعب أن يجتمع فى المصفاة » (تعنى « برج المراقبة »[٦١]) . وهى مدينة فى بنيامين (يش ١٨ : ٢٦) ، يُقال إنها « تل النصبة » ، اكتشفها Badé عام ١٩٢٦ــ١٩٣٥ ، تبعد ثمانية أميال شمال أورشليم على طريق الرامة . ويرى البعض أنها قرية « النبى صموئيل » ، ارتفاعها ٢٩٣٥ قدماً فوق البحر وهى أعلى القمم بقرب أورشليم ، تبعد خمسة أميال شمال غرب أورشليم .

فيها تم انتخاب شاول ملكاً (١ صم ١٠ : ١٧ــ٢١) ، وحصنها آسا (١ مل ١٥ : ٢٢) ، وفيها قُتل جدليا (٢ مل ٢٥ : ٢٣ ، ٢٥ ؛ ار ٤٠ : ٦ــ١٥) ، وفيها اجتمع الشعب فى أيام يهوذا المكابى (١ مك ٣ : ٤٦) .

يُبرز صموئيل النبى دور الله فى حياة شعبه ، فإنهم إذ يجتمعون للتوبة يحتاجون إلى يد الله الخفية تعمل فيهم لذلك يقول : « **فأصلى لأجلكم إلى الرب** » ١ صم ٧ : ٥ . هنا يَبرز أيضا صموئيل النبى كراعٍ روحى ، يعرف أنه لن يقدر أن يقود

شعب الله بدون الصلاة ، أو بمعنى آخر دوره القيادى يرتكز أولاً على الصلاة لكى يكون الله هو القائد الخفي والمرشد والعامل فى شعبه لحساب ملكوته بلا انحراف . لذا يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** عن الكاهن : [من دعته الضرورة أن يكون سفيراً عن مدينة بأسرها ــ ولا أقول عن مدينة فحسب بل عن العالم أجمع ــ يضرع إلى الله كى يصفح عن خطايا الجميع ، ليس فقط الأحياء منهم بل والراقدين أيضا ... فالكاهن ، لأنه أؤتمن على العالم كله وصار أباً لجميع الناس ، يتقدم إلى الله متوسلاً فى الصلوات الخاصة والعامة من أجل رفع الحروب فى كل مكان وإخماد الاضطرابات ، ملتمساً السلام والهدوء لكل نفس والشفاء للمرضى ...[٦٢]] .

« فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماءً وسكبوه أمام الرب » ١ صم ٧ : ٦ .

ما هو هذا الماء الذى استقوا منه وسكبوه أمام الرب ؟ يرى البعض أنه إشارة إلى سكب قلوبهم بالتوبة أمام الرب ، كقول داود النبى « يا قوم اسكبوا قدامه قلوبكم » مز ٦٢ : ٨ . أو علامة الاعتراف بالضعف إذ صاروا كالماء المنسكب على الأرض لا يمكن جمعه إلا بيد إلهية . يرى آخرون أنه تأكيد للقسم ، فإنهم لا يرجعون عما تعهدوا به فى توبتهم كما لا يجمع الماء المسكوب على الأرض . آخرون رأوا فى هذا التصرف إشارة إلى يوم الكفارة العظيم (لا ١٦) وسكب روح الله على المؤمنين وحلوله فيهم .

إذ صلى صموئيل النبى عنهم قرنوا صلاته بتوبتهم التى أعلنوها بسكب الماء مع الصوم والاعتراف . لقد صاموا فى ذلك الوقت واعترفوا قائلين : « **قد أخطأنا إلى الرب** » ١ صم ٧ : ٦ .

فى ذلك الوقت كان صموئيل النبى يقضى بينهم كقاضٍ ، لا خلال السلطة وإنما بعد تقديم صلوات طويلة مستمرة وإصلاح دائم بينهم وعمل روحى هادىء ثم توبة جماعية ورجوع إلى الله . لقد وضع أساسات روحية سليمة ليعمل كقاضٍ بضمير مستريح بهدف روحى واضح لحساب ملكوت الله .

٤ـ الرب واهب النصرة :

مع كل جهاد روحى هادف يثور عدو الخير لا لخطأ ارتكبه الإنسان أو ارتكبته الجماعة ، وإنما هى علامة رفض الظلمة للنور ، ومقاومة عدو الخير لمملكة الله .

لقد اجتمع أقطاب الفلسطينيين أيضا وصعدوا إلى إسرائيل (١ صم ٧ : ٧) ، فخافوا أن يتكرر معهم ما حدث فى موقعة أفيق (١ صم ٤) ، لكنهم إذ كانوا تحت قيادة روحية سليمة يمارسون التوبة طلبوا من صموئيل النبى ألا يكف عن الصراخ من أجلهم إلى الرب ليخلصهم ... قدم صموئيل محرقة للرب علامة تسليم نفوس الشعب ليد الرب تماماً ، واستجاب الرب خلال الطبيعة بواسطة رعد أو زلزال ، واهباً إياهم الغلبة والنصرة ، إذ ضربوا العدو إلى ما تحت بيت كار (تعنى بيت الخرفان) غرب المصفاة ، يظن أنها بيت كارم الحالية ، أو عين الكروم .

مع كل نمو روحى نواجه حرباً جديدة ، تؤول إلى تزكيتنا وتكليلنا مادمنا فى يد الله . يقول القديس بطرس الرسول : « الذى به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تحزنون بتجارب متنوعة ، لكى تكون تزكية إيمانكم وهى أثمن من الذهب الفانى مع أنه يُمتحن بالنار توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح » ١ بط ١ : ٦ ، ٧ .

تحققت النصرة فى ذات الموقع الذى حدثت فيه الهزيمة قبلاً وأخذ التابوت (١ صم ٤ : ١) ، لذلك أخذ صموئيل حجراً ونصبه ، ودعاه « حجر المعونة » ، لكى يكون شاهداً على عمل الله فى حياة شعبه الراجعين إليه . هذا التذكار يجدد روح الشعب باستمرار حتى لا ينحرفوا عن الله . خلاله يذكر كل مؤمن سر الهزيمة وسر النصرة ، ففى ذات الموقع فقد إسرائيل تابوت العهد وسقط فى مذلة وعار ، وأيضاً فيه نال غلبة ونصرة بيد الله القوية .

يقول رب المجد يسوع : « إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ » لو ١٩ : ٤٠ ... إذ أقام صموئيل هذا الحجر لكى يبعث حياة الشركة فى كل من يتطلع إليه .

بعد أن كان الفلسطينيون قد استبعدوا إسرائيل تماماً ، انكسروا بهزيمتهم فلم يدخلوا إلى تخوم إسرائيل للاستيلاء عليها وإن كانوا قد اقتحموا أحيانا بعض المناطق ، واستعبد البعض منهم إسرائيليين ، لكن كسرتهم فى المصفاة كانت بداية لهزيمتهم المتلاحقة . كما استرد الإسرائيليون المدن التى كانت على التخوم ما بين عقرون وجت .

لعل هذه النصرة أعطت مجالاً للمصالحة بين إسرائيل والأموريين (١ صم ٧ : ١٤) ليعيش الشعب إلى حد ما فى جو من السلام والطمأنينة.

٥ــ قضاء صموئيل فى مواضع متعددة :

يعتبر صموئيل النبى هو المصلح الروحى الحقيقى فى تلك الآونة حتى كادت عبادة البعل تختفى تماماً فى الفترة ما بين بدء النظام الملكى حتى أوائل عصر سليمان الحكيم ... ويلاحظ أن صموئيل لم يُعِدْ مجدَ « شيلوه » ولا أقام مركزاً واحداً للعبادة إنما كان يقضى للشعب فى مواضع متعددة مثل بيت إيل والجلجال والمصفاة . لعل السبب فى هذا أن الشعب قد ركز على موضع العبادة الواحد كسرّ قوة الشعب متجاهلاً التجديد الداخلى للنفس . لقد أراد صموئيل أن يؤكد أن سر القوة هو فى العلاقة الخفية فى القلب مع الله ، دون تجاهل العبادة الجماعية بروح الوحدة والحب .

لقد بقى الأمر كذلك حتى جاء سليمان الحكيم وأقيم هيكل الرب الواحد فى أورشليم بأمر إلهى ، ليجمع الكل معاً بالروح الواحد حول هيكل واحد للرب .

+ + +

الباب الثانى

شاول الملك

١صم ٨ - ١صم ١٥

بدء عصر الملوك

طلب الشعب من صموئيل إقامة ملك لهم كسائر الأمم ، ومع ما حمله هذا الطلب من رفض لمُلك الله ولصموئيل لكن أعطاهم الله -سؤل قلبهم ، وأقيم شاول ملكاً ، الذى نجح إلى حين .

لقد أرادوا التشبه بالأمم ، غير أن النظام الملكى هنا كان له مفهوم فريد . ففى مصر كان يُنظر إلى فرعون كإله يعود إلى دائرة أفقه عند موته . وفى أشور أو بابل ينظر إلى صاحب السلطة على أنه كائن قابل للموت لكنه كمحبوب الآلهة لا يمكن أن يخطىء وهو يمثل رأس الدولة وفى نفس الوقت الرأس الدينى ؛ كلمته تعتبر قانوناً لا يُراجع فيها . أما بالنسبة لإسرائيل فالملك إنسان يلتزم أن يحكم حسب نعمة الله ، يمسحه الكاهن وليس له حق العمل الكهنوتى . الشريعة الإلهية فوق الكل ، عليه أن يخضع لها ويحترمها . لهذا عندما قدم شاول ذبيحة ، وعندما أخذ داود إمرأة أوريا ، وعندما استولى آخاب على كرم نابوت اليزرعيلى صدرت أحكام ضدهم وعوقبوا . ليس عجيباً أن يُعاقب الملوك المخطئون ، فقد عرف داود الملك حق ناثان النبى فى اتهامه ليعترف أمامه أنه أخطأ فى حق الله .

عاش صموئيل النبى حتى مسح داود ملكاً ، لكنه تنيح قبل تجليسه . تمتع داود بالوعد أن يرث نسله المُلك أبدياً ، وقد وضع داود النبى الأساسات التى بنى عليها الملوك الصالحون المملكة .



انشغل الشعب بمظاهر العظمة والأبهة التى لملوك الأمم المحيطين بهم ، وحسبوا ذلك مجداً وكرامة حُرموا هم منهما ، لذا استغلوا شيخوخة صموئيل النبى وعدم سلوك ابنيه فى طريق أبيهما ليطلبوا من صموئيل إقامة ملك يقضى لهم كسائر الأمم (٨ : ٥) .

١ــ طلب ملك ١ ــ ٥ .

٢ــ صموئيل يحسب ذلك إهانة له ٦ .

٣ــ الله يقبل الطلبة مع تحذيرهم ٧ ــ ٩ .

٤ــ صموئيل يحذر الشعب ١٠ــ٢٢ .

\+ + +

١ــ طلب ملك :

ربما يتساءل البعض : لو لم يطلب الشعب ملكاً ، هل كان الله قد أعد لهم إقامة مملكة ؟

(أ) لا نجد للنظام الملكى موضعاً حقيقاً فى الشريعة الموسوية إلا ما جاء فى تث ١٧ : ١٤ــ٢٠ . ربما كان هذا نبوة عن إقامة نظام ملكى فى أرض الموعد ، وربما كانت نصائح تقدم للشعب إن اختار له ملكاً وقواعد يلتزم بها الملك ليعيش كما يليق كعضو فى الجماعة المقدسة .

(ب) كان الخطأ لا فى طلب إقامة ملك إنما فى تعجل الأحداث وفى إساءة فهم النظام الملكى . فمن جهة الزمن كان الله يدبر لهم إقامة ملك قلبه مثل قلب الله ، فقد سمح بمجىء راعوث من بين الأمم ، تلك التى من نسلها يخرج داود النبى والملك . لو انتظروا قليلاً لنالوا أفضل مما طلبوا ، ولَمَا أُقيم شاول الجميل الصورة الذى سبب لهم شقاءً عظيماً .

أما من جهة فهم النظام الملكى ، فقد أرادوا ملكاً يقود الجيش عوض صموئيل النبى رجل الصلاة ، وقد حطمهم الملك الذى نالوه حسب قلبهم عوض بنيانهم ونصرتهم . لقد أرادوا أيضاً ملكاً يحكمهم هو ونسله من بعده بينما فى ظل نظام القضاة كان يمكنهم اختيار قائد للحرب دون الارتباط بالنظام الملكى وتسليم القيادة فى أيدى نسله بالوراثة .

لقد شاخ صموئيل النبى والقاضى ، وأقام ابنيه يوئيل وأبيا قاضيين فى بئر سبع ، اللذين لم يسلكا فى طريق أبيهما إذ مالا وراء المكسب المادى والرشوة وعوّجا القضاء (١ صم ٨ : ١) . كان يليق بصموئيل النبى أن يقيم قضاة مستقيمين عوض ابنيه .

لماذا لم يوبخ الله صموئيل على انحراف ابنيه كما فعل مع عالى ؟ ربما لأن عالى كان رئيس كهنة وقد ارتكب ابناه الكاهنان خطايا بشعة ورجاسات تستوجب لا العزل بل القتل حسب الشريعة . وكان الابنان يعملان مع أبيهما وتحت مسئوليته كرئيس كهنة . أما بالنسبة لابنى صموئيل ، فيحتمل أن يكون انحرافهما ـــ قبول الرشوة ـــ جاء مؤخراً بعدما تسلما العمل بفترة ، فابتدأ الاثنان بالاستقامة لكن محبة المال أغوتهما ، هذا وكان الاثنان يعملان فى بئر سبع وليس مع أبيهما فى الرامة ، وربما جاء اختيارهما بناء على رغبة الشعب لأنهما لا يرثان المركز (القاضى) بالخلافة .

يتساءل البعض لماذا دعى البكر هنا « يوئيل » بينما فى ١ أى ٦ : ٢٨ قيل [البكر « وشنى »] ؟ كلمة وشنى فى العبرية تعنى « والثانى » ، ولذا يرى الدارسون أن كلمة « يوئيل » حذفت سهواً فى النساخة وأن كلمة وشنى قُصد بها [والابن الثانى] وليست اسماً للبكر .

اعتراض شيوخ إسرائيل على انحراف ابنى صموئيل يكشف عن وجود ضمير حىّ فيهم ، على خلاف فترة حكم عالى الكاهن إذ لا نجد أحداً يعترض على تصرفات ابنيه البشعة . هذا وتنصيب الابنين للقضاء فى بئر سبع فى الجنوب بينما كان صموئيل يقضى فى الشمال يكشف أن حكم صموئيل شمل البلاد كلها من الرامة إلى بئر سبع ، وأن استقراراً داخلياً قد حل بالبلاد ، وأنهم كانوا مستريحين من حكم الفلسطينيين .

يليق بكل قائد أن يحذر من محبة المال والرشوة فقد أفسد المال قلبى القاضيين وسبب متاعب لهما ولأبيهما كما للشعب .

٢ــ صموئيل النبى يحسب ذلك إهانة له :

لقد حسب صموئيل النبى ذلك الطلب رفضا لعمله القضائىْ ، وحسب الرب ذلك رفضاً له هو شخصياً كملك على شعبه ، إذ قال لصموئيل نبيّه : « إسمع لصوت الشعب فى كل ما يقولون لك ؛ لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم » ٨ : ٧ .

ما أعظم حكمة صموئيل ، فإنه كرجل صلاة لم يثر عليهم ولا وبخهم بل طلب أولاً مشورة الله وإرشاده ، وقد وهبه الله راحة أن الشعب لم يرفض صموئيل بل رفض الرب نفسه . والعجيب أن الله يطلب من صموئيل : « اسمع لصوت الشعب فى كل ما يقولون لك » . إنه يقدس الحرية الإنسانية ، ويستجيب للطلبات الجماعية وإن كان يكشف لهم الحق منذراً إياهم بسبب سوء رغبتهم . إنه لا يلزمهم ولا يقهرهم على نظام معين بل يطلب منهم أن يتفهموا الحق بكامل حريتهم .

٣ــ الله يقبل طلبتهم مع تحذيرهم :

استجاب الله لطلبتهم ، هذا لا يعنى رضاه عن ذلك ، إنما كما يقول المزمور : « يعطيك سؤل قلبك » مز ٣٧ : ٤ . فإن كان سؤل قلبنا سماوياً ننعم بالسماويات كبركة لنا ، وإن كان سؤل قلبنا لغير صالحنا أو بنياننا يسمح بتحقيقه لأجل التأديب . وكما يقول المرتل : « فأعطاهم سؤلهم وأرسل هزالاً فى أنفسهم » مز ١٠٦ : ١٥ .

إن كان الرب قد استجاب طلبتهم ، إلا أنه أوضح لهم حقيقتين :

الحقيقة الأولى أن كل رفض لرجاله هو رفض له ، إذ يقول : « لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياى رفضوا » ١ صم ٨ : ٧ . يقول رب المجد لتلاميذه : « الذى يسمع منكم يسمع منى ، والذى يرذلكم يرذلنى ، والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى » (لو ١٩ : ١٦) ، (مت ٨ : ٤) .

+ لكونى كنت جاهلاً بهذه الأمور ، فقد هزأت بأبنائك وخدامك القديسين ، ولكن لم أربح من وراء هذا سوى ازدرائك بى .

القديس أغسطينوس(٦٣)

+ يليق بكم أن تطيعوا أسقفكم بدون رياء تكريماً لله الذى يريد منا ذلك . فمن لا يفعل هذا فهو فى الواقع لا يخدع الأسقف المنظور بل يسخر من الله غير المنظور . فهذا العمل لا يخص إنساناً بل الله العالِم بكل الأسرار .

القديس أغناطيوس الثيؤفورس(٦٤)

الحقيقة الثانية أن اختيارهم للنظام الملكى لم يكن لصالحهم ، موضحاً لهم ما سيصيبهم من ظلم الملوك واستغلالهم لكل إمكانياتهم .

٤ـ صموئيل يحذر الشعب

تحدث صموئيل النبى مع الشعب فى صراحة ووضوح بجميع كلام الرب ، ليكشف لهم عن مساوىء طلبتهم لإقامة ملك ، والتى تتلخص فى الآتى :

(أ) تسخير بنيهم للخدمة العسكرية لا لصالح الشعب إنما بالأكثر لصالحه الشخصى كعبيد له .

(ب) يستغل بناتهم كعطارات وطباخات وخبازات لتَرَفِه هو وعائلته ورجاله .

(جـ) يغتصب أجود حقولهم لحساب خصيانه (كبار موظفيه) وعبَيده .

(د) استغلال طاقاتهم فى زراعة أرضه الخاصة والعمل لحسابه .

(هـ) إذ يحل بهم الظلم لا يجدون من يصرخون إليه ، فإن الله نفسه لا يسمع لهم لأنهم هم اختاروا ملكهم حسب هواهم الشخصى .

لم يسمع الشعب لنصيحته بل أصروا على إقامة ملك (١ صم ٨ : ١٩) ، عندئذ فض صموئيل الاجتماع ليذهب كل واحد إلى مدينته (١ صم ٨ : ٢٢) ، وقد تأكد الجميع أن صموئيل يدبر لهم الأمر .

+ + +



إذ أصر الشعب على الطلبة أقام لهم شاول بن قيس البنياميني ؛ كان شاباً حسناً لم يكن في بني اسرائيل أحسن منه ، من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب (١ صم ٩ : ١٢) . يقول الرب لنبيِّه صموئيل : « امسحه رئيساً لشعبي إسرائيل ، فيخلص شعبي من يد الفلسطينيين لأني نظرت إلى شعبي ، لأن صراخهم قد جاء إليّ » ١ صم ٩ : ١٦ .

١ـــ شاول وأتن أبيه الضالة ١ ـــ ٥ .

٢ـــ الغلام يشير عليه باللقاء مع الرائي ٧ ـــ ١٤ .

٣ـــ صموئيل يكشف لشاول رسالته ١٥ـــ٢٧ .

+ + +

١ـــ شاول وأتن أبيه الضالة

إذ سأل الشعب صموئيل النبي أن يقيم لهم ملكاً أُختير.« شاول » الذي يعني « سؤال » ملكاً . لقد أعطاهم ملكاً حسب سؤل قلبهم ، إنساناً حسن الصورة طويل القامة ، أما قلبه فلم يكن مستقيماً . وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [قيل إن « شاول » تعني « سؤالاً » . من المعروف جيداً أن الشعب سأل عن ملكٍ لهم ، فتسلموه ملكاً لا حسب إرادة الله بل حسب إرادتهم الذاتية(٦٥)] .

لم يتجاهل الكتاب المقدس الجوانب الطيبة التي اتسم بها شاول بل على العكس أبرزها ، لكن لم يحتمل شاول الغنى والكرامة إذ كشفا انعوجاج قلبه الداخلي واهتمامه بحب الكرامة الزمنية والمظاهر الخارجية لذا انتهت حياته برفض الله له وحرمان نسله من تولي الملك .

بدأ هذا الأصحاح بإبراز نسب شاول الذي يقدمه الله للشعب لاختياره ملكاً حسب هوى قلوبهم. كشف الكتاب أنه من سبط بنيامين ، من نسل الستمائة

الذين نجوا من الحرب وأقاموا فى صخرة رمون (قض ٢٠ : ٤٧) . وهو سبط صغير العدد جداً بسبب حرب الأسباط الأخرى ضده (قض ٢٠) ، لكنه كان سبطاً مقتدراً له كرامته . أما شاول نفسه فكان شاباً حسن الصورة « **ولم يكن رجل فى بنى اسرائيل أحسن منه ، من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب** » ١ صم ٩ : ٢ .

يروى لنا هذا الأصحاح الأحداث التى انتهت بمسح شاول ملكاً ، أحداث قد يراها البعض عارضة ، أو محض صدفة ، تبدو أحداثاً تافهة بلا قيمة ، لكن الوحى الإلهى يكشف لنا كيف أن الله ضابط الكل ، يحوّل الأحداث جميعها — مهما بدت تافهة — لتحقيق خطة إلهية من جهتنا ، وليس شىء ما يتم مصادفة . هنا نجد أتن قيس تضل فيخرج شاول يبحث عنها لا ليجد الأتن وإنما لكى يُدعى للملك ، خروج الغلام معه ، الذى يشير عليه أن يلتقيا بالرائى ، أيضاً وجود نصف شاقل فضة لدى الغلام ، لقاء شاول والغلام مع الفتيات الخارجات ليستقين ، لقاؤهما مع الرائى ... هذه جميعها بدت فى الظاهر كأنها أمور تمت بلا تدبير مسبق ، لكن الواقع أن الله كان وراء كل هذه الأمور يستخدمها لتحقيق خطته . ليتنا نؤمن أن كل ما يمر بحياتنا — مهما بدا تافها — يسير بتدبير الله العارف حتى بعدد شعور رؤوسنا (مت ١٠—٣٠) والمعتنى بالعصافير .

لقد ضاعت أتن قيس وخرج شاول والغلام يبحثان عنها ، وكما يقول **القديس باسيليوس** إن الله يستخدم كل فرصة لكى يدعونا للعمل : [ضاعت الأتن لكى يوجد ملك لإسرائيل[٦٦]] .

« الأتن » من الجانب الرمزى تشير إلى « الجهل » ، فإن شاول دُعى للمُلك حين ضاعت الأتن ، وهكذا لكى نملك مع السيد المسيح يلزم انتزاع الجهل من نفوسنا والتمتع بنور المعرفة . لتخرج الأتن من بيتنا الداخلى وليحل نور المعرفة فى أعماقنا فنملك مع مسيحنا النور الحقيقى . عندئذ نقول مع الملك داود : « بنورك يارب نعاين النور » . يقول **القديس اكليمندس الاسكندرى** إن الغنوسى أو صاحب المعرفة الروحية : [بحق لا يضطرب من شيىء ما ... لا يخشى الموت ، إذ له الضمير الصالح واستعداد لمعاينة القوات (السماوية)[٦٧]] .

مع أن الأتن أمر زهيد لكن شاول بذل جهداً فى البحث عليها إذ عبر فى جبل أفرايم ثم فى أرض شليشه ثم أرض شعليم فأرض بنيامين وأخيراً أرض صوف ... وإذ مرت ثلاثة أيام فى البحث عنها دون جدوى خشى شاول أن يقلق أبوه عليه ، فقال للغلام : « تعال نرجع لئلا يترك أبى الأتن ويهتم بنا » ١ صم ٩ : ٥ . هذه جوانب طيبة فى شاول : بحثه الجاد عن الأتن ، اهتمامه بمشاعر أقرب الناس إليه ، ثم تشاوره مع الغير (الغلام) ... هذه سمات تجعل الإنسان جديراً باستلام دور قيادى وإن كان كبرياء قلبه أفسد هذا كله فيما بعد .

« شليشة » تعنى « ثلاثى[٦٨] » ، وهى مقاطعة فى جبل أفرايم ، جنوب غربى شكيم .

« أرض شعليم » تعنى « أرض الثعالب[٦٩] » ، مقاطعة فى أفرايم .

بحسب التقليد اليهودى الغلام المرافق لشاول هو دواغ الأدومى الذى صار فيما بعد مشيراً له ، بسببه قُتل كهنة نوب ونساؤهم وأولادهم حتى ماشيتهم أهلكها (١ صم ٢٢ : ٧ـــ٢٣) .

٢ـــ الغلام يشير عليه باللقاء مع الرائى

إذ أراد شاول العودة حتى لا ينشغل أبوه بأمره هو والغلام ، سأله الغلام أن يستشير رجل الله ليخبرهما عن طريقهما التى يسلكان فيها (١ صم ٩ : ٦) .

اعتاد اليهود أن يدعوا النبى « رجل الله » (يش ١٤ : ٦ ، ١ مل ١٢ : ٢٢ ؛ أى ١١ :٢) ، لأنه يعمل على التقدم بالشعب إلى الله خلال الصلاة والوصية الإلهية والإرشاد والنبوة ؛ كما يدعى « إنسان الروح » هو ٩ : ٧ ، بكونه مهتماً بالروحيات ، يعمل بقيادة روح الله ؛ وأيضا يدعى « الرائى » إذ ينظر إلى بعض أمور المستقبل كما ببصيرة روحية مفتوحة .

ادعى بعض النقاد أن هذا السفر يحوى مصدرين مختلفين فى الفكر ، كما رأينا فى المقدمة ، قائلين إننا نرى فى الحوار بين شاول وغلامه أن الأول يجهل اسم الرائى وموضعه بينما يسكن قريباً منه ، وكأن صموئيل راءٍ مجهول حتى ممن هم قاطنون بالقرب منه ، بينما نجد فى ذات السفر صموئيل كنبى عظيم وقاضٍ يحكم الشعب كله ويوجهه ... كيف يكون ذلك ؟

(أ) يُجاب على هذا بأن شاول عاش فى قريته لا يبالى بالأمور السياسية والدينية الجارية فى عصره ، فلم تكن الشخصيات البارزة معروفة لديه كما يحدث مع كثيرين من سكان القرى ، خاصة مع عدم وجود وسائل إعلام قوية كالعصر الحديث . أذكر أنه فى عام ١٩٥٣ بعد قيام الثورة المصرية كتب أحد المدرسين المنقولين إلى الصعيد إلى عائلته فى القاهرة يقول : هنا يوجد أناس لازالوا يظنون أن الملك فؤاد هو حاكم مصر ؛ وكأنهم على غير علم بموته وجلوس الملك فاروق ثم عزله وقيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ . ربما حمل الحديث نوعاً من المبالغة لكنه يوضح كيف لا ينشغل بعض سكان القرى بالرئاسات الدينية أو المدنية العليا .

يقدم لنا واضع تفسير صموئيل الأول (مركز المطبوعات المسيحية) مثلاً واقعياً حدث فى اسكتلنده ، حيث دُعى رئيس كنيسة اسكتلنده ليلقى خطاباً فى حفل عام ، وكان زعيماً بارزاً فى جيله ، كتبت عنه الصحف عدة شهور ونشرت له صوراً مراراً كثيرة . فلما قدمه رئيس المؤتمر إلى رئيس مجلس المدينة وهو عضو فى تلك الكنيسة ، سأل : « من هو هذا الرجل ؟ » ... على ذات القياس ، فى كل عصر نجد الكثيرين ممن لا يهتمون حتى بمعرفة اسم الرئيس الدينى .

هذا ونلاحظ أن الغلام الذى يخدم شاول كانت لديه معلومات أكثر عن الرائى وكرامته وموضع سكناه ، إذ قال : « هوذا رجل الله فى هذه المدينة ، والرجل مكرم ، كل ما يقوله يصير » ١ صم ٩ : ٦ .

هذا ولا ننسى أيضاً أن صموئيل مثل عالى الكاهن اختلف الاثنان عن بقية القضاة السابقين لهما وربما البعض كانوا معاصرين لهما ، إذ التزما بالعمل القيادى الروحى والتوجيه فى المسائل الزمنية دون قيادة الجيوش بنفسيهما ، إذ لم يكونا رجلى حرب ، الأمر الذى لم يكسبهما شهرة بين الشباب ، لأن الشباب غالباً ما تستهويه أخبار الحروب والانتصارات والأعمال البطولية .

تساءل شاول : « **ماذا نقدم للرجل ، لأن الخبز قد نفد من أوعيتنا وليس من هدية نقدمها لرجل الله ، ماذا معنا ؟** » ١ صم ٩ : ٧ .

إن كان شاول قد جهل اسم الرائى وموضع سكناه لكنه تربى منذ الطفولة ألّا يدخل بيت الله بيد فارغة ، ولا يلتقى برجل الله بيد فارغة . وكانت العادة السائدة

أن يقدم الإنسان من طعامه أو محصولاته كما من أمواله . هذه العادة عاشتها الكنيسة الأولى ، فقيل عن والد القديس تكلا هيمانوت الأثيوبى ، وهو كاهن ، أنه لم يكن يدخل الكنيسة بيد فارغة . الكاهن الروحى محب للعطاء أكثر من الأخذ ... أينما وجد يشتاق أن يعطى . أقول إن كل نفس تلتقى بالله المحبة يحمل طبيعة العطاء فى أعماقه ، يفرح ويشبع داخلياً مع كل عطاء للغير .

كان مع الغلام ربع شاقل فضة ، وهو مبلغ زهيد للغاية ، لم يخجل هو وشاول من تقديمه ، فإن العبرة لا فى الكمية بل فى طبيعة العطاء ذاتها أو اتساع القلب بالحب .

كانت الرامة ــ مدينة صموئيل ــ قائمة على أكمتين (رامتايم ١ صم ١ :١) ، لذا قيل « **وفيما هما صاعدان فى مطلع المدينة** » أى متجهان نحو باب المدينة ، التقيا بفتيات خارجات لاستقاء الماء ، قلن لهما : « **هوذا هو أمامكما ، أسرعا الآن ، لأنه جاء اليوم إلى المدينة لأنه اليوم ذبيحة للشعب على المرتفعة** » ١ صم ٩ : ١٢ .

إن كانت الرامة القائمة على أكمتين تمثل كنيسة المسيح القائمة على العهدين، القديم والجديد ، فإنه يليق بكل قلب أن يترك ما هو عند السفح ويصعد بروح الله خلال كلمة الله ــ العهدين ــ ليعيش فى الرامة كراءٍ ينعم بالبصيرة المفتوحة المطّلِعة على أسرار الله وأمجاده السماوية . ما هؤلاء الفتيات الخارجات لاستقاء الماء إلا رجال العهدين القديم والجديد الذين خلال النبوات والكرازة الإنجيلية يشيرون إلى المسيح السائر أمامنا يرعانا ، يفتح طريق الحق ويعبر بنا إلى الجلجثة لننعم بأسرار ذبيحته المخلِّصة .

ماذا قالت الفتيات لهما ؟

« **عند دخولكما المدينة للوقت تجدانه قبل صعوده إلى المرتفعة ليأكل ، لأن الشعب لا يأكل حتى يأتى لأنه يبارك الذبيحة ، بعد ذلك يأكل المدعوون** » ١ صم ٩ : ١٣ .

إذ ننعم بالصعود إلى كنيسة المسيح ، ماذا نرى ؟ نرى مسيحنا الذى تقدم ليأكل ، مقدماً جسده المبذول ذبيحة حب مشبعة لشعبه . يبارك الذبيحة بيديه

الطاهرتين ليعطى مدعويه ليأكلوا ويشبعوا ويثبتوا فيه .

لما دخل الرجلان إلى وسط المدينة « **إذا بصموئيل خارج للقائهما ليصعد إلى المرتفعة** » ١ صم ٩ : ١٤ . هكذا إذ ننعم بالعضوية الكنسية ، ندخل إلى كنيسته فيحملنا إلى جبل الجلجثة (المرتفعة) لنتمتع بسر الذبيحة واهبة المصالحة والمشبعة لاحتياجات النفس .

٤ـ صموئيل يكشف لشاول رسالته

لقد كشف الله أولاً لصموئيل النبى بخصوص مسح شاول ملكاً أو رئيسا لشعبه، وذلك قبل اللقاء معه بيوم (١ صم ٩ : ١٥) . ويلاحظ أن كلمة « رئيس » جاءت هنا فى العبرية nagid تعنى « رئيساً » أو « أميراً » غير أن الحديث عنه هنا كملك ، كما أن المسحة ذاتها تعنى نواله الملوكية[٧٠] .

استضاف صموئيل النبى شاول ، وكشف له كل شيء ، إذ قال له : « **وأما الأتن الضالة لك منذ ثلاثة أيام فلا تضع قلبك عليها ، لأنها قد وُجدت ، ولمن كل شهى إسرائيل ؟ أليس لك ولكل بيت أبيك ؟!** » **١ صم ٩ : ٢٠** . فى اتضاع أجاب شاول : « أمَا أنا بنيامينى من أصغر أسباط اسرائيل، وعشيرتى أصغر كل عشائر أسباط بنيامين ؟! فلماذا تكلمنى بمثل هذا الكلام؟! » ١ صم ٩ : ٢١ .

هنا يليق بنا أن نقف قليلاً لندرك عطايا الله للإنسان المرتفع إلى مدينة الرامة ، أى إلى الكنيسة ، والملتقى مع صموئيل رمز السيد المسيح .

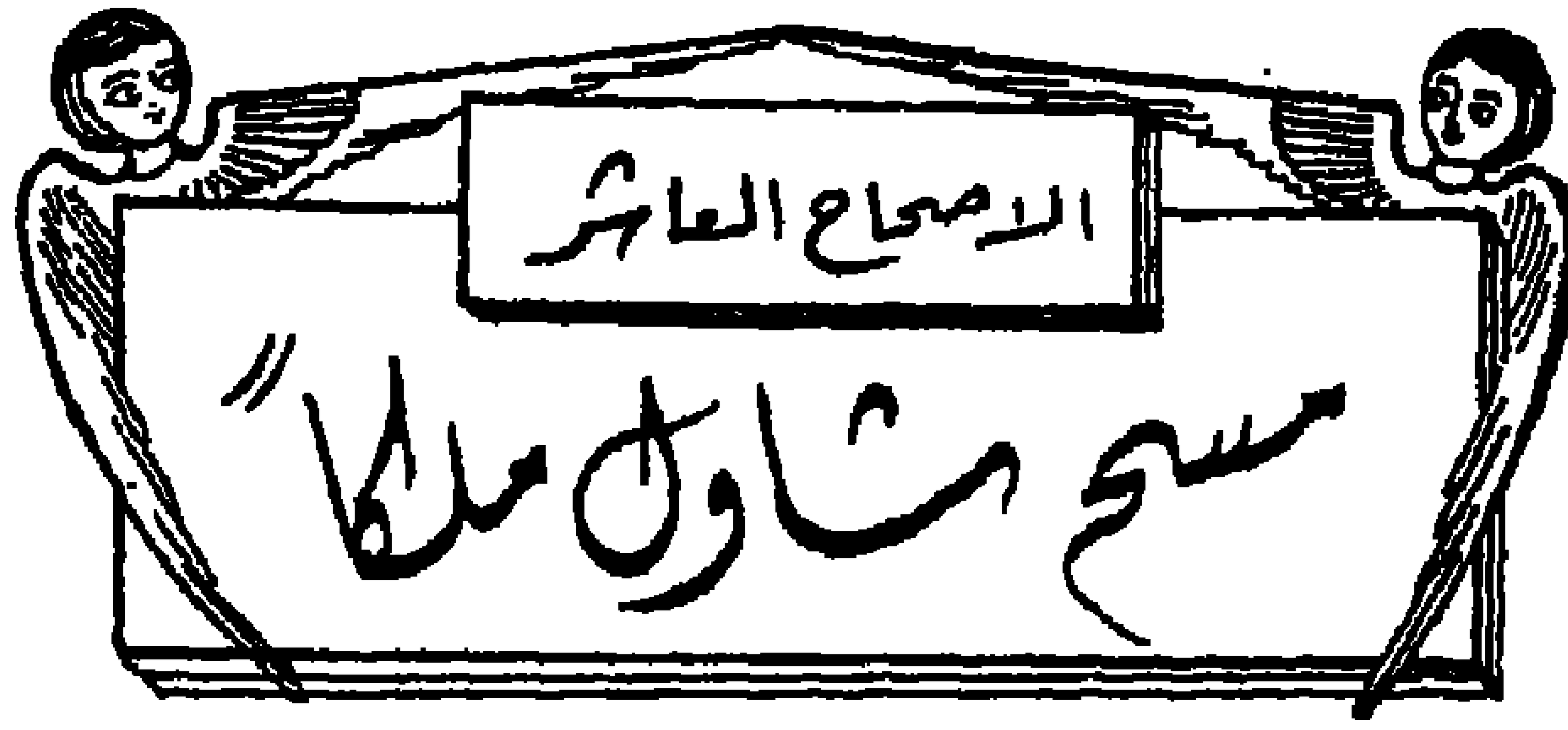
(أ) طلب صموئيل النبى من شاول ألا ينشغل بالأتن الضالة ، فإنها أمر تافه للغاية أمام ما سيناله من عطايا ، مقابل هذا أعلن له أنها قد وجدت ، وأنه ينال كل شهى إسرائيل . ألم يسألنا السيد المسيح ألا نهتم بشيء إلا بملكوت الله وهذه كلها تزاد لنا ؟. فإن الله فى محبته يهبنا فى هذا العالم مئة ضعف (مت ١٩ : ٢٩) بجانب تمتعنا بملكوت الله .

لنترك عنا الارتباك بالأتن الضالة ، فيردها الرب إلينا ويعطينا مركبات وخيل ، أما ما هو أعظم فإنه يهبنا ملكوته السماوى ، كما بقيادة مركبته السماوية ، لنترك الأتن الوضيعة الأرضية فنتقبل مركبة الله السماوية !

(ب) أخذه صموئيل هو وغلامه إلى المنسك ، أى إلى الغرفة بالمرتفعة عند المذبح المعدة للولائم الخاصة بالذبائح ، وجعلهما على رأس المدعوين وهم نحو ثلاثين رجلاً (١ صم ٩ : ٢٢) ، ثم أوصى الطباخ أن يقدم له الساق وما عليها (١ صم ٩ : ٢٤) . على أى الأحوال من يترك الانشغال بالزمنيات يرتفع كما إلى الوليمة السماوية وينعم بالطعام السماوى وينال كرامة مضاعفة وشبعاً .

(جـ) تمتع شاول بحديث سرى مع صموئيل عند طلوع الفجر على السطح (١ صم ٩ : ٢٥ ، ٢٦) . هكذا إذ ننعم بالطعام السماوى ندخل إلى علاقة سرية مع مسيحنا ، نلتقى به مبكراً ، حيث نوجد كما على السطح ، مرتفعين نحو السماء لننظر أسراره الإلهية وننصت إلى كلماته الخاصة ، محدثاً إيانا عن إقامتنا ملوكاً روحيين (رؤ ١ : ٦ ؛ ٥ : ١٠) .

+ + +



مُسح شاول ملكاً ، وقدمت له كل الإمكانيات ليعيش فى مخافة الرب قائداً قوياً يتمم الإرادة الإلهية ، دون أن يلتزم بالعمل حسب إرادة الله قسراً .

١ــ مسحه ملكاً ١ .

٢ــ صموئيل بنبئه بما يتم معه ٢ ــ٨ .

٣ــ أشاول أيضا بين الأنبياء ٩ ــ١٣ .

٤ــ لقاؤه مع عمه ١٤ــ١٦ .

٥ــ إعلان ملكه فى المصفاة ١٧ــ٢٦ .

+ + +

١ــ مسحه ملكاً

« **فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصبَّ على رأسه ، وقبّله ، وقال : أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً ؟!** » ١ صم ١٠ : ١ .

تضايق صموئيل النبى عندما طلب الشعب إقامة ملك لهم كسائر الأمم ، لكن إذ قبل الرب طلبتهم خضع ، بل وبعدما صب الدهن على رأسه قبّله قائلاً : « أليس الآن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً ؟! » . لقد قبّله برضى فى اتضاع معلماً إيانا روح الخضوع ، وكما يقول القديس بطرس الرسول : « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ، أو للولاة فكمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير » ١ بط ٢ : ١٣ ، ١٤ .

مسحه بقنينة الدهن التى يمسح بها الكهنة والأنبياء والملوك ، فيحسبون مسحاء الرب ، بكونهم رمزاً للسيد المسيح ، فهو وحده تجتمع فيه الثلاث وظائف معاً ، لأنه فى العهد القديم كان الكهنة من سبط لاوى وحده والملوك من سبط يهوذا (داود ونسله) ، فلا يتمتع أحد بالوظيفتين معاً .

ما أجمل عبارة صموئيل النبى للملك الممسوح حديثاً : « **لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً** » . فإنه ما ناله شاول هو عطية إلهية نالها كنعمة مجانية وليس عن استحقاق أو برّ ذاتى . أقامه وكيلاً على شعبه الذى دعاه ميراثه . حقاً إن الأرض كلها للرب ، لكن شعبه هو ميراثه ونصيبه الذى يعتز به وينشغل به كما ينشغل الإنسان بميراثه الخاص .

٢ــ صموئيل ينبئه بما يتم معه

إذ مُسح شاول بالدهن المقدّس ملكاً أنبأه بما سيحدث معه :

(أ) يذهب إلى قبر راحيل فى تخم بنيامين حيث يلتقى برجلين يخبرانه بأن الأتن قد وجدت وأن أباه مهتم بأمره هو والغلام (١ صم ١٠ : ٢) . كان له أن يفخر بهذا السبط ، وإن كان قد صار أصغر الأسباط بسبب المذبحة التى وردت فى قض ٢٠ : ٤٦ . كان يليق به أن يدرك أن بنيامين الذى كان ابن حزن أمه راحيل قد صار ابناً لليمين بالنسبة لأبيه يعقوب . وهو فى هذ يشير إلى السيد المسيح الذى هو ابن حزن أمه ــ جماعة اليهود ــ التى رفضته ، وقد جلس عن يمين الآب . بمعنى آخر يليق بشاول عند ذهابه إلى قبر راحيل أن يتشبه ببنيامين الذى تمتع بالجلوس عن يمين أبيه حتى وإن أحزن قلوب الكثيرين . لكن للأسف اهتم شاول أن يرضى الناس ــ أمه ــ لا الله ، فصار من أبناء اليسار لا اليمين .

قبر راحيل ، يبعد حوالى ميل شمال بيت لحم (تك ٣٥ : ١٦ــ٢٠) وأربعة أميال من تخم بنيامين الجنوبى . أما صلصح المذكورة هنا (١ صم ١٠ : ٢) فهى غالباً ما بين قبر راحيل وتخم بنيامين الجنوبى .

أعطاه النبى علامة أنه يجد رجلين عند القبر يخبرانه بأن الأتن قد وُجدت وأن أباه يفتش عن ابنه ، لماذا ؟ تأكيد مقابلة رجلين ينزع عن شاول الفكر أن ما يحدث هو محض صدفة ، إذ يليق به فى بداية مسحه ملكاً أن يدرك يد الله الخفية العاملة حتى فى الأمور البسيطة .

(ب) يلتقى بثلاثة رجال فى بلوطة تابور (١ صم ١٠ : ٣) صاعدين إلى الله إلى بيت إيل يحملون ٣ جداء و ٣ أرغفة وزق خمر ، يسلمون عليه دون أن يعرفوا أمر مسحه ملكاً ويقدمون له رغيفى خبز . ماذا يعنى هذا ؟ إنهم لا يقدمون له

من الجداء لأنه ليس كاهناً ، بل يصعدون بالذبائح إلى بيت إيل إلى بيت الله خلال الكهنة ، ولا يقدمون خمراً لأنها تمثل نوعاً من الترف ، إنما يقدمون له رغيفين أى الاحتياجات الضرورية له ولمن معه (هو والغلام) . كأنه يليق به كملك ألا يتدخل فى الأمور الكهنوتية ، ولا يطلب الكماليات إنما يعيش بروح الكفاف ليأكل خبزاً هو ورجاله متفرغاً للعمل لحساب شعب الله .

(جـ) يذهب إلى جبعة الله ، إلى أنصاب الفلسطينيين ، حيث يلتقى هناك بزمرة الأنبياء ، ويحل عليه روح الرب فيتنبأ معهم (١ صم ١٠ : ٥ ، ٦) . يعتبر صموئيل هو مؤسس مدرسة الأنبياء ، التى منها نشأ نظام المجمع اليهودى Synagogue system يمدهم بالتعليم الحاخامي وبقيادات للمجمع (راجع أع ٣ : ٢٤ ؛ قارن ١ صم ١٠ : ٥ مع ١٩ : ٢٠)[٧١] . يلتقى بالأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناى وعود وهم يتنبأون ، أى يسبحون الرب بفرح وتهليل (١ صم ١٠ : ٥) .

يمكننا القول بأن شاول ـــ كأول ملك لإسرائيل ـــ تعلم بعد مسحه مباشرة المبادىء الأساسية التالية لينجح فى حكمه :

(أ) أن يموت عن الأمور الزهيدة (زيارته قبر راحيل) وعدم انشغاله بالأتن الضائعة .

(ب) أن يصعد مع الرجال الثلاثة بقلبه إلى بيت الرب ينعم بالذبيحة (٣ جداء) والطعام الروحى (الخبز) وحياة الفرح (زق الخمر) .

(جـ) ألا يتعدى حدوده ، فلا يمارس العمل الكهنوتى بتقديم ذبائح .

(د) أن يكتفى بالضروريات له ولرجاله (أخذ رغيفين) ولا يطلب الكماليات (لم يأخذ خمراً) .

(هـ) أن يلتقى بزمرة الأنبياء يشاركهم فرحهم وعبادتهم ويقبل مشورتهم ، فلا يمارس عملاً دون طلب صلواتهم عنه .

بعد أن قدم صموئيل هذه العلامات الثلاث التى حوت دستور الحياة الناجحة لملوك إسرائيل ، قال له : « **فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم وتتحول إلى رجل آخر** » ١ صم ١٠ : ٦ . هذه هى عطية الله العظمى ، يهبنا

روحه القدوس ـــ واهب العطايا ـــ يسكن فينا فنعبده (نتنبأ) وتتجدد طبيعتنا .
من الذى يغير شاول من رجل فلاح وراعى غنم بسيط إلى ملك مقتدر يهتم بألوف شعب الله عوض الأتن والحقل إلا روح الله القدوس ؟ هكذا بعمل الروح القدس تتجدد طبيعتنا فى مياه المعمودية ، ونتمتع بالتقديس المستمر حتى نحمل صورة مسيحنا ملك الملوك .

+ الروح القدس هو قوة التقديس .
+ دُعى روح القداسة لأنه يقدم القداسة للكل .
+ كل صلاح بشرى ... يوهب خلال الروح القدس .
+ من يقتنى الطهارة فعلاً على مستوى بشرى ويذهب ليغتسل فى معمودية الله ... يقدر الروح القدس أن يجعل منه مسكناً له ، وتكون قوته العلوية كثوب له .

العلامة أوريجانوس(٧٢)

+ هذه هى نعمة الاستنارة (المعمودية) أن شخصياتنا لا تبقى كما كانت عليه قبل نوالنا الحميم .
+ إذ نعتمد نستنير ، وإذ نستنير نصير أبناء ، وكأبناء نصير كاملين ، وككاملين نضحى غير مائتين ، كما قيل : « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم » مز ٨٢ (٨١) : ٦ .

القديس اكليمندس الاسكندرى(٧٣)

٣ـــ أشاول أيضاً بين الأنبياء ؟!

إذ مُسح شاول تغير قلبه : « **وكان عندما أدار كتفه لكى يذهب من عند صموئيل أن الله أعطاه قلباً آخر** » ١٠ : ٩ . وإن كان قد فسد هذا القلب فيما بعد إذ اعتمد على الحكمة البشرية لا على العمل الإلهى .

تحققت كل كلمات صموئيل النبى ، وإذ جاء شاول إلى جبعة حيث أنصاب الفلسطينيين ـــ أى آثار أو أعمدة لهم (١ صم ١٠ : ٥) ـــ التقى بزمرة الأنبياء وحل عليه روح الله فتنبأ فى وسطهم (١ صم ١٠ : ١٠) . لم يتوقع أهل جبعة

العارفون شاول منذ ولادته حق المعرفة بأنه غير متديّن ، الآن — دون سابق تعّلم فى مدرسة الأنبياء — أن يجتمع بالأنبياء ويسبح معهم كواحد منهم ، بروح لم يعتادوها فيه . لذلك قيل : « أشاول أيضاً بين الأنبياء ؟! » ، وصارت مثلاً يكنى عن عمل الله الفائق فى حياة المؤمنين .

إذ انتهى شاول من التنبوء جاء إلى المرتفعة (١ صم ١٠ : ١٣) فى جبعة ليسجد لله .

إذ نتقبل عمل روح الله القدوس فينا — الذى يجدد على الدوام حياتنا — يلهب قلبنا للعبادة ويفتح ألسنتنا للتسبيح ، لذا يقول **العلامة أوريجانوس** : [لا نستطيع أن نقيم صلاة ما لم يُلقِ الآب عليها ضوءاً ، ويعلمها الابن ، ويعمل الروح القدس فى داخلنا[٧٤]] .

٤— لقاؤه مع عمه

التقى شاول بعمه — ربما كان نَيْر (١ صم ١٤ : ٥) — فى المرتفعة أو ربما فى المنزل بعد عودة شاول . سأله عمه عن حديث صموئيل معه فأخبره بأن صموئيل أعلمه بوجود الأتن الضائعة ، وأخفى عنه ما قاله بخصوص المملكة ، ربما لأنه حسب ذلك حديثاً سرياً لا يجوز إعلانه قبل اختيار الشعب له وتجليسه ملكاً أمام الجميع .

٥— إعلان ملكه فى المصفاة

« **استدعى صموئيل الشعب إلى الرب** » ١ صم ١٠ : ١٧ ، أى استدعى الذكور من سن عشرين فما فوق ليمثلوا فى حضرة الرب فى المصفاة ، حيث عاد فوبخهم على طلبهم ملك ، لكنه غالبا ما ألقى قرعة فأخذ سبط بنيامين ، ثم ألقيت القرعة على العشائر ، وأخيراً على الأشخاص فأُخذ شاول بن قيس الذى كان مُختبئاً بين أمتعة القادمين من السفر .

لا نعرف لماذا اختبأ شاول ، هل لشعوره بعدم الاستحقاق أم هرباً من المسئولية ؟ أم لأنه خاف بسبب رفض الشعب لله وطلبهم ملكاً ؟

أعلن الرب عن موضعه ، وإذ جاءوا به إلى الشعب وجدوا فيه سؤل قلبهم — جماله وطول قامته — لذا هتفوا فرحين دون أن يقدموا الشكر لله .

احتقره بنو بليعال ، وحسبوه عاجزاً عن أن يخلصهم ، لذا لم يقدموا له هدية . ربما لأن سبطه أصغر الأسباط ولأن عشيرته هى الدنيا بين عشائر بنيامين ... على أى الأحوال التزم شاول الصمت فى حكمةٍ « **فكان كأصم** » ١ صم ١٠ : ٢٧ ، بهذا حفظ الشعب من قيام ثورة داخلية بسببه بين الأسباط . لقد اعتبر صمته غلبة داخلية لحقها بعد شهر من الزمان نصرة خارجية حيث غلب ناحاش ورجال جيشه العمونيين .

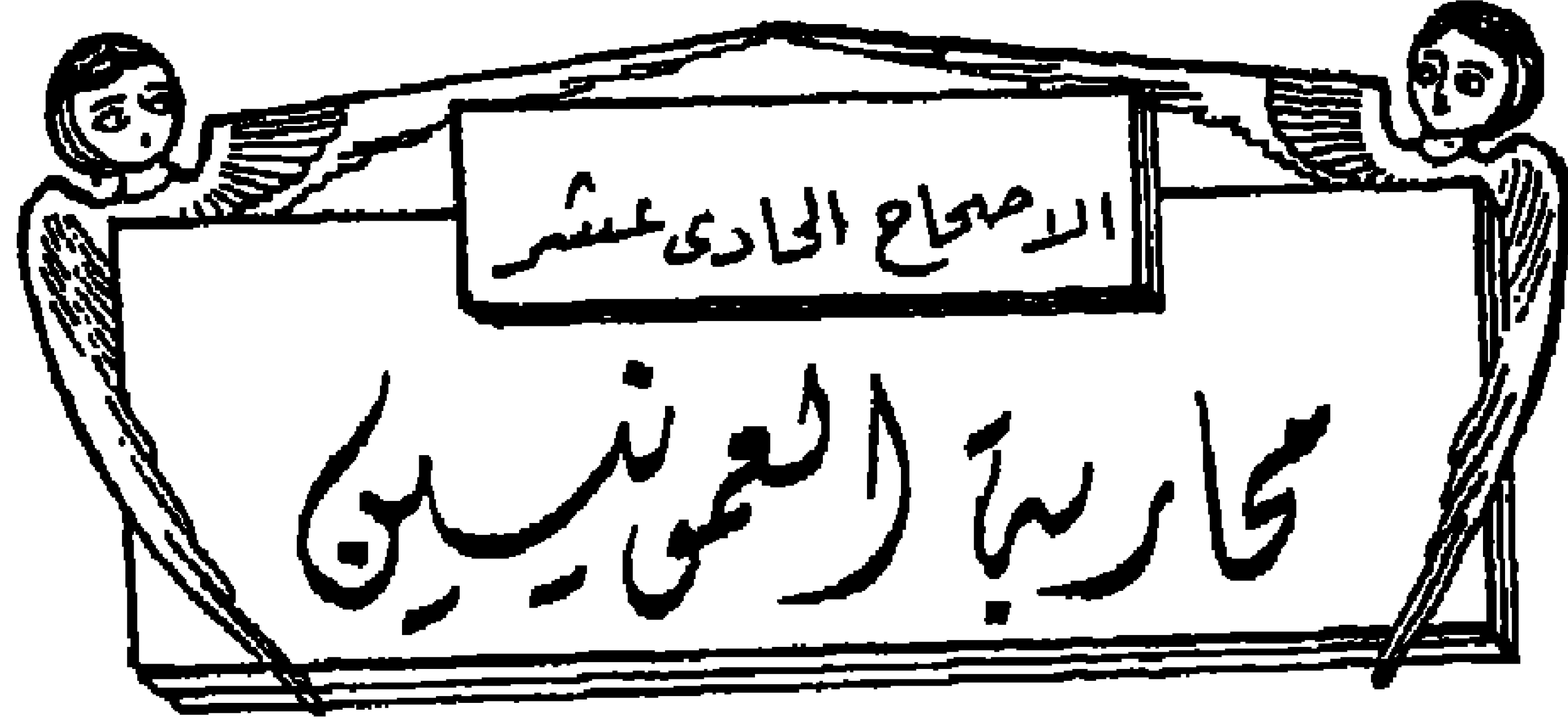
الصمت المقترن بالحكمة يمثل نصرة داخلية للنفس ، لذا كثيراً ما أوصى به الآباء .

+ إن كنت تحب الحق ، أحبب الصمت . هذا يجعلك تنير فى الرب مثل الشمس ويخلصك من خداع الجهل .

الصمت يوحّدك مع الله نفسه .

مار إسحق السريانى(٧٥)

+ + +



إذ أراد ناحاش العمونى أن يذل أهل يابيش جلعاد ، التجأ شيوخهم إلى جبعة شاول الذى حل عليه روح الله ، وجمع الشعب معاً وغلب العمونيين ... إنها بداية طيبة فى بدء عهده فاستحق تجديد ملكه فى الجلجال دينياً وامتلأ الكل فرحاً .

١ــ تهديد ناحاش العمونى ١ ــ ٣ .
٢ــ غيرة شاول ٤ ــ ١٠ .
٣ــ رفض قتل بنى بليعال ١٢ــ ١٣ .
٤ــ تجديد الملك لشاول ١٤ــ ١٥ .

+ + +

١ــ تهديد ناحاش العمونى

دُعى ملك العمونيين « ناحاش » أى « حنش » أو حية ، ربما بسبب تأليههم للحية[٧٦] .

جاء فى الترجمة السبعينية : « بعد شهر » ، أى بعد اختيار شاول ملكاً بفترة وجيزة صعد ناحاش ليستعبد يابيش جلعاد . يُقال إن الإسرائيليين طلبوا ملكاً (١ صم ٩) عندما شعروا بأن ناحاش يدبر صعوده هذا .

لقد ظهر الضعف الشديد الذى عاش فيه إسرائيل من احتقار ناحاش لهم بصورة مخزية . فمن جهة إذ قبل أهل يابيش أن يُستعبدوا له على أن يقطع لهم عهداً لحمايتهم كعبيد له طلب منهم « **تقوير كل عين يمنى** » لهم ليكون ذلك عاراً على جميع إسرائيل . ولما طلب شيوخهم مهلة سبعة أيام لاستشارة جميع تخوم إسرائيل لعله يوجد من بينهم من يخلصهم منه ــ فى استهانة بكل إسرائيل ــ أعطاهم المهلة للاستغاثة ، مدركاً أنه لا يوجد فى كل الأسباط من يقدر أن

يخلص أو يسند ... هكذا حل بهم الضعف حتى استهان بهم العدو وسخر منهم .

إن كان ناحاش يرمز للحية القديمة التى حملت عداوة ضد الإنسان منذ البداية ، فإن بنى إسرائيل يمثلون الطبيعة البشرية التى فسدت تماماً ولم يكن لها قوة لمقاومة العدو . عمل ناحاش هو الاستعباد ليقيم مملكة الظلمة قانونها العنف والظلم ، وقد طلب تقوير كل عين يمنى وترك العين اليسرى . وكما يقول **القديس أغسطينوس**[٧٧] إن العين اليمنى تشير إلى البصيرة الروحية والمشورة السماوية أما العين اليسرى فتشير إلى التطلع إلى الزمنيات الفانيات . وكأن عمل عدو الخير أن يحطم كل بصيرة روحية ترفع القلب إلى السماويات ، ويربط حياتنا بالزمنيات والأرضيات . لهذا السبب فى الأيقونات القبطية يُرسم القديسون بعينين متسعتين مفتوحتين ، لأن أولاد الله لهم بصيرة فى الأمور السماوية كما فى الزمنية ، هم حكماء فى تدبير حياتهم الروحية وأمورهم الزمنية . كما يُصوَّر السيد المسيح على الصليب مفتوح العينين ، فإنه وإن مات بالجسد لكنه بلاهوته يتطلع إلى السمائيين والأرضيين ، يرعى السماء والأرض ويهتم بهما . أما بالنسبة للأشرار ــ مثل يهوذا الخائن ــ فيصور بجنبه كى تظهر عين واحدة ، لأنه متطلع إلى الفضة لا إلى خلاصه الأبدى ، يتطلع إلى الزمنيات دون السماويات .

يقول الكتاب عن ناحاش العمونى إنه « **نزل على يابيش جلعاد** » ١ صم ١١ : ١ . وكأن يابيش قد انحط فنزل إلى تراب هذا العالم ، لذا « نزل » ناحاش إليه . وكما يقول **القديس جيروم** إن المؤمن متى كان كطائر مرتفع يحلق فى الأعالى لا تقدر الحية الزاحفة على التراب أن تبتلعه ، لكن متى نزل الطائر إلى التراب يسهل على الحية أن تبتلعه . هكذا وجدت الحية ــ ناحاش ــ أهل يابيش فى وحل هذا العالم لذا زحفت إليهم مستهينة بهم ، مدركة أنه ليس من يستطيع أن يخلصهم من أحشائها .

إن كانت كلمة « **جلعاد** » تعنى « كومة شهادة »[٧٨] أو « خشن »[٧٩] ، فإن « **يابيش** » تعنى « جافاً »[٨٠] . عدو الخير أو الحية القديمة يستطيع أن يعيّر النفس الجافة المملوءة خشونة ، أما المملوءة محباً ولطفاً فى الرب فليس له موضع فيها ، ولا يقدر أن يقاومها .

يابيش جلعاد : مدينة على جبل جلعاد شرقى الأردن ، يظن أنها تل أبو خرز فى شمال وادى اليابس (وادى يبيش) ، تبعد $9\frac{3}{8}$ أميال جنوب شرقى بيت شان ، دمرها الإسرائيليون لعدم اشتراكهم معهم فى المصفاة (قض ٢١ : ٨) .

٢ــ غيرة شاول

جاء الرسل إلى جبعة شاول يتحدثون بتهديدات ناحاش ، فرفع كل الشعب أصواتهم وبكوا . « **وإذا بشاول آت وراء البقر من الحقل ، فقال شاول : ما بال الشعب يبكون ؟** » ١ صم ١١ : ٥ .

سبق أن مُسح شاول بالدهن المقدس فصار « مسيح الرب » ، ملك إسرائيل ، لكنه لم يمارس العمل الملوكى ربما خشية حدوث انقسام وسط الشعب بسبب رفض بنى بليعال له ، أو لشعوره بالعجز وعدم الخبرة فى ممارسة هذا المنصب منتظراً الفرصة التى يعدها الرب له .

إن كان شاول بنيامينيا ، فإن البنيامينيين يحملون قرابة خاصة مع أهل يابيش ، لأنه بعد مذبحة بنيامين أخذ البنيامينيون ٤٠٠ عذراء منهم كنساء لهم (قض ٢١ : ١ــ٤) ، لذا لا نعجب إن تعاطف البنياميون معهم . هذا وقد حل عليه روح الله ليمارس بغيرة وشجاعه وإيمان عمله كملك (١ صم ١١ : ٦ ، ٧) ، إذ أخذ فدان بقر وقطّعه ووزّع القطع على كل تخوم إسرائيل ليثير فيهم الرغبة فى الحرب ضد العدو . لبى الشعب الدعوة فقد أعطاه الرب مهابة فى أعينهم ، وخرجوا كرجل واحد وكان عددهم ٣٠٠,٠٠٠ رجل من إسرائيل و ٣٠,٠٠٠ من يهوذا ... هذا العدد لم يتدرب على الحرب ، اجتمعوا فى بازق ، بين شكيم وبيت شان على بعد سبعة أميال من الأردن .

قام شاول بتوزيع الشعب وتنظيمه ليكوّن منه ثلاث فرق هاجمت العدو عند السحر من ثلاث جهات مختلفة فى وقت غير متوقع . قام العدو من النوم فزعاً ينازعهم النعاس والدهشة لما حدث فحلت بهم الهزيمة كاملة ، إذ أن بنى إسرائيل « ضربوا العمونيين حتى حمى النهار (الظهيرة) ، والذين بقوا تشتتوا حتى لم يبق منهم اثنان معاً » ١ صم ١١ : ١١ .

بحكمة قال أهل يابيش لناحاش : « غداً نخرج إليكم ... » ليظن أنه خاب أملهم فى وجود نجدة لهم ، وفجأة هاجموه مع نهاية الليل وبداية الفجر ... إنها صورة حية لجهاد المؤمنين ، الذين يشعرون فى أعماقهم وبصدق أنهم عاجزون عن محاربة عدو الخير لأن طبيعتهم قد فسدت وعدو الخير سيطر على أعماقهم بالرعب . إنهم فى حاجة إلى مسيح الرب الحقيقى ــ كلمة الله المتجسد ــ الذى يجمع شمل المؤمنين بروحه القدوس ويقودهم بنفسه فى المعركة الروحية الخفية مع نهاية الليل وبدء النهار ، حيث يشرق على قلوبهم واهباً إياهم الغلبة على الظلمة . بمعنى آخر بالاتضاع الحق ــ الذى من خلاله ندرك عجزنا الكامل مع ثقة كاملة فى المسيح واهب الغلبة ــ ندخل إلى المعركة التى طرفاها الله والشيطان .

٣ــ رفض قتل بنى بليعال

طلب الشعب من صموئيل النبى ــ الذى مسح شاول ملكاً ــ أن يُقتل بنو بليعال الذى احتقروا شاول بكونهم عصاة ، لأن شاول حقق لإسرائيل نصرة عظيمة لم تكن متوقعة . وجاءت الإجابة من شاول : « **لا يُقتل أحد فى هذا اليوم ، لأنه فى هذا اليوم صنع الرب خلاصا فى إسرائيل** » ١ صم ١١ : ١٣ . هكذا ظهر شاول كملك أبى النفس يرفض قتل الناس فى يوم الخلاص ، حاسباً فرح الشعب أعظم من أى انتقام شخصى .

إن كان هذا يليق بالملك فكم بالأكثر يلزم على الكاهن أن يكون طويل الأناة حتى بالنسبة لمضايقيه .

+ ينبغى أن يكون سلوك الكاهن نحو من هم فى عهدته كسلوك الأب نحو أطفاله الصغار ، فلا يضطرب بسبب شتائمهم أو ضرباتهم أو نحيبهم ، بل وإن ضحكوا عليه وسخروا منه لا يعطى ذلك اهتماماً .
+ إن كان الأسقف ... ذا طبع ثائر ، فإن هذا يسبب كوارث عظيمة له ولإخوته .

+ لا يوجد شيء يفيد الغير ويجتذب القلوب إلى الله أكثر من وداعة من يكون مهاناً ، مستهزَءا به ، مثلوباً ، مَعَّيراً ، وهو يحتمل كل هذا بوجه باش وهدوء عظيم كأنه لا يشعر بشيء .

القديس يوحنا الذهبى الفم(٨١)

٤ـ تجديد المُلك لشاول

مُسح شاول ملكاً فى المصفاة (١ صم ١٠ : ٢٥) ووُجد بنو بليعال المحتقرون له ، أما وقد غلب فتم تجديد مبايعته بالإجماع فى الجلجال أمام الرب حيث قدمت ذبائح سلامة ، وعمّ الفرح الجميع .

+ + +



قدم صموئيل النبى حديثاً وداعياً وصريحاً ، أشهدهم فيه أمام الله ومسيحه على أمانته من نحوهم وعدم استغلاله لهم ، كما ذكرهم ببركات الرب وأعماله معهم ، وبخهم على طلبهم ملكاً ، فاتحاً أمامهم باب الرجاء فى الرب المحب لشعبه ... وقد أراد بهذا كله تقديم درس للملك الجديد .

١ــ صموئيل يعلن أمانته ١ ــ٦ .
٢ــ معاملات الله معهم ٧ ــ ١١ .
٣ــ طلبهم ملكاً ١٢ــ١٩ .
٤ــ يفتح باب الرجاء أمامهم ٢٠ــ٢٥ .

\+ + +

١ــ صموئيل النبى يعلن أمانته

أوضح صموئيل النبى أمانته فى العمل الرعوى بإعلانه أنه كان يستجيب لطلبات شعب الله ، يسمع لصوتهم حتى أقام عليهم ملكاً كطلبهم ، ولم يكن ذلك مقابل شيء ، إنما من أجل حبه لهم . فى ثقة يقول : « **هأنذا فاشهدوا علىّ قدام الرب وقدام مسيحه : ثور من أخذت ؟! وحمار من أخذت ؟! ومن ظلمت ؟! ومن سحقت ؟! ومن يد من أخذت فدية لأغضى عينى عنه فأرد لكم ؟!** » ١ صم ١٢ : ٣ .

إنه يُشهد الرب الذى يفحص القلوب ويعرف الأفكار الخفية أن ما صنعه مع شعب الله لم يكن مظهراً خارجياً بل نابعاً من أعماق حب وأمانة داخلية .

ويُشهد أيضاً مسيحه ، أى شاول الملك ، فإن كان صموئيل قد حزن لطلب الشعب إقامة ملك لكن هوذا الملك نفسه يشهد لصموئيل عن أمانته فى الرعاية ، أنه لم يُنقص الشعب أو يعوزه شيئاً ، ولا سلب الشعب شيئاً .

ما فعله صموئيل النبى هنا ليس دفاعاً عن نفسه لأنه لم يتهمه أحد بشىء إنما قصد به تثقيف الملك الجديد . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [لم يتهمه أحد ، فإنه لم ينطق بهذا لكى يبرر نفسه وإنما لأنه قام بمسح ملك فأراد أن يعلمه أن يكون وديعاً ولطيفاً تحت ستار دفاعه عن نفسه ... لقد نطق بهذا ليكون (الملك) فى حال أفضل[٨٢]] .

لقد شهد الكل كيف سلك بلا لوم إذ قالوا : « **لم تظلمنا ولا سحقتنا ولا أخذت من يد أحد شيئاً** » ١ صم ١٢ : ٤ . هكذا يليق بالقائد الروحى أن يكون بلا عيب !

+ يليق بالكاهن أن يتلألأ ، فيضيء بسيرته الحسنة على جميع الناس ليقتدوا بمثاله . أما إذا استحال هذا النور إلى ظلام ، فماذا يحل بالعالم ؟! أما يصير خراباً ؟!

+ نحن محتاجون إلى سلوك حسن لا إلى لغة منمقة ، إلى الفضيلة لا إلى الخطابة الفذة ، إلى الأعمال لا إلى الكلام .

القديس يوحنا الذهبى الفم[٨٣]

لقد أشهدهم على إخلاصه ، كما أشهد الملك نفسه مسيح الرب ، وذلك فى حضرة الله الذى أقام موسى وهرون والذى أصعد آباءهم من أرض مصر (١ صم ١٢ : ٦) . يقول يشوع بن سيراخ : « قبل أن ينام صموئيل نومه الطويل دافع عن براءته أمام الله والشعب » ٤٦ : ١٩ .

٢ـ معاملات الله معهم

بعد أن شهد الشعب ببراءته بدأ هو يحاكمهم مظهراً لهم معاملات الله معهم كيف اهتم بهم عبر الأجيال مرسلاً لهم مخلصاً متى لجأوا إليه بالصلاة . ففى مصر إذ استعبدهم المصريون صرخوا إلى الله فارسل إليهم خلاصاً على أيدى موسى وهرون ، وعندما أذلهم سيسرا رئيس جيش حاصور وأيضا الفلسطينيون والموآبيون أرسل لهم قضاة وقام الرب نفسه بإنقاذهم من أيدى أعدائهم الذين حولهم ليسكنوا آمنين(١ صم ١٢ : ١١) . كأن الله لم يعوزهم شيئاً إذ اهتم برعايتهم

وسلامهم ، أما الآن فإذ رأوا ناحاش آتياً لم يصرخوا إلى الرب ليرسل لهم خلاصاً وإنما طلبوا ملكاً يملك عليهم متجاهلين أن الرب نفسه ملكهم (١ صم ١٢ : ١٢) .

٣ــ طلبهم ملكاً

كثيراً ما يكرر صموئيل النبى الحديث عن إقامة ملك بكونه خطأ موجها ضد الله نفسه الذى يملك عليهم ويقودهم دون أن يعوزهم شيئاً .

لقد أراد ان يوضح لهم أنه وإن كان الملك قد أقيم يلزمهم ألا يتكئوا على الذراع البشرى بل على ملكهم الحقيقى الذى فى يده التاريخ والطبيعة . أكد ذلك بمثل عملى سريع إذ قال لهم : « أما هو حصاد الحنطة اليوم ؟! فإنى أدعو الرب فيعطى رعوداً ومطراً ، فتعلمون وترون أنه عظيم شرّكم الذى عملتموه فى عينى الرب بطلبكم لأنفسكم ملكاً » ١٢ : ١٧ . وإذ صار رعد ومطر « خاف جميع الشعب الرب وصموئيل جداً » ١ صم ١٢ : ١٨ . هكذا كان الشعب محتاجاً إلى درس سريع وعملى ليدرك أن الله هو ملك الطبيعة وضابطها قادر أن يوجه التاريخ ويضبطه .

أبرز صموئيل النبى لطف الله نحو شعبه الذى رفض مُلكه ، فإنه قبل طلبتهم كما أعطاهم حق الاختيار ، إذ قيل : « **فالآن هوذا الملك الذى اخترتموه الذى طلبتموه ، وهوذا قد جعل الرب عليكم ملكاً** » ١ صم ١٢ : ١٣ .

٤ــ يفتح باب الرجاء أمامهم

كشف لهم فى حزم عن الخطأ الذى ارتكبوه بطلب ملك لأنفسهم ، لكنه كأب يفتح باب الرجاء فى مراحم الله العظيمة قائلاً : « **لا تخافوا ، إن كنتم قد فعلتم كل هذا الشر ، ولكن لا تحيدوا عن الرب ... لأنه لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم ، لأنه قد شاء الرب أن يجعلكم له شعباً** » ١٢ : ٢٠ــ٢٢ .

الله ــ فى صلاحه ــ يحوّل حتى أخطاءنا لمجد اسمه القدوس ولبنياننا إن رجعنا إليه بالتوبة ، كما فعل مع أخطاء إخوة يوسف ، إذ حولها لمجد الله ولتكريم يوسف ولشبع يعقوب وبنيه ، ولإقامة أمة لهم فى مصر .

الله غيور على شعبه لا من أجل برهم الذاتى ، وإنما من أجل حبه ، ومن أجل اسمه القدوس ، هذا ما يكرره الرب ، ويؤكد لنا :

« خلصهم من أجل اسمه ليُعرف جبروته » مز ١٠٦ : ٨ .

« من أجل اسمى أبطىء غضبى ... من أجل نفسى من أجل نفسى أفعل ، لأنه كيف يُدنس اسمى ؟! وكرامتى لا أعطيها لآخر » إش ٤٨ : ٩ ، ١١ .

« صنعت لأجل اسمى لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم الذين هم فى وسطهم » حز ٢٩ : ٩ .

إن كان ـــ من جانب الله ـــ يرسل لهم خلاصاً فى كل جيل ، فمن جانب صموئيل يحمل كل حب لهم ، لذا يقول : « **وأما أنا فحاشا لى أن أخطىء إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم** » ١ صم ١٢ : ٢٣ . هكذا لا يكف عن الصلاة ولا يتوقف عن تعليمهم الحق وإرشادهم .

من جهة صلاة القائد ، خاصة الكاهن ، يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [الكاهن ، لأنه أوتمن على العالم كله وصار أباً لجميع الناس ، يتقدم إلى الله متوسلاً فى الصلوات الخاصة والعامة من أجل رفع الحروب فى كل مكان وإخماد الاضطرابات ملتمساً السلام والهدوء لكل نفس والشفاء للمرضى[٨٤] ...] . أما من جهة التعليم فيقول : [من لا يعرف كيف يقدم التعليم الصحيح فهو بعيد كل البعد عن كرسى المعلم ، لأن بقية الصفات يمكن أن توجد بين من يرعاهم ... أما ما يميزه عنهم ، فهو قدرته على التعليم بالكلمة[٨٥]] .

+ + +



استخدم شاول الحكمة البشرية فى حماقة (١٣ : ١٣) باغتصابه العمل الكهنوتى وإصعاد محرقة للرب ، لأن الشعب قد تفرق عنه وصموئيل قد تأخر بينما اجتمع الفلسطينيون لمحاربته . صدر الأمر الإلهى على فم صموئيل النبى : « أما الآن فمملكتك لا تقوم » ١٣ : ١٤ .

١ــ ارتعاد الشعب ١ ــ٧ .

٢ــ شاول يقدم محرقة ٨ ــ٩ .

٣ــ رفض شاول ١٠ــ١٥ .

٤ــ ضعف حال إسرائيل ١٧ــ٢٣ .

+ + +

١ــ ارتعاد الشعب

يفتتح هذا الأصحاح فى الأصل العبرى بالعبارة : « **كان شاول ابن سنة حين ملك ، وملك سنتين على إسرائيل** » ١ صم ١٣ : ١ . واضح أنه لم يكن ابن سنة حين ملك ولا ملك سنتين فقط ، لذا يظن البعض أن الناسخ فقد كلمة « أربعين » قبل كلمة « سنة » ، أى « كان شاول ابن أربعين سنة حين ملك » ، وأن كلمة « ثلاثين » فُقدت بعد كلمة سنتين ، أى ملك « سنتين وثلاثين » ، فإذا أضيف إلى الـ ٣٢ سنة وكسور سبعة سنين وكسور (الفترة ما بين موت شاول ومسح داود ملكاً على كل إسرائيل (٢ صم ٤ : ٥ ؛ ٥ : ٥) يمكن القول بأن مملكة شاول بقيت لمدة أربعين سنة (أع ١٣ : ٢١) .

فى ١ صم ٩ : ٢ نرى شاول شاباً حين ملك ، وهنا نرى ابنه يوناثان جندياً محارباً (١ صم ١٣ : ٢ ، ٣) ، فلابد أن تكون هناك فترة تزيد عن العشرين سنة بين ما ورد هنا وما ورد فى الأصحاح السابق . خلال هذه المدة نظم شاول جيشاً صغيراً ، يضم ٣ آلاف محارب ، ألفين معه فى مخماس [تعنى « مختبئ[٨٦] » ،

قرية مخماس الحالية ، تبعد خمسة أميال شمال أورشليم] ، وألفاً مع يوناثان ابنه البكر فى جبعة بنيامين [هى تل الفول حالياً تبعد أربعة أميال شمال أورشليم ، شرقى الطريق من أورشليم إلى نابلس ، مسكن شاول الأصلى]

ضرب يوناثان نصب الفلسطينيين الذى فى جبع [لا تزال تحمل ذات الاسم ، يفصلها عن مخماس وادٍ عمقه ٨٠٠ قدم ، جانباه منحدران] . ضرب شاول بالبوق ليجمع إسرائيل للحرب ، فاجتمعوا فى الجلجال . أما الفلسطينيون فحسبوا هذا مهانة لهم أن يضرب يوناثان نصبهم فاجتمع ٣٠,٠٠٠ مركبة و ٦٠٠٠ فارس وشعب بلا عدد كرمل البحر صعدوا ثم نزلوا فى مخماس شرقى بيت آون (بيت الصنم أو الشر ، كانت بين بيت إيل ومخماس) ، ربما جاوا ليسدوا طريق الجلجال فلا يصعد شاول لنجدة يوناثان .

لم يفكر شاول أو يوناثان أو الشعب فى الالتجاء إلى الله لخلاصهم ، لذا حل بهم الخوف والرعدة ، اختبأ الشعب فى المغاير والغياض والصخور والصروح والآبار ، وعبر البعض الأردن إلى أرض جاد وجلعاد ، حتى لم يبق مع شاول سوى ستمائة شخص (١ صم ١٣ : ١٥) .

لقد فقد الشعب رجاءهم وامتلأوا خوفاً لا بسبب قلة عددهم وإنما بسبب فقدان إيمانهم :

+ عندما يظلم الذهن يختفى الإيمان ، ويسيطر الخوف علينا ، وينقطع رجاؤنا .

+ الإنسان الجسدانى يخاف (الموت) كما يخاف الوحش من الذبح .

مار إسحق السريانى(٨٦)

٢ــ شاول يقدم محرقة

رأى شاول الشعب قد تشتت ، وهجر كثيرون الموقع ، وقد أوشكت الهزيمة أن تحل بالشعب ، وصموئيل لم يحضر بعد ، فقال : « **قدموا إلىّ المحرقة وذبائح السلامة** » ، فأصعد المحرقة . لقد ظن أن المحرقة أشبه بأحجية أو حجاب يؤدى إلى النصرة ، ولا يدرى أنها رمز للذبيحة الحقيقية ، وأنه لا يجوز تقديمها إلا بحسب

الشريعة لتحقيق المصالحة مع الله . فى غباوة تجاسر وكسر الوصية الإلهية ، متعللاً بالظروف المحيطة غير متكل على الرب .

يرى البعض أنه لا يمكن أن يكون مذبح عظيم كالجلجال بلا كاهن ، وإنما استغل شاول تأخير صموئيل النبى لكى يغتصب الحقوق الكهنوتية الدينية بجانب سلطته الزمنية ... عمله هذا حمل اغتصاباً يشتاق إليه متحيناً الفرصة لتحقيقه .

صار شاول مثلاً سيئاً لتعدى حدود رتبة الإنسان ، وقد جاء فى الدسقولية :

[من يمارس عملاً بدون الأسقف يعمل بلا هدف . قيل لشاول : لا يليق بك ذلك (١ صم ١٣ : ١٣) عندما قدم (محرقة) بدون صموئيل ، هكذا كل علمانى يفعل شيئا بدون انكاهن يتعب باطلاً . وأيضاً عُزيا الملك (٢ أى ٢٦) إذ أراد ممارسة الأعمال الكهنوتية وهو ليس كاهناً ضُرب بالبرص بسبب عصيانه ، هكذا يُعاقب كل علمانى يحتقر الله ، ويجنون يهين كهنته ، ويغتصب بظلم هذه الكرامة لنفسه ، غير متمثل بالمسيح « الذى لم يمجدنفسه ليصير رئيس كهنة » بل انتظر ليسمع من أبيه : « أقسم الرب ولن يندم أنت هو الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » مز ١١٠ : ٤[٨٨]] .

[الآن ، نسألكم نحن جميعاً أن يلتزم كل أحد برتبته التى عُين لها ، ولا يتخطى حدوده اللائقة ، فإنها (الرتب) ليست لنا بل لله . يقول الرب : « الذى يسمع منكم يسمع منى ، والذى يسمع منى يسمع من الذى أرسلنى ، والذى يرذلكم يرذلنى ، والذى يرذلنى يرذل الذى أرسلنى » لو ١٠ : ١٦ ؛ مت ١٠ : ٤٠ ؛ يو ١٣ : ٢٠[٨٩]] .

أيضاً صار مثلاً سيئاً فى عدم فهمه للعبادة ، فإن الله يطلب الطاعة لا الذبائح الحيوانية والمحرقات . إذ قيل : « بذبيحة وتقدمة لم تُسر ... محرقة وذبيحة خطية لم تطلب » مز ٤٩ : ٦ ، « ذبيحة وقربانا لم ترد ... بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر » عب ١٠ : ٥ ، ٦ .

+ لنقدم ذواتنا كعطايا ذبيحية ومحرقات للرب ، هذا الذى لا يريد حيوانات عجماوات ...

الأب دوروثيؤس من غزة[٩٠]

لو أن شاول انتظر الدقائق الأخيرة لجاء صموئيل وقدم محرقة مقبولة لدى الله عوض محرقة شاول التى حملت رائحة عصيان وصايا الرب . حاجتنا أن نصبر إلى المنتهى فنخلص (مت ١٠ : ٢٢) ، وننتظر الهزيع الأخير لنرى رب المجد قادماً على المياه ليرد سلامنا (مت ١٤ : ٢٥) .

+ يليق بنا أن نصبر مثابرين أيها الإخوة الأحباء ، حتى إذ ننعم بالرجاء فى الحق والحرية ننال الحق والحرية ذاتها .

الشهيد كبريانوس[٩١]

٣ــ رفض شاول

إذ تعدى شاول حدوده عاصياً الوصية الإلهية بتقديم ذبائح هى من عمل الكاهن لا الملك، جاءه صموئيل النبى يوبخه قائلاً له : « ماذا فعلت ؟ » ١ صم ١٣ : ١١. عوض أن يراجع نفسه ويعترف بخطئه ألقى باللوم على صموئيل قائلاً : « لأنى رأيت أن الشعب قد تفرق عنى وأنت لم تأتِ فى أيام الميعاد والفلسطينيون مجتمعون فى مخماس ، فقلت الآن ينزل الفلسطينيون إلىّ إلى الجلجال ولم أتضرع إلى وجه الرب فتجلّدت وأصعدت المحرقة » ١ صم ١٣ : ١١ ، ١٢ .

لو أن شاول دان نفسه معترفاً بخطئه ربما تغيَّر الموقف ، لكنه أبرز نفسه كشخص غيور على شعب الله وأنه متضرع إلى وجه الرب وأن صموئيل النبى هو الذى تأخر عن الميعاد فصار الموقف حرجاً .

+ إن دققنا الفحص نجد أن علة كل الاضطرابات هى عدم إدانتنا لأنفسنا ، لذا نجد هذا الارتباك ولن نجد راحة .

الأب دوروثيؤس[٩٢]

ثمرة عصيان شاول مع تبريره لخطئه وإلقاء اللوم على الغير أنه فقد هو ونسله المملكة ، إذ قال له صموئيل النبى : « **قد انحمقت ؛ لم تحفظ وصية الرب إلهك التى أمرك بها ، لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد . وأما الآن فمملكتك لا تقوم . قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه** » ١ صم ١٣ : ١٣ ، ١٤ .

يعلق **القديس أغسطينوس** على العبارة : « قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد » قائلاً : [يفهم هذا بأن الله قد أقام شاول نفسه ليملك إلى الأبد ؛ وأنه إذ أخطأ لم يُحفظ هذا الوعد ، فإن الله لم يجهل أن شاول سيخطىء ، وإنما أقام مملكته لتكون رمزاً للمملكة (الملكوت) الأبدية . لذلك أضاف : « الآن فمملكتك لا تقوم (لك) » . هذا يعنى أن المملكة تقوم وستقوم ، لكنها لا تقوم بهذا الإنسان ، لأنه لا يملك إلى الأبد ؛ ولا تقوم بنسله ... « قد انتخب الرب لنفسه رجلا » ، يقصد بذلك إما داود أو (رمز) وسيط العهد الجديد (عب ٩ : ١٥) الذى رُمز اليه خلال المسحة التى دُهن بها داود ونسله[٩٣]] .

يكمل **القديس أغسطينوس** حديثه موضحاً أن كلمات النبى صموئيل جاءت فى بداية ملك شاول ومع ذلك بقى شاول ملكاً لمدة ٤٠ عاماً وهى ذات المدة التى ملكها داود على إسرائيل . لكن امتد المُلك فى نسل داود دون شاول ، وجاء السيد المسيح من نسل داود ليملك إلى الأبد . [هذا الرجل (شاول) مثّل شعب إسرائيل رمزياً الذى كان سيفقد المُلْكَ ، بينما يملك يسوع المسيح ربنا روحياً وليس جسدياً[٩٤]] .

هنا أول إشارة إلى داود وملكه على إسرائيل ؛ مع مقارنة بينه وبين شاول . داود له خطاياه لكنه يخطىء خلال الضعف البشرى ، هو رجل إيمان وطاعة ومملوء حباً وحنيناً نحو الله ، متى أخطأ أسرع بدموعه يعترف دون تبرير لنفسه ، بل وحينما تعرض الشعب للعقاب بسبب خطاياه تذلل أمام الله طالباً أن تكون العقوبة حالة به وببيت أبيه وليس بالشعب . حب عجيب وبذل من أجل الشعب ! أما شاول فكان خطأه تمرداً وعصياناً وعند المواجهة يبرر ذاته وتصرفاته .

٤ــ ضعف حال إسرائيل

(أ) « وكان شاول ويوناثان ابنه والشعب الموجود معهما مقيمين فى جبع بنيامين والفلسطينيون نزلوا فى مخماس » ١٣ : ١٦ .

لقد دخل الفلسطينيون إلى ممرات عجلون وبيت حورون واستولوا على جزء من الحافة فى الوسط وامتدوا إلى الشرق حتى مخماس ، بهذا صار يفصلهم عن شاول وادٍ ضيق وعميق ؛ إذ عزلوا بنيامين عن الشمال والوسط ، وكأن فرق الفلسطينيين

امتدت إلى الشمال والشرق والغرب وتركوا شاول معزولاً فى الجنوب كمن بلا سلطان على إسرائيل .

كان الله مترفقاً بشعبه بالرغم من سماحه للفلسطينيين بالتخريب ، فإنهم لو نزلوا فى البداية إلى الجلجال لضربوا شاول والستمائة رجل ثم يوناثان ورجاله القليلين ، وبهذا يستولون على إسرائيل كلها .

لقد أذل الفلسطينيون إسرائيل إذ لم يسمحوا بوجود صانع بينهم حتى لا يعملوا سيفاً أو رمحاً ، فكل من أراد أن يحدد سكينه أو منجله أو فأسه أو معوله ينزل إلى الفلسطينيين ... إنها صورة مؤلمة لعمل الخطية فى حياة الإنسان ، فإنها تحطم طاقاته وإمكانياته وتحدره إلى الذل والمهانة .



لم يحتمل يوناثان فقدان شعبه كرامته ، وإذ آمن أنه « ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل » ١ صم ١٤ : ٦ عبر مع حامل سلاحه وحدهما الوادى الضيق العميق ووهبه الله نعمة لتحقيق النصرة . بسبب تسرع أبيه شاول سقط يوناثان تحت اللعنة لأنه ذاق عسلاً وسط النهار بينما أقسم أبوه ألا يأكل أحد حتى المساء ...

١ــ عبور يوناثان إلى الفلسطينيين ١ ــ١٥ .
٢ــ نزول شاول إلى الحرب ١٦ــ٢٣ .
٣ــ يوناثان يكسر قسم أبيه ٢٤ــ٣١ .
٤ــ الشعب يأكل على الدم ٣٢ــ٣٥ .
٥ــ الشعب يفدى يوناثان ٣٦ــ٤٦ .
٦ــ نصرات مستمرة ٤٧ــ٥٢ .

+ + +

١ــ عبور يوناثان إلى الفلسطينيين

وقف الجيشان قبالة بعضهما البعض ؛ الفلسطينيون عند سن الصخرة التى فى الشمال « بوصيص » (أى مضيىء) مقابل مخماس ؛ وشاول ورجاله فى الجنوب عند سن الصخرة « سنة » (أى شجرة السنط) عند جبع بينهما ممر ضيق لكنه شديد الانحدار لا يستطيع أن يعبره إلا الماعز الجبلى ، أو من يحبو على يديه ورجليه . كل جيش يترقب الآخر ، بينما كان الفلسطينيون يخربون أرض بنيامين .

غار يوناثان بن شاول على شعبه ، وكان على خلاف أبيه إنساناً مستقيماً محباً للحق مهما كلفه الثمن ، أميناً فى علاقته بالغير ، مملوءاً إيماناً . فى إيمانه تحرك

بالعمل دون أن يخبر أباه حتى لا يمنعه ، إذ كان شاول مرتبكاً والشعب فى رعب وقد هرب الكثيرون ولم يبق مع الملك سوى الستمائة رجل لا يعرفون ماذا يفعلون .

كان شاول فى طرف جبعة (١ صم ١٤ : ٢) أى خارج المدينة ، ربما فى البرية بالقرب من جبعة الى جهة جبع ، وكان أخيا ـــ ربما هو نفسه أخيمالك وقد حمل الاسم الأخير توقيراً لاسم الله ، لأن أخيا تعنى أخا الله بينما أخيمالك تعنى أخا الملك ـــ فى شيلوه يلبس الأفود ، أى الملابس الكهنوتية (خر ٢٨ : ٦) ، وذلك فى مسكنه ، لأن خدمة الخيمة توقفت بعد أخذ الفلسطينيين التابوت (١ صم ٤) .

لم يحتمل يوناثان هذا الموقف المخزى ، فقد آمن بالله القادر أن يحقق وعوده لشعبه واهباً النصرة بالقليل كما بالكثير ، وكان الغلام حامل السلاح يشاركه ذات الإيمان ، فكان سنداً له يشاركه تحركاته . هنا تبرز أهمية الأصدقاء المملوئين إيماناً ، يشاركوننا جهادنا الروحى ، يرافقوننا الطريق فى رجاء ويسندوننا لا أن يثبطوا همنا ، وعلى العكس خطورة الأصدقاء الأشرار إذ يحدرون الإنسان نحو الهلاك ويفقدونه رجاءه .

+ يوجد علو الفرح متى تمتعنا بالله وكنا فى أمان ووحدة الأخوة .

القديس أغسطينوس[٩٥]

قال يوناثان لحامل سلاحه : « **تعال نعبر إلى صف هؤلاء الغلف لعل الله يعمل معنا ، لأنه ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل** » ١ صم ١٤ : ٦ . لقد أدرك يوناثان ضعفه لكنه سلم هذا الضعف فى يدى الله ليتمم مقاصده ، واثقاً فى الله الذى يعمل بقوة فى حياة المؤمنين . يقول الرسول بولس : « بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا براً ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار ، نجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء فى الحرب ، هزموا جيوش غرباء » عب ١١ : ٣٣ـــ٣٤ .

+ سلاح القلب هو الإيمان بالمسيح .
+ بإيمان الذهن يصير (الإنسان) كمن استقر فعلاً فى الملكوت .

مار إسحق السريانى(٩٦)

وضع يوناثان علامة ، إن قال الفلسطينيون : « اصعدوا إلينا » ، يصعد مع غلامه لأن الرب قد دفعهم لأيدى الشعب . وبالفعل إذ رآهما الفلسطينيون سخروا منهما قائلين : « هوذا العبرانيون خارجون من الثقوب التى اختبأوا فيها » ، وقال رجال الصف لهما : « **اصعدوا لنعلمكما شيئاً** » . فى سخرية تطلعوا إليهما حاسبين أن العبرانيين قد خرجوا كبنات آوى من الثقوب ، وفى استهزاء قالوا ليوناثان وغلامه أن يصعدا ليعلموهما شيئاً ، أى ليقتلاهما . تحدثوا معهما فى صيغة مزاح واستخفاف ، لكن يوناثان حسبها علامة من السماء . ربما تأكد من هزيمة العدو مدركاً بعد كبريائهم السقوط الحتمى .

لم يكن ممكنا الصعود والإنسان منتصباً ، فتسلق يوناثان الصخور على يديه ورجليه محتملاً هذه الصورة المخزية وما تحمله أيضاً من مخاطر ، وتبعه غلامه أيضاً . هنا أرعب الرب العدو وحسبوا أن وراءهما جيشا عظيما فهربوا . قتلا نحو عشرين رجلاً فى منطقة تبلغ مساحتها نصف فدان ، بينماسقط الكثيرون من الانحدار الشديد حيث كان المكان ضيقاً ، وكأن العدو ضرب نفسه بنفسه . حدث ارتعاد فى المحلة فى الحقل (١ صم ١٤ : ١٥) ؛ هذا حديث مجازى يكنى عن شدة خوفهم ، وربما حدث زلزال فعلاً حطمهم .

هكذا صعد يوناثان يحبو على يديه ورجليه متكئا على الله بالإيمان ، فبدد أمامه الجيوش القوية المتشامخة .

٢ـــ نزول شاول إلى الحرب

كان شاول ورجاله فى طرف جبعة (١ صم ١٤ : ٢) فنظروا جيش العدو هاربين ومرتبكين . تعجب شاول لما يحدث ، وإذ سأل أن يبحثوا عمن هو غائب عنهم أدرك أن يوناثان وحامل سلاحه غائبان . طلب من الكاهن أخيا أن يسأل الرب خلال الأفود (حسب الترجمة السبعينية) ، لكن ضجيج العدو كان يتزايد

فلم يحتمل شاول الانتظار ، بل قال للكاهن « **كف يدك** » ١ صم ١٤ : ١٩ .

هذا التصرف يكشف عن قلب شاول ، فإن كانت له أعمال كثيرة صالحة لكنه كان قليل الصبر يعتمد على أفكاره الخاصة ... يسأل الرب ، وقبل بلوغ الإجابة يسرع بالقرار ، كان غير مستقيم القلب . لقد أراد أن يسرع فيلحق بالعدو ويحقق نصرة كاملة ، لكن فى تسرعه أخذ قراراً أسقط ابنه فى التعدى ، إذ حلّف الشعب قائلاً : « **ملعون الرجل الذى يأكل خبزاً إلى المساء حتى أنتقم من أعدائى** » ١ صم ١٤ : ٢٤ .

أخطأ شاول فى هذا التصرف إذ حسب النصرة هى ثمرة العمل المستمر غير مبالٍ بالجانب الإيمانى ، على خلاف ابنه يوناثان الذى لم يتوقف عن العمل بل ألقى بنفسه فى الخطر لكن خلال الإيمان بالله واهب النصرة. أما الخطأ الثانى فإنه لم يعطِ اعتباراً لاحتياجات رجاله ، فإنهم لا يقدرون على الجهاد وهم خائرون بسبب الجوع . أما عدم استقامة قلبه فتظهر من قوله « أنتقم من اعدائى » ، فحسبهم أعداءه هو ... كبرياء قلب وتشامخ !

٣ـ يوناثان يكسر قسم أبيه

كاد حلف شاول أن يؤدى إلى قتل ابنه يوناثان المؤمن الذى أنقذ الشعب ، كما سبّب إعياءً للشعب مع أن الله قد أعد لهم فى البرية عسلاً للأكل .

لقد مدّ يوناثان طرف النشابة (السهم) وغمسه فى قطر العسل ليذوق فى عجلة ، فاستنارت عيناه وتجددت قوته بعد الجوع والإرهاق . وإذ أخبره واحد من الشعب بقسم أبيه ، قال : « **قد كدَّر أبى الأرض . انظروا كيف استنارت عيناى لأنى ذقت قليلاً من العسل ، فكم بالحرى لو أكل اليوم الشعب من غنيمة أعدائهم التى وجدوا . أما كانت الآن ضربة أعظم على الفلسطينيين ؟!** » ١ صم ١٤ : ٢٩ ، ٣٠ .

بالقرارات السريعة النابعة عن قلب غير مستقيم يفقد الإنسان الكثير ، إذ يحرم نفسه من عطايا الله له ، ويفقد فرصاً يقدمها له الرب .

٤ـ الشعب يأكل على الدم

من ثمار قرار شاول المتسرع أن خارت قوى الشعب ، لذا « **ثاروا على الغنيمة**

فأخذوا غنماً وبقراً وعجولاً وذبحوا على الأرض وأكلوا على الدم » ١ صم ١٤ : ٣٢ . حسب شاول هذا غدراً إذ نكثوا العهد مع الله ، وطلب أن يدحرجوا حجراً كبيراً ، ليذبحوا عليه الحيوانات فتكون الذبائح مرتفعة عن الأرض فيخرج الدم كله قبلما يأكلون منه ؛ وبالفعل أطاعه الشعب .

٥ــ الشعب يفدى يوناثان

بنى شاول مذبحاً للرب ، وتقدم غالباً خلال الكاهن أخيا إلى الله يسأله إن كانوا ينحدرون وراء الفلسطينيين ، لكن الله لم يجبه ، فأدرك شاول وجود خطية وسط الشعب . فى عجلة أقسم شاول : « **لأنه حىّ هو الرب مخلص إسرائيل ولو كانت فى يوناثان ابنى فإنه يموت موتاً** » ١ صم ١٤ : ٣٩ . وقعت القرعة على يوناثان ، الذى اعترف بما فعله دون أن يخاف الموت . لم يستطع الشعب أن يقبل موت يوناثان الذى بإيمانه وشجاعته عرض نفسه للموت ليخلصهم من العدو . أمام إصرار الشعب تراجع شاول .

٦ــ نصرات مستمرة

إذ غلب شاول قيل « أخذ شاول الملك على إسرائيل » ١ صم ١٤ : ٤٧ ، وكأنه بالغلبة صار بالحقيقة ملكاً واتحد كل الشعب معه . قام بحروب كثيرة « **وحيثما توجه غلب** » ١ صم ١٤ : ٤٨ ، فصار ملكاً مهوباً ، أنقذ شعبه من عماليق وغيرهم ...

يقول الكتاب : « **وكانت حرب شديدة على الفلسطينيين كل أيام شاول ، وإذا رأى شاول رجلاً جباراً أو ذا بأس ضمه إلى نفسه** » ١ صم ١٤ : ٥٢ .

كان شاول غير مستقيم القلب ومتسرعاً فى قراراته ، لكنه اتسم بالغيرة والشجاعة ؛ لم يتوقف عن الجهاد ، يضم كل جبار إلى جيشه !

هذه صورة حية للقيادة الروحية التى لا تتوقف عن الجهاد ، تضم كل نفس للعمل لحساب ملكوت الله . القائد الناجح هو ذاك الذى يوجه الطاقات للعمل ، فلا يمركز الخدمة فيه وإنما يعرف كيف يشجع كل نفس ويسند كل يد للجهاد الروحى .

+ + +



أمر الله صموئيل أن يخبر شاول ليحارب عماليق ، لأن الرب وهبه الانتصار عليهم ، على أن يحرم كل إنسان وحيوان ... لكن شاول لم يقتل أجاج الملك بل جاء به حياً ، ولم يحرم الغنم والبقر الجيد ، بل حرم ما هو ضعيف فقط ، مقدماً أعذاراً بشرية لعصيانه . جاء الأمر الإلهى برفض شاول وانتزاع المملكة منه ، وناح صموئيل على شاول .

١ـ أمر إلهى بمحاربة عماليق ١ ـ ٥ .
٢ـ غلبة شاول وعصيانه ٦ ـ ٩ .
٣ـ صموئيل ينتهر شاول ١٠ـ٢٣ .
٤ـ رجوع صموئيل مع شاول ٢٤ـ٣١ .
٥ـ اعتزال صموئيل شاول ٣٢ـ٣٥ .

\+ \+ \+

١ـ أمر إلهى بمحاربة عماليق

مضت سنوات طويلة بين ما حدث فى الأصحاح السابق وما يتم الآن فى هذا الأصحاح ، فبعد أن كان قوام جيش شاول ستمائة رجل صار الآن له جيش عظيم تحت قيادة ابنير بن نير عمه ، قوامه ٢٠٠,٠٠٠ رجل من اسرائيل و ١٠,٠٠٠ نسمة من يهوذا ، وقد تمتع بنصرات متوالية على موآب وبنى عمون فى الشرق ، وآدوم فى الجنوب ، وملوك صوبة فى الشمال الخ ...

خلال هذه الفترة يبدو أن تصرفات شاول كان يشوبها الانحراف عن وصية الله وعصياناً ؛ وأن صموئيل النبى كرجل الله وماسح له كان ينذره ، والآن يقدم الله فرصة أخيرة لشاول ، واهباً إياه النصرة على عماليق على أن يحرم كل إنسان وحيوان .

« قال صموئيل لشاول : إياى أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل ، والآن فاسمع صوت كلام الرب » ١ صم ١٥ : ١ . كأن صموئيل النبى يؤكد له أنه هو الذى مسحه بأمر إلهى ، لذا وجب أن يقبل نصيحته ويطيع صوت كلام الرب ولا يعيش فى العصيان ... كان هذا فى الواقع إنذاراً له .

لقد طلب منه أن يحارب عماليق ويحرم كل ماله ، لأن النصرة التى ينالها ليست من ذاته بل هى هبة من الله الذى سبق فأعلنها منذ حوالى ٤٠٠ عام : « للرب الحرب مع عماليق من دور إلى دور » خر ١٧ : ٨ــ١٦ . إنه لن ينسى وعوده ، إنما يحققها فى الوقت المناسب . منح الله شاول هذه النصرة ، طالباً منه تحريم كل ما لعماليق ... قد يبدو أن فى التحريم نوعاً من القسوة على الإنسان وتبديداً للممتلكات والموارد ، لكن عماليق كان قد فسد تماماً ، إذ كانوا جماعة لصوص متوحشين ، يرتكبون الجرائم ويمارسون الرجاسات .

كثيراً ما يثار التساؤل : لماذا سمح الله بقتل الوثنيين فى العهد القديم وإبادة الحيوانات أحيانا ؟ بلا شك هذا الأمر يتعب فكر الكثيرين ، لكنهم إن أدركوا مفهوم المجد الأبدى والميراث الذى أعده الله لمؤمنيه مع فهم مدى بشاعة الخطية لكان الأولى بهم أن يحزنوا على تصرفات البشرية واندفاعها نحو الرجاسات التى تدفعهم إلى هلاك أبدى . سيموت كل البشر وسينحل العالم كله ، عندئذ ندرك أن موت الجسد وإبادة الممتلكات والموارد أمور وقتية ليست بذات قيمة بجوار خلود الإنسان وتمتعه بشركة الأمجاد السماوية .

نفذ شاول طلبة صموئيل النبى ، وجمع الشعب وعدّه فى طلايم . ربما قُصد بها طالم المذكورة فى يش ١٥ : ٢٤ ، فى جنوب يهوذا . « طلايم » تعنى « حملانا صغاراً[٩٧] » .

٢ــ غلبة شاول وعصيانه

دخل شاول امتحاناً رهيباً كفرصة نهائية لتحديد موقفه ، لعله يرجع عن انحراف قلبه ويطيع الرب بلا تحفظ .

طلب شاول من القينيين ــ وهم شعب مسالم محب من المديانيين ــ أن يبتعدوا عن العمالقة . لقد صنع القينيون معروفاً مع إسرائيل (خر ١٨ ؛ عد ١٠ :

٢٩ــ٣٢) ، رافقوهم إلى أريحا (قض ١ : ١٦) ، ثم سكنوا أرض العمالقة جنوب يهوذا . من القينيين يثرون حمو موسى (قض ١ : ١٦) ، وياعيل التى قتلت سيسرا (قض ٤ : ١٧) ، والركابيون (١ أى ٢ : ٥٥ ؛ إر ٣٥ : ٦ــ١٠) . لما كانت كلمة « قينيين » تعنى « حدادين » لذا يرى البعض أنهم جماعة من الحدادين الرُّحل فى منطقة المعادن بوادى العربة ومهروا فى الحدادة[٩٨] .

إذ رحل القينيون ضرب شاول عماليق من حويلة إلى شور التى فى مقابل مصر ، أى فى الجهة الشرقية منها (١ صم ١٥ : ٧) .

« حويلة » اسم سامى يعنى « رملية » ، يجب التمييز بين حويلة التى يحتضنها نهر فيشون المتفرع من عدن ، وهى منطقة غنية بالذهب والمقل ، صمغ عطرى طبى ــ والأحجار الكريمة (تك ٢ : ١١ ، ١٢) ، وتعتبر شرق أرض العمالقة ، وبين حويلة التى فى شمال شيبا فى العربية (تك ١٠ : ٢٩ ؛ ٢٥ : ١٨)[٩٩] .

« شور » تعنى « سور » أو « حصن » ، جنوب فلسطين ، أو على الأخص جنوب بئر لحى رئى (تك ١٦ : ٧ ؛ ٢٥ : ١٨) ، سار فيها بنو إسرائيل ثلاثة أيام حال عبورهم البحر الأحمر (خر ١٥ : ٢٢) ، تسمى أحيانا برية إيثام (عد ٣٣ : ٨) ، تقابل مصر فى الشرق ، دعيت « شور » لأنها تمثل سوراً حصينا للطرق الخارجة من شمال شرق مصر ، يحمى مصر من الهجمات القادمة من الشرق[١٠٠] .

انتصر شاول على عماليق لكنه عاد مهزوماً من الأنا ego ، فلم يسمع لصوت الرب . لقد قتل كل من وقع فى يديه من الشعب لكنه أبقى أجاج [غالباً لقب ملوك عماليق كما يُقال « فرعون » عن ملوك مصر] ، وقتل الغنم الضعيف واستبقى الجيد منها . لعله أبقى أجاج ليشبع غرور نفسه أو لأنه أشفق عليه بكونه ملكاً مع أنه كان ملكاً على جماعة من اللصوص ، أثكل سيفه النساء (١ صم ١٥ : ٣٣) . وأبقى خيار الغنم بحجة تقديم ذبائح للرب مع أن الدافع هو النفع الشخصى .

٣ــ صموئيل ينتهر شاول

لقد كشف الرب لصموئيل كيف رفض شاول : « **ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكاً ، لأنه رجع من ورائى ولم يُقم كلامى** » ١ صم ١٥ : ١٠ .

لقد رفض الرب شاول لأن شاول رفضه ، ورجع من ورائه ليسلك حسب هواه . لم يقبل الله كقائد له يكون الأول فى حياته ...

تضايق صموئيل لأن شاول لم يستفد من الفرصة الإلهية المقدمة له ، وإذ قرر أن ينتهره « **صرخ إلى الرب الليل كله** » ١٥ : ١١ . ما أنقى قلب صموئيل الذى يقضى الليل فى الصلاة **حتى لا ينتهر شاول من ذاته** لقد ناح أيضاً على شاول (١٥ : ٣٥) ، واستمر فى البكاء فقال له الرب : « **حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل ؟!** » ١٦ : ١ .

برز صموئيل كقائد روحى حىّ ؛ نراه حازماً لكن فى حنو . فى حزمه لم يحتمل استمرار شاول فى كسر الوصية ، إذ « اغتاظ » ١ صم ١٥ : ١١ ، وتكلم بكل صراحة مع شاول الملك . وفى حنوه كان يصرخ الليل كله مصلياً ونائحاً على الملك الساقط .

ما أحوج الكنيسة إلى الحزم مع الحب فى حياة الراعى .

+ ليست هى فضيلة (التراخى مع الخطاة) بل ضعفاً ؛ ولا هى محبة أو وداعة بل إهمالاً ، لا بل هى قساوة على تلك النفوس التى يُغفل عنها فتهلك دون أن تُنبه الى خرابها .

القديس اغسطينوس[١٠١]

+ يجب أن تكون هناك معايير حقيقية لكلماتنا وتعاليمنا حتى لا تأخذ مظهر اللين الزائد أو الخشونة المغالى فيها .

القديس أمبروسيوس[١٠٢]

+ من يرعى الغنم ينبغى ألا يكون أسداً ولا نعجة .

القديس يوحنا الدرجى[١٠٣]

أما بالنسبة للحب واللطف والصلاة المستمرة من أجل المخدومين فقيل :

+ ليس شىء أحب إلىّ أكثر منكم ، لا ولا حتى النور !...
عزيز علىّ جداً خلاصكم ، أكثر من النور نفسه !

+ لو أمكننا لفتحنا قلوبنا وأريناكمْ إيَّاها ، لتنظروا مدى اتساعها لحملكم فيها : نساءً وأطفالاً ورجالاً ، لأن هذا هو قوة الحب ، يجعل النفس أكثر اتساعاً من السماء .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٠٤)

هكذا كان صموئيل النبى قائداً حقيقياً يعمل بروح الرب ، وعلى العكس كان شاول لا يصلح للقيادة إذ اهتم بذاته ؛ ذهب إلى الكرمل ونصب تذكاراً فى الجلجال لانتصاره على عماليق (١ صم ١٥ : ١٢) ، وعندما جاءه صموئيل النبى مبكراً أراد ان يهنيء نفسه بطريق غير مباشر ، إذ قال لصموئيل : « مبارك أنت للرب ؛ قد أقمت كلام الرب » ١ صم ١٥ : ١٣ . لقد غطى على عصيانه بكلمات معسولة لم ينخدع بها صموئيل النبى ، الذى كشف الرب له عن عصيان الملك .

فى الجلجال نادى الشعب بشاول ملكاً أمام الرب (١ صم ١١ : ١٤) ، وفى نفس المدينة لامه صموئيل على عصيانه وأنذره (١ صم ١٢ : ١٤) ، وفيها أيضاً جاء التوبيخ الأخير وإعلان انتزاع المُلك عنه وعن نسله .

لقد سأله صموئيل : « وما هو صوت الغنم هذا فى أذنى وصوت البقر الذى أنا سامع » ١ صم ١٥ : ١٤ .

قدم شاول عذراً لعصيانه : « لأن الشعب قد عفا عن خيار الغنم والبقر لأجل الذبح للرب إلهك ، وأما الباقى فقد حرمناه » . ١٥ : ١٥ . عوض اعترافه بالخطأ ألقى باللوم على الشعب بأنه هو الذى عفا عن خيار الغنم والبقر (١٥ : ١٢) . ما أسهل أن يلقى الإنسان باللوم على الغير كما فعل هرون عندما صنع العجل الذهبى (خر ٣٢ : ٢١–٢٤) وبيلاطس عندما برر محاكمته للسيد المسيح ، مع أن هرون كان قلبه قد انحرف ، وبيلاطس خاف على مركزه ، وشاول أحب الغنيمة .

ينسب شاول العصيان للشعب مكرراً ذلك وإن كان قد قدم له عذراً ، وينسب لنفسه الطاعة . بينما يقول « أخذ **الشعب** من الغنيمة » ١٥ : ٢١ يقول : « أما الباقى **فقد حرمناه** » ١٥ : ١٥ ، حاسباً نفسه ضمن الذين أطاعوا

الوصية (حرمناه)، وفى أكثر وضوح يقول: « إنى قد سمعت لصوت الرب وذهبت فى الطريق التى أرسلنى فيها الرب وأتيت بأجاج ملك عماليق وحرمت عماليق، فأخذ الشعب من الغنيمة » ١٥ : ٢٠، ٢١.

تأمل أسلوبه فى الحديث مع صموئيل النبى، إذ برر العفو عن خيار الغنم والبقر: « لأجل الذبح للرب إلهك » ١٥ : ١٥. لم يقل « الرب إلهنا » بل « الرب إلهك ». وكأنه يقول إن ما أتينا به ليس لأنفسنا بل لإلهك أنت!

قدم شاول عذرا لعصيان الشعب: « لأجل الذبح للرب إلهك فى الجلجال » ١٥ : ٣١. وجاءت إجابة صموئيل: « هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟! هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة، والإصغاء أفضل من شحم الكباش، لأن التمرد كخطية العرافة، والعناد كالوثن والترافيم » ١٥ : ٢٢، ٢٣.

الله يريد الطاعة والرحمة لا الذبائح والمحرقات، إذ جاء فى المزمور: « بذبيحة وتقدمة لم تُسر. أذنىّ فتحتَ. محرَقةً وذبيحةَ خطية لم تطلب » مز ٤٠ : ٦. ويعلق **القديس إيريناوس**: [هكذا يعلمهم (داود) أن الله يطلب الطاعة التى ترد لهم أماناً، لا الذبائح والمحرقات التى لا تقدمهم إلى البر[١٠٥]].

يمكننا القول إن سبب هلاك شاول هو فقدانه روح التمييز فاندفع إلى الظلمة مقدماً مبررات كثيرة لتصرفاته الخاطئة. لهذا يركز **الأب موسى** فى مناظرته مع القديس يوحنا كاسيان على التمييز كطريق للملكوت. من كلماته: [لا يستطيع أحد أن يشك فى أنه متى كان « الحكم على الأمور » فى القلب خاطئاً، أى كان القلب مملوءًا جهلاً، تكون أفكارنا وأعمالنا — التى هى ثمرة التمييز والتأمل — فى ظلام الخطية العظمى... الرجل الذى كان فى نظر الله مستحقاً أن يكون ملكاً على شعبه سقط من مُلكه بسبب نقصه فى « عين التمييز » (مت ٦ : ٢٢، ٢٣) فصار جسده كله مظلماً... لقد ظن أن تقدماته مقبولة لدى الله أكثر من طاعته لأوامر صموئيل، حاسباً أنه بهذا يستعطف العظمة الإلهية[١٠٦]].

٤ــ رجوع صموئيل مع شاول

قال شاول « أخطأت » ١٥ : ٢٤ وفى نفس الوقت يلقى باللوم على الشعب : « لأنى خفت من الشعب ، وسمعت لصوتهم » . لم تكن توبته صادقة ، إذ لم يخف غضب الرب إنما لكى يستميل صموئيل النبى كى يرجع معه ويكرمه أمام شيوخ الشعب ، إذ يقول : « قد أخطأت . والآن فأكرمنى أمام شيوخ شعبى وأمام إسرائيل وارجع معى » ١٥ : ٣٠ . فى كبرياء ينسب الشعب إليه : « شعبى » ، لا إلى الله !

٥ــ اعتزال صموئيل شاول

طلب صموئيل تقديم أجاج ملك عماليق ، وإذ عُرف صموئيل بلطفه ورقته ، « ذهب إليه أجاج فرحاً ، وقال أجاج : « حقاً قد زالت مرارة الموت » ١٥ : ٢٢ . قال صموئيل : « كما أثكل سيفك النساء كذلك تُثكل أمك بين النساء » ١٥ : ٢٣ .

أجاج يمثل الخطية العنيفة التى قتلاها أقوياء ، لذا كان قتله يشير إلى نزع كل خطية وفساد ؛ كل تهاون معه يحمل رمزاً للتهاون مع الخطية نفسها . هذا ما أوضحته الدسقولية إذ طالبت الكاهن بأمرين :

(أ) عدم تجاهل الخطية أو التراخى مع الخاطىء ، كما فعل شاول مع أجاج ، وعالى مع ابنيه (١ صم ٢) .

(ب) عدم التدخل فيما لا يخصنا خاصة فى الأمور الكهنوتية والمقدسات كما فعل عزة مع تابوت الرب (٢ صم ٦) .

خُتم السفر بالقول : « والرب ندم لأنه ملّك شاول على إسرائيل » ١ صم ١٥ : ٣٥ . هكذا ينسب لله « الندم » ليس لأن الله قد غيّر رأيه ، وإنما يحدثنا باللغة التى نفهمها ... حين عصى شاول سقط تحت العدل الإلهى فصار مرفوضاً ، لذا حُرم من العطية التى سبق أن وهبه الله إياها .

يقول **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** : [غالباً ما ينسب الكتاب المقدس لله عبارات تبدو مناسبة لنا (كى نفهمها)[١٠٢]] .

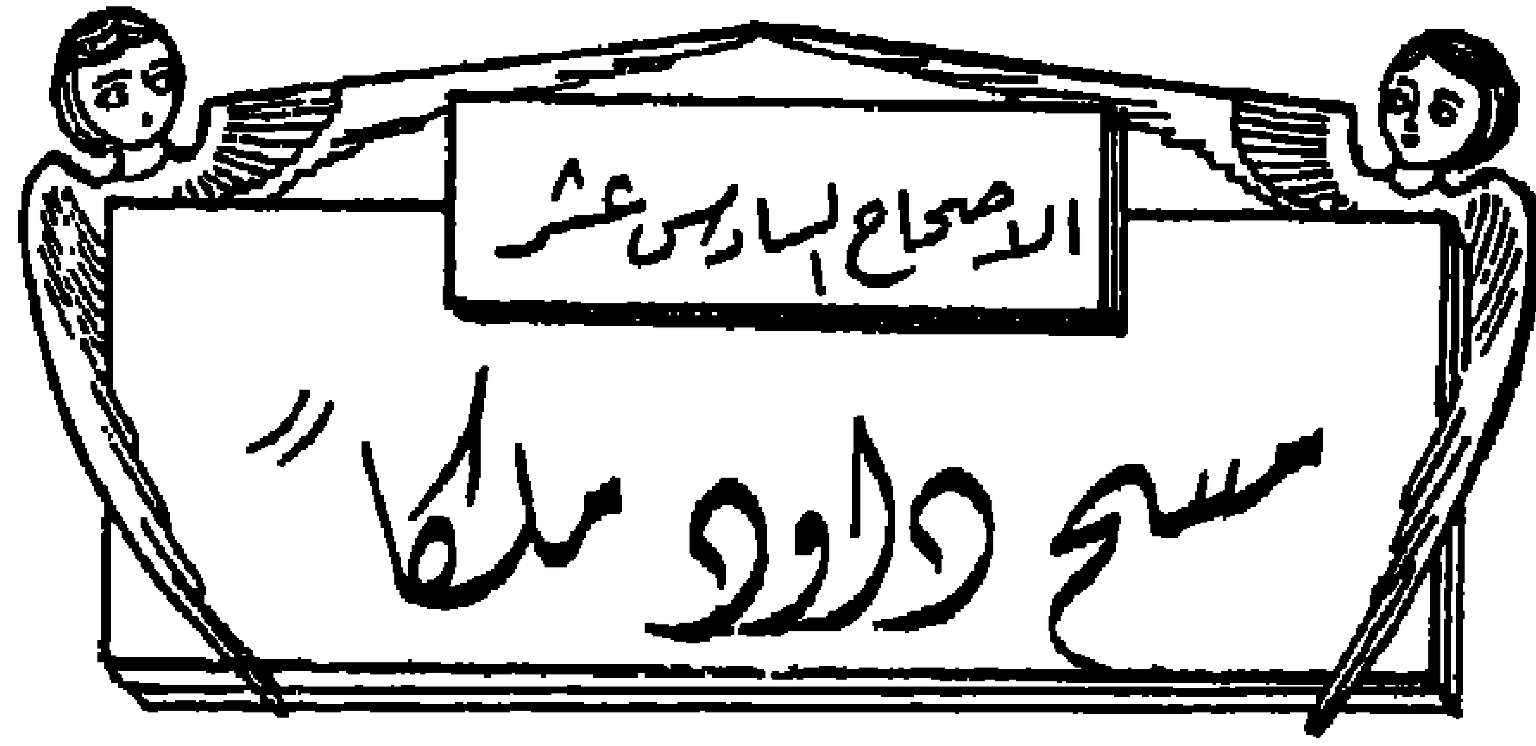
التغيير يحدث من جانبنا ، لا من جانب الله غير المتغير . فالله فى حبه يريد ان الكل يخلصون ، فان أصّر الانسان على الشر وعدم التوبة يفقد وعد الله الذى يريد له خلاصه . هكذا يشتاق الله ان يهب شاول نجاحاً ، لكن شاول فى إصرار رفض حب الله وانتزع نفسه من دائرة الرحمة الإلهية بإصراره على العصيان ففقد الوعد الإلهى ، وظهر كأن الله قد ندم على الوعد ، إذ لا يحققه مع شاول قسراً .

+ + +

الباب الثالث

داود الملك

(صم ١٦ - ٢صم ١)



تحتل سيرة داود الملك والنبى جزءاً كبيراً من الكتاب المقدس أكثر من سيرة أى نبى أو ملك آخر ، امتازت حياته بالنمو المستمر ، أمانة فى صباه ، وفى بيت شاول ، وفى المملكة ، وحين سقط عرف كيف يقوم بالتوبة .

١ ـ مسح داود وسط إخوته ١ ـ ١٣ .

٢ـ داود يطيب نفس شاول ١٤ـ٢٣ .

+ + +

١ـ مسح داود وسط إخوته

إذ عكف صموئيل ينوح على شاول ، حزيناً على ما حل به من روح عصيان يجنى هو والشعب ثمرتها ، قال له الرب : « حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل ؟! املأ قرنك دهناً ، **وتعال أرسلك إلى يسى البيتلحمى ، لأنى قد رأيت لى فى بنيه ملكاً** » ١ صم ١٦ : ١ .

بلا شك كثيراً ما صلى صموئيل النبى لأجل توبة شاول ورجوعه إلى الله ، فقد عُرف صموئيل باتساع قلبه وعكفه على الصلاة ، وانتفع كثيرون بصلاته ، أما شاول فلم ينتفع لأنه لم يرد أن يتوب ويرجع عن طريقه . لذا يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [ليتنا إذن لا نطمع فى الآخرين ، فإن صلوات القديسين لها قوة عظيمة حقاً ولكن بشرط توبتنا وإصلاحنا . فإنه حتى موسى الذى أنقذ أخاه والستمائة ألف رجل من الغضب الذى كان سيحل بهم من قبل الله لم تكن له قوة على خلاص أخته (خر ٣٢ ، عد ١٢)[١٠٨]] .

بأمر إلهى توقف صموئيل عن النوح ليمتلىء قلبه بالتعزيات الإلهية ، إذ حوّل الله شر شاول إلى خير ، فطلب منه أن يملأ قرنه دهناً ليمسح ابن يسى البيتلحمى ملكاً .

حين يظلم العالَم فى أعين الناس ، فى الهزيع الأخير من الليل ، يتجلى الله وسط تلاميذه واهباً لهم ما لم يكن فى حسبانهم . هكذا بينما فقد بنو إسرائيل رجاءهم وانكب صموئيل على البكاء والنوح إذ يقول الرب له : « **قد رأيت لى فى بنيه (بنى يسى) ملكاً** » ١ صم ١٠ : ١ . رأى الله ما لم يره الناس ، رأى فى أبناء يسى ابناً مباركاً يكرسه لنفسه ويقيمه ملكاً على شعبه ، قادراً على العمل وسط الظلمة التى سادت فى ذلك الحين . هكذا ليتنا ندرك أن لله أشخاصاً يختارهم بنفسه للعمل لحساب ملكوته ، يعضدهم بنفسه .

خاف صموئيل إذ يعرف حماقة شاول وبطشه ، لكن الرب دبّر له الأمر ، أن يأخذ معه عجلة من البقر ليقدم ذبيحة للرب وفى نفس الوقت يمسح داود ملكاً ... يبرز العمل الأول أمام الجميع ويتمم الآخر سراً . بهذا لا يكذب صموئيل عندما يُسأل عن سبب مجيئه إلى بيت لحم ، إنما يخفى جزءاً من الحقيقة .

لماذا قُدمت الذبيحة فى بيت لحم علانية بينما مُسح داود سراً وسط إخوته (١ صم ١٦ : ١٣) ؟

(أ) حتى لا يبطش شاول الملك بصموئيل النبى كما قلنا .

(ب) لأنه لم يكن الوقت قد حان لإعلان مُلك داود ، إذ لم يستلم العرش إلا بعد موت شاول . إنما أُعطيت المسحة كنعمة إلهية تعده وتسنده للعمل حتى يتولى الملك .

(جـ) لأن الذبيحة تشير إلى الصليب (ذبيحة السيد المسيح) بينما الملك وإن كان قد بدأ بالصليب ـــ إذ ملك الرب على خشبة ـــ لكن تم ذلك بقيامته وصعوده إلى السموات ليملك ويهبنا أن نملك معه بروحه القدوس . لقد تم الصلب علانية عى جبل الجلجثة حتى لا يوجد عذر لإنسان لا يؤمن بخلاص الرب المجانى ، أما القيامة والصعود فأمران يمثلان مجداً يوهب للأخصاء الذين قبلوا الصليب فى حياتهم .

لنقبل أن نذبح مع المسيح كل يوم علانية لكى يملك فينا فى القلب خفية . لنتألم معه علانية فنتمجد معه سراً .

جاء صموئيل النبى إلى « بيت لحم » التى تعنى « بيت الخبز » ، تبعد حوالى ستة أميال جنوب أورشليم ، فى أرض يهوذا . فى هذه المدينة ارتعب الشيوخ إذ رأوا صموئيل قادماً ظانين أنهم أخطأوا فى شيء ما ، بينما كان صموئيل فى أعماقه متهللاً من أجل سيامة ملك هو للرب . فى هذه المدينة وُلد السيد المسيح — ملك الملوك — من نسل داود ، أرعب هيرودس ورجاله بينما تهللت السماء وفرحت مع المؤمنين من أجل مجيئه لخلاص العالم . ما يرعب البعض يكون سر تهليل للغير .

لماذا اختير داود النبى الأصغر بين إخوته ؟

(أ) يقول الرب لصموئيل النبى عندما أراد مسح الابن الأكبر آلياب : [غالباً هو اليهو الذى صار رئيساً على سبط يهوذا] : « لا تنظر إلى منظره وطول قامته ، لأنى قد رفضته ؛ لأنه ليس كما ينظر الإنسان ، لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب » ١ صم ١٦ : ٧ . وكما يقول **القديس اكليمندس الاسكندرى** : [لم يمسح من كان وسيماً فى هيئته بل من كان جميلاً فى النفس[١٠٩]] .

اختاره الله من أجل نقاوته الداخلية وجمال نفسه لا من أجل هيئته الخارجية . لقد سبق أن أعطاهم الرب ملكاً طويل القامة وحسن الصورة حسب طلبهم ، أما الآن فيهبهم ملكاً حسب فكره .

هكذا عبّر يسى أولاده السبعة أمام صموئيل [بينهم أبيناداب وَشَمَّةَ الذى دعى شمعى فى ٢ صم ١٣ : ٣] ، ولم يختر الرب أحداً منهم ، وأخيراً استدعى أصغر الأبناء الذى كان يرعى الغنم (١ صم ١٦ : ١١) ، ليُمسح راعياً على غنم الله الناطقة .

(ب) اتسم داود بالأمانة فى القليل لذلك أقامه الله على الكثير (مت ٢٥ : ٢١) . لقد كان الأصغر بين أبناء يسى حتى أهمله والده (١٦ : ١١) ، واحتقره إخوته (١٧ : ٢٨) ، لكن الله رأى فيه القلب الأمين الذى تأهل لاستلام قيادة شعبه ، نذكر على سبيل المثال أنه تعلم من رعاية الغنم أن يحب كل خروف من غنم أبيه ، فيهاجم الوحوش المفترسة (الأسد والدب ١ صم ١٧ : ٣٤) لينقذ

الغنم فى شجاعة . خلال رعاية الغنم تعلم الموسيقى والعزف على القيثارة فاستخدم الله هذه الوزنة للدخول به إلى الملك شاول . كذلك تمتع خلال الرعاية بالطبيعة ليسبح الله بمزامير روحية . تعلم الضرب بالمقلاع ليعينه على قتل جليات الجبار .

(جـ) كان داود الثامن والأخير بين إخوته ، أما كونه الثامن فيرمز إلى الحياة السماوية (لأن رقم ٧ يشير إلى الزمن = سبعة أيام الأسبوع ، ورقم ٨ إلى ما هو فوق حدود الزمن[١١٠]) ، وكأنه يرمز للسيد المسيح الملك السماوى والذى صار الأخير ، إذ أخلى ذاته من أجلنا (فى ٢ : ٧) واحتل آخر الصفوف لكى يضم الجميع فيه ويرتفع بهم بروحه القدوس إلى حضن الآب السماوى .

(د) كلمة « داود » ربما مشتقة من dôd التى تعنى « حباً » أو « محبوباً »[١١١] . وكأن الله يقيم من المحبوبين لديه المتجاوبين مع حبه ملوكاً يرثون الملكوت معه أبدياً . وبدون الحب لن ينعم المؤمنون بالحياة الأبدية .

(هـ) يرى **القديس أغسطينوس**[١١٢] فى اختيار داود الأصغر دون أخيه (إخوته) الأكبر عملاً رمزياً لاختيار الأمم كأعضاء فى كنيسة العهد الجديد فيملكون فى الرب دون اليهود الذين سبقوهم فى المعرفة لكنهم رفضوا الإيمان . وكأن الأمم هم داود الأصغر الذى تقبَّل نعمة الملوكية من قبل الله دون إخوته الأكبر منه ، وكما يقول السيد المسيح نفسه : « هكذا يكون الآخِرون أولين والأولون آخِرين » مت ٢٠ . بنفس الطريقة فُضل هابيل عن أخيه الأكبر وإسحق عن إسماعيل ويعقوب عن عيسو المولود معه وهم توآمان ، وأيضا فارص عن زارح (تك ٣٨ : ٢٩) .

اختيار داود الأصغر بين إخوته ملكاً يرمز إلى شخص السيد المسيح الذى احتل آخر صفوف البشر ، صار عبداً من أجلنا ؛ لكى بالصليب يملك فى قلوبنا . إنه آدم الثانى الذى ملك عوض آدم الأول (رو : ٥) ليكون رأساً للبشرية ، قادراً أن يقيمها ويجددها .

٢ــ داود يطيب نفس شاول

بينما نسمع عن داود : « **وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً** » ١ صم ١٦ : ١٣ ، إذا بنا نقرأ عن شاول : « **وذهب روح الرب**

من عند شاول وبغتهُ روح ردىء من قبل الرب » ١ صم ١٦ : ١٤ .

حل روح الرب على داود كما رف قبلاً على وجه المياه (تك ١ : ٢) ليخلق من الأرض الخربة الخاوية عالماً جميلاً مملوءاً حياة . هكذا تمتع داود بروح الرب الذى وهبه نعمة الملوكية ـــ القيادة الحكيمة لشعب الله ـــ فلا يعمل بذاته بل بما للرب . وفى العهد الجديد أرسل الابن الوحيد روحه القدوس الذى يهبنا البنوة للآب ويجدد طبيعتنا مقدساً إياها لنصير على شكل الابن ونتشبه به .

+ يمكن للشخص أن يشترك فى الطبيعة الإلهية فقط خلال الروح .

القديس كيرلس الكبير(١١٣)

+ مرة أخرى يُدْعَى الروح « روح القداسة والتجديد ».. إذ يكتب بولس : « تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات ؛ يسوع المسيح ربنا » رو ١ : ٤ . وأيضاً يقول : « تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » ١ كو ٦ : ١١ . إذ كتب إلى تيطس قال : « ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ، لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا ، حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية » تى ٣ : ٤ــ٧ ...

إنه ذاك الذى لا يتقدس بواسطة آخر ولا هو شريك فى التقديس ، بل هو نفسه واهب الشركة ، وفيه تتقدس كل الخليقة ...

دعى الروح واحب الحياة : « الذى أقام المسيح من الأموات سيُحى أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم » رو ٨ : ١١ ...

البابا اثناسيوس الرسولى(١١٤)

يقدم **القديس باسيليوس الكبير** شاول مثلاً للإنسان الرافض قبول روح الله فيه ، إذ يقول الكتاب : « وذهب روح الرب من عند شاول وبَغَتَهُ روح ردىء من قبل الرب » ١ صم ١٦ : ١٤ .

يقول القديس باسيليوس : [الروح أيضاً حاضر دوماً فى مستحقيه ، يعمل حسب الحاجة إما بالنبوات أو بالأشفية أو بأية معجزات أخرى ... ولا يبقى (الروح) فى الذين ــ بسبب عدم ثبات عزمهم ــ يرفضون النعمة التى نالوها ، مثلهم مثل شاول ومثل السبعين شيخاً من بنى إسرائيل عدا الدود وميداد (عد ١١ : ٢٥ــ٢٦)[١١٥]] .

يقول **القديس جيروم** فى العظة التاسعة على المزامير [انسحب الله فأقلق الروحُ الشريرُ شاوَل] .

لا نعجب من القول : « **وبغته روح ردىء من قبل الرب** » ١ صم ١٦ : ١٤ . فإن هذا لا يعنى أن الروح الردىء مصدره الرب ، أو أن ما حل بشاول كان من عند الرب ، إذ يقول يعقوب الرسول : « الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً » يع ١ : ١٣ . إنما شاول رفض روح الرب فهيأ نفسه مسكناً مزيناً للروح الردىء دون مقاومة ، فتركه الرب لذاته ... أعطاه سؤل قلبه الداخلى . بذات المعنى يقول الرسول بولس : « لذلك أسلمهم الله أيضا فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم ... لذلك أسلمهم الله إلى أهواء الهوان ... وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق » رو ١ : ٢٤ــ٢٨ . حينما يصر الناس على رفض الله والاستسلام للشر يتركهم الله أى يسلمهم لشهوة قلبهم . هذا التسليم بسماح إلهى لأجل تأديبهم .

أشار عبيد شاول على سيدهم أن يأتوا برجل يضرب على عود لكى تطيب نفسه ، وبالفعل جاءوا بداود بن يسى البيتلحمى يحسن ضرب العود « **وهو جبار بأسى ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه** » ١ صم ١٦ : ١٨ .

ما هذا العود (أو هذه القيثارة) التى تطرد الروح الشرير لتهب الإنسان راحة (١ صم ١٦ : ٢٣) إلا كلمة الله فى العهدين الجديد والقديم ، إذ تحوى أوتار الشريعة والنبوات والتسابيح والأناجيل والكتابات الرسولية الخ ... كأوتار متباينة لكنها تعمل معاً فى انسجام لتهب المؤمن راحة وسلاماً . يقول **العلامة أوريجانوس** : [الكتاب المقدس هو آلة الله الواحدة الكاملة والمنسجمة معاً ،

تعطى خلال الأصوات المتباينة صوت الخلاص الواحد للراغبين فى التَّعلُم ، هذه القيثارة التى تبطل عمل كل روح شرير وتقاومه ، كما حدث مع داود الموسيقار فى تهدئة الروح الشرير الذى كان يتعب شاول[١١٦]] .

ظهر داود كجبار بأس وذلك من رعايته للغنم إذ حارب وحوشاً بلا سلاح ؛ وكرجل حرب مع أنه لم يمارس هذه الحياة لكن سماته وقدراته تؤهله لذلك ؛ وكان فصيحاً فى كلماته عذباً فى مزاميره ، جميلاً فى طلعته ؛ أما أعظم ما فيه هو أن « **الرب معه** » هذا هو سر قوته .

+ + +



اشتاق الشعب إلى ملك طويل القامة قوى البنية جميل المظهر كسائر ملوك الأمم ، والآن يقف هذا الملك مع رجاله فى خوف ورعدة أمام جُليات الجبار ، ليتمجد الله بداود القصير القامة الذى لا يعرف كيف يستخدم العدة الحربية بل مقلاع الكلاب ... لقد غلب لا بسيف ورمح وإنما باسم رب الجنود .

١ــ جليات يُرعب شاول ١ ــ١٥ .

٢ــ داود يفتقد إخوته ١٦ــ٢٥ .

٣ــ داود يقتل جليات ٢٦ــ٥٤ .

٤ــ شاول يتعرف على داود ٥٥ــ٥٨ .

+ + +

ربط الأصحاحين ١٦ ، ١٧ معاً

توجد بعض الصعوبات ــ فى ذهن بعض النقاد ــ فى ربط الأحداث الواردة فى الأصحاحين ١٦ ، ١٧ معاً ، إذ يتساءل البعض : كيف تعرّف شاول على داود كموسيقار وجبار بأس ورجل حرب (١ صم ١٦ : ١٨) ، ثم يعود لا يعرفه عندماع تقدم لمبارزة جليات ؟ كيف كان حاملاً سلاح لشاول (١ صم ١٦ : ٢١) ، ليعود فلا يقدر أن يلبس الثياب العسكرية (١ صم ١٧ : ٣٨ ، ٣٩) ؟ كيف كان أبنير رئيس جيش شاول يجهل داود (١ صم ١٧ : ٥٥ــ٥٨) ؟

يُرد على ذلك :

(أ) بأن داود قد أُستدعى كصبى موسيقار ، فكان يضرب الموسيقى ليستريح شاول ، وعندما شُفى الملك رجع الصبى إلى بيت أبيه يرعى الغنم لسنوات حتى صار شاباً . لهذا لا نعجب إن كان شاول يسأل عنه كمن لا يعرفه ، خاصة أنه صار فى موقف حرج أمام جليات وقد وعد أن يصاهره من يبارز هذا الجبار .

(ب) نسيان شاول أمر طبيعي بالنسبة لمرضه العقلى .

(جـ) جهل أبنير لشخصية داود أمر طبيعي ، فبكونه رئيس جيش لم يعطِ اعتباراً لصبى موسيقار تردد منذ سنوات على قصر شاول لعمل خاص بالملك .

(د) دعوة داود رجل بأس ورجل حرب وهو صبى ربما لأنه قتل الأسد والدب ، وقد ظهرت علامات القوة عليه فى صبوته .

(هـ) قبِله شاول كحارس له إلى حين فى فترة ضربه للموسيقى ، ربما تدرب على استخدام السيف لكنه لم يتدرب على ارتداء الحلة العسكرية لذا وجد صعوبة بل استحالة فى استخدامها عند مبارزته لجليات .

١ـــ جليات يرعب شاول

وقف الفلسطينيون على جبل للحرب عند سوكوه وعزيقة فى أفس دميم بينما وقف شاول ورجاله على جبل آخر للحرب يفصل بينهم وادى البطم (١ صم ١٧ : ١ــ٣) . وكان جليات الجبار يخرج كمبارز يعيّر شاول ورجاله طالباً واحداً منهم يبارزه .

« **سوكوه** » أو « سوكو » أو « شوكوه » ، كلمة عبرية تعنى « سياج شوك » . اسم مكانين يدعيان حالاً « خربة الشويكة » . الأول على بعد حوالى ٩ أميال من بيت جبرين وحوالى ١٤ ميلاً جنوب غرب اورشليم ، ورد اسمه مع عزيقة وأفس دميم شمال وادى البطم أو وادى السنط حالياً . هذا المكان ينحنى مع وادى الشور إلى الغرب ليصير اسمه وادى السنط . أما الموضع الآخر الذى يحمل ذات الاسم فيقع على بعد حوالى ١٠ أميال جنوب غرب حبرون ، وهى مدينة فى يهوذا أيضاً .

« **عزيقة** » اسم عبرى معناه « الأرض المعزوقة أو المحروثة » ، بالقرب من سوكوه ، طرد يشوع إليها الملوك الذين هاجموا جبعون (يش ١٠ : ١٠ ، ١١) حيث أهلك الرب جيوشهم بحجارة (برد) عظيمة من السماء . استمرت حتى بعد السبى (نح ١١ : ٣٠) ، تدعى حالياً تل زكريا .

« **أفس دميم** » أو « فس دميم » ١ أى ١١ : ١٣ ، كلمة عبرية معناها : « حد (تخم) من الدم » ، ربما أخذت هذا الاسم بسبب الصراع بين الفلسطينيين

ربنى إسرائيل فى هذا الموقع . تدعى حاليا « بيت فصد (نزيف) »[١١٨] . يرى البعض أن موضعها غالباً الخرب التى تسمى دموم على بعد أربعة أميال شمال شرقى سوكوه .

وقف الفريقان على جبال (أشبه بتلال) بينها وادٍ فيه مزروعات وأشجار السنط ، حيث كان جليات البالغ طوله ٦ أذرع (الذراع العبرى نحو قدم ونصف) وشبر ، أى حوالى $\frac{٣}{٤}$ ٩ قدماً يلبس على رأسه خوذة من نحاس ، وكان يرتدى درعاً حرشفياً أى قميصاً عليه قِطعاً نحاسية كحراشيف السمك ، وزنه حوالى ٣٣ رطلاً ؛ وجرموقا (درعين لحماية الساقين) من النحاس . وكان معه مزراق نحاس (رمح قصير) بين كتفيه ... اعتاد أن يقف مطالباً من يبارزه قائلاً : « اختاروا لأنفسكم رجلاً ولينزل إلىّ . فإن قدر أن يحاربنى ويقتلنى نصير لكم عبيداً ، وإن قدرت أنا عليه وقتلته تصيرون أنتم لنا عبيداً وتخدموننا » . كما كان يهزأ بهم قائلاً : « أنا عيرت صفوف إسرائيل هذا اليوم ؛ أعطونى رجلاً فنتحارب معاً » ... وكان ذلك مصدر رعب شديد وخوف بالنسبة لشاول ورجاله .

يرى البعض أن جليات اتخذ هذا الموقف لحل مشكلة قائمة بين الجيشين هى وجود ساقية فى الوادى بينهما ، فإنه إذا نزل جيش إليها ليعبر إلى الجيش الآخر يصير فى مكان أدنى ويمكن للجيش المرتفع على الجبل أن يكسره بسهولة ، لذا كان الجيشان يخافان النزول ، هذا ما جعل جليات يطلب المبارزة الشخصية معه عوض نزول أحد الجيشين للعبور نحو الآخر .

بقى الحال هكذا لمدة أربعين يوماً يمارس جليات هذا التصرف صباحاً ومساءً حتى جاء داود بن يسى يفتقد إخوته الثلاثة الكبار اليآب وأبيناداب وشمّة الذين تبعوا شاول ليحاربوا معه .

٢ـــ داود يفتقد إخوته

قدم لنا **قيصريوس** أسقف Arles تفسيراً رمزياً لقصة داود وجليات عن **لقديس أغسطينوس** ، جاء فيه :

[عندما أرسل (يسى) ابنه داود لينظر إخوته ، يبدو أنه كان رمزاً لله الآب .

أرسل يسى داود يبحث عن إخوته ، وأرسل الله ابنه الوحيد الذى قيل عنه : « أخبر باسمك إخوتى » مز ٢٢ (٢١) : ٢٣ . بالحقيقة جاء المسيح يبحث عن إخوته ، إذ قال : « لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة » مت ١٥ : ٢٤ .

« فقال يسى لداود ابنه : خذ لإخوتك إيفة من هذا الفريك وهذه العشر الخبزات واركض إلى المحلة إلى اخوتك » ١٧ : ١٧ . الإيفة يا إخوة هى ثلاث كيلات ؛ فى هذه الكيلات الثلاث نفهم سر الثالوث . لقد عرف ابراهيم هذا السر جيداً عندما تأهل لإدراك سر الثالوث فى الثلاثة أشخاص تحت شجرة البطمة بممرا فأمر أن يُعجن ثلاث كيلات دقيق (تك ١٨ : ٦) . إنها ثلاث كيلات ، لذلك أعطى يسى ذات الكمية لابنه . وفى العشر قطع من الجبن ندرك الوصايا العشر للعهد القديم . هكذا جاء داود ومعه الثلاث كيلات والعشر قطع من الجبن ليفتقد إخوته الذين كانوا فى المعركة ، إذ كان المسيح قادماً بوصايا الناموس العشر وسر الثالوث ليحرر الجنس البشرى من الشيطان[١١٩]] .

٣ـــ داود يقتل جليات

جاء داود يفتقد إخوته من أبيه وأمه بالفريك والخبز والجبن ، لكنه إذ رأى إخوته ـــ شعب الله ـــ فى مأزق يعيرهم رجل أغلف بدأ يتساءل : « ماذا يُفعل للرجل الذى يقتل ذلك الفلسطينى ويزيل العار عن إسرائيل ؟! لأنه من هو هذا الفلسطينى الأغلف حتى يعير صفوف الله الحىّ ؟! » ١٧ : ٢٦ . وإذ سمع أخوه الأكبر اليآب حمى غضبه عليه قائلاً له : « **لماذا نزلت ؟ وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة فى البرية ؟ أنا علمت كبرياءك وشر قلبك ، لأنك إنما نزلت لكى ترى الحرب** » ١٧ : ٢٨ . وجاءت إجابة داود بسيطة ومملوءة حكمة : « ماذا عملتُ الآن ؟ أما هو كلام ؟! » . لم يدخل معه فى جدال ، لأنه رجل إيمان لا يحب كثرة الجدال بل العمل . إنه وقت للعمل !

يقول **القديس أغسطينوس** :

[الآن ، إذ جاء داود انتهره أحد إخوته قائلاً : « لماذا نزلت ؟ وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة ؟ » ١٧ : ٢٨ . وبخ هذا الأخ حاسداً داود رمز ربنا ، متمثلاً بالشعب اليهودى الذى افترى على المسيح الرب . مع أنه جاء لخلاص

الجنس البشرى ، إذ أهانوه باتهامات كثيرة : « لماذا تركت الغنم ونزلت إلى المعركة ؟ » . ألا تحسب هذا ما نطق به الشيطان بشفتيه ، حاسداً خلاص البشر ؟ أليس كمن يقول للمسيح : « لماذا تركت التسعة وتسعين خروفاً وأتيت تطلب الخروف الواحد المفقود لترده إلى حظيرة الغنم بعدما حررته بعصا الصليب من يد جليات الروحى ، أى من قوة الشيطان ؟ لماذا تركت هذه الغنيمات القليلة ؟ لقد نطق بالصدق لكن بروح شرير متعجرف . لقد أراد يسوع أن يترك التسعة والتسعين خروفاً لكى ينشد الواحد ويرده إلى حظيرته ، أى إلى صحبة الملائكة .

عندما مُسح داود بواسطة الطوباوى صموئيل قبل مجيئه إلى هنا قتل أسداً ودباً بغير أسلحة ، كما أخبر الملك شاول بنفسه . الأسد والدب يشير كلاهما إلى الشيطان ، إذ تجاسرا على الهجوم ضد بعض من غنم داود فخنقهما بقوته . ما نقرأه إنما هو رمز أيها الأعزاء المحبوبون ؛ ما رُمز به بداود تحقق فى ربنا يسوع المسيح ، الذى خنق الأسد والدب عندما نزل إلى الجحيم ليحرر كل القديسين من مخالبهما . أنصتوا إلى توسّل النبى إلى شخص ربنا : « أنْقِذ من السيف نفسى ، وأنا وحيد فى فك الكلب . خَلِّصْنى من فم الأسد » (راجع مز ٢١ [٢٢ : ٢٠ ، ٢١) .

إذ يحمل الدب قوته فى مخالبه والأسد فى فمه ، هكذا يُرمز للشيطان بهذين الوحشين . لذا قيل عن شخص المسيح إنه ينزع كنيسته الوحيدة من اليد ، أى من قوة الشيطان وفمه .

إذ جاء داود وجد الشعب اليهودى حالاً فى وادى البطم Terebinth لمحاربة الفلسطينيين ، لأن المسيح ــ داود الحقيقى ــ كان يجب أن يأتى كى يرفع الجنس البشرى من وادى الخطية والدموع . لقد وقفوا فى الوادى فى مواجهة أمام الفلسطينيين . كانوا فى وادٍ ، لأن ثقل خطاياهم أنزلهم إلى تحت . على أى الأحوال ، كانوا واقفين غير متجاسرين على محاربة الأعداء . لماذا لم يجسروا على ذلك ؟ لأن داود رمز المسيح لم يكن قد جاء بعد . هذا حق أيها الاعزاء الأحباء . من يقدر أن يحارب الشيطان قبل أن يحرر ربنا المسيح الجنس البشرى من سلطانه ؟ الآن كلمة « داود » تعنى « كقوى فى اليد » . من هو أقوى يا إخوة

من ذاك الذى غلب العالم كله متسلحاً بالصليب وليس بسيف ؟! .

وقف أبناء إسرائيل ٤٠ يوماً ضد الأعداء ؛ هذه الأربعين يوماً تشير إلى الحياة الحاضرة التى فيها لا يكف المسيحيون عن الحرب ضد جليات وجيشه ، أى ضد الشيطان وملائكته [رقم ٤ تشير الى الفصول الاربعة للعام ، ١٠ إلى كمال الزمن] .

من المستحيل لنا أن نغلب إن كان المسيح ــ داود الحقيقى ــ لم ينزل بعصاه التى هى سر الصليب . حقاً لقد كان الشيطان حراً قبل مجىء المسيح أيها الأعزاء المحبوبون ، لكن بمجيئه تحقق ما ورد فى الإنجيل أنه لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته إن لم يربط القوى أولاً (مت ١٢ : ٢٩) . لهذا الهدف جاء المسيح وربط الشيطان .

ربما يقول أحد : إن كان قد رُبط فلماذا لا يزال للشيطان سلطان ؟

بالحقيقة أيها الإخوة الأعزاء .له سلطان عظيم لكن على اتباعه الفاترين المهملين ، الذين لا يخافون الله بالحق . إنه مربوط ككلب فى سلاسل ، لا يقدر أن يعض أحداً إلا النفس التى ترتبط به بإرادتها ، باعتمادها على الأنا وهو أمر خطير . الآن ترون يا إخوة أى غباء أن يُعضّ إنسان من ذاك الذى هو فى مركز كلب مربوط بسلاسل . لا ترافق (الشيطان) بملذات العالم وأهوائه فلا يجسر أن يعضك . يستطيع أن ينبح ويقلقك لكنه يعجز تماماً عن أن يعضك ما لم تُرِد أنت ذلك . إنه لا يؤذيك قسراً إنما بإغرائك ، إنه لا يسلبنا رضانا إنما يطلب ذلك .

جاء داود ووجد الشعب يحارب ضد الفلسطينيين . لم يوجد من يجسر أن يدخل إلى المعركة بمفرده . ذهب رمز المسيح (داود) إلى المعركة يحمل عصا فى يده ضد جليات . بهذا أشار بالتأكيد إلى ما قد تحقق فى ربنا يسوع المسيح ــ داود الحقيقى ــ إذ جاء وحمل صليبه ليحارب جليات الروحى ، أى الشيطان .

لاحظوا يا إخوة أين ضرب داود الطوباوى جليات : فى جبهته (١٧ : ٤٩) حيث لم توجد عليها علامة الصليب . كما أن العصا رمزت إلى الصليب هكذا الحجر الذى ضُرب به جليات يرمز إلى ربنا يسوع ، لأنه هو الحجر الحىّ الذى

كُتب عنه : « الحجر الذى رفضه البناؤون هذا صار رأساً للزاوية » مز ١١٧ : ٢٢ .

وقوف داود على جليات وقتله إياه بدون سيف إنما استخدم سيف جليات نفسه هذا يشير إلى أنه عند مجىء المسيح يُهزم الشيطان بذات سيفه . حقاً إن الشيطان بمكره وظلمه الذى أجراه ضد المسيح فقد سلطانه على كل المؤمنين بالمسيح .

وضع داود أدوات جليات فى خيمته ، ونحن كُنا أداة فى يد الشيطان ، لذلك يقول الرسول : « لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم ، هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة » رو ٦ : ١٩ . وأيضاً . « ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية » رو ٦ : ١٣ . حقاً لقد وضع المسيح أدوات عدوه فى خيمته عندما استحققنا نحن الذين كنا مسكناً للشيطان أن نصير هيكلاً للمسيح ، وهو يسكن فينا . يؤكد الرسول أن المسيح يسكن فى داخلنا بقوله : « ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم » أف ٣ : ١٦ ، ١٧ . يكرر بولس الرسول نفسه أننا نسكن فى المسيح بقوله : « لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » غلا ٣ : ٢٧ . ويقول ربنا يسوع لتلاميذه فى الإنجيل : « إنى أنا فى أبى وأنتم فىّ وأنا فيكم » يو ١٤ : ٢ .

حقيقة إصابة جليات فى جبهته دون أى عضو آخر يرمز إلى أمر يحدث لنا . عندما يُرشم طالب العماد على جبهته يكون ذلك بمثابة ضربة لجليات الروحى ، هزيمة للشيطان . يحمل على جبهته مسحة الروح ، وكأنه قد وُسم بالعبارة « قدس للرب » ، خلالها يتمتع بنعم السيد المسيح التى تقدس الفكر (الجبهة) كمدخل لحياة الانسان الداخلية .

خلال نعم المسيح يُطرد الشيطان من قلوبنا ، لذا نحاول قدر المستطاع بمعونته ألا نقبل الشيطان فى داخلنا مرة أخرى بإرادتنا ، بأعمالنا الشريرة وأفكارنا الماكرة الفاسقة . لأنه فى هذه الحالة (إن قبلناه) يتحقق فينا المكتوب ... « إذا خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد . ثم يقول : أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه . فيأتى ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً .

ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أخر أشر منه فتدخل وتسكن هناك ، فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله . هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير » مت ١٢ : ٤٣ــ٤٥ .

الآن ، مادمنا بنعمة المعمودية قد تخلصنا من كل الشرور بدون استحقاق سابق من جانبنا ، فلنجاهد بمعونة الرب كى نمتلىء بالبركات الروحية . كلما أراد الشيطان أن يجربنا يجدنا دوماً مملوئين من الروح القدس ومرتبطين بأعمال صالحة ، بهذا يتحقق فينا القول : « من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » مت ١٠ : ٢٢[١٢٠]] .

لقد وقف البطلان وجهاً لوجه ، أحدهما رجل حرب ، جبار ، قوى ، يعتمد على قدرته البشرية وخبرته السابقة ومعداته الحربية ؛ والآخر فتى لم يسبق له الدخول فى حرب مع الأعداء ، لا يملك سوى عصا ومقلاع وخمسة حجارة مُلس أخذها من الوادى لكن كان لديه إيمان جبار يستطيع به أن يهزم كل عدو . قام الصراع بينهما ليتحطم الأول ويُقتل بينما يغلب الآخر ويتمجد .

سر هزيمة جليات أنه لم يدرك أن به نقطة ضعف لم يكن ممكناً له أن يتلافاها ، وهى أن جبهته مكشوفة ، وكأن كل إمكانية بشرية مهما أُحكم تدبيرها تجد فيها ثغرةً تُؤدى إلى فشلها .

لم يدرك جليات أنه وإن كان السيف والرمح لا يقدران أن يحطماه ، لكن مقلاع الكلاب يستطيع أن يهز كل كيانه !

لم يعرف جليات أن لكبريائه نهاية ، فقد وقف ٤٠ يوماً يُعيّر رب الجنود ، لكن الله أعد فتى صغيراً ينهى كبرياء هذا الجبار ويُذله ... هذا ما يتكرر عبر الأجيال ، كل متشامخ ظن أنه قادر أن يحطم الكنيسة ويمحوها من الوجود تحطم هو وزال وتبقى الكنيسة حية قوية !

أما سر قوة داود فهو اختفائه فى رب الجنود ، فلا يكون طرفاً فى المعركة بل مجرد أداة فى يد الله . المعركة هى بين الله والشيطان ، لذا فالنصرة تصدر عن الله نفسه ، إذ يقول : « أنت تأتى إلىّ بسيف وبرمح وبترس ، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل الذين عيرتهم ... وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس

بسيف ولا برمح يخلص الرب ، لأن الحرب للرب ، وهو يدفعكم لنا » ١ صم ١٧ : ٤٥ـــ٤٧ .

الآن نتساءل : **ما هو سر نصرة داود فى حربه ضد جليات ؟**

(أ) لعل سر نصرته الخارجية على جليات هو نصرته فى الداخل . عندما سأله والده أن يفتقد سلامة إخوته ويأخذ منهم عربونا (١ صم ١٧ : ١٩) أى يحضر من عندهم شيئاً يحمله على الطمأنينة من جهتهم يقول الكتاب : « **فبكر داود صباحاً ... وذهب كما أمره يسى** » ١ صم ١٧ : ٢٠ . طاعة الإنسان لوالديه وآبائه الروحيين فى الرب هى غلبة داخلية على الإرادة الذاتية ، تتبعها غلبات ونصرات خارجية . كثيرون انهزموا من الخارج لا لشيء إلا بسبب هزيمتهم الداخلية . لقد أطاع داود بلا تردد وبفرح أسرع بالتنفيذ فى الصباح دون تأخير .

غلب أيضاً داخلياً عندما ثار عليه أخوه اليآب إذ أجابه فى هدوء وبحكمة .

(ب) أدرك داود أن كل نصرة هى لحساب الرب نفسه وكنيسته ، وكل هزيمة تهين الرب وكنيسته . فإنه وإن كان قد سأل : « **ماذا يفعل للرجل الذى يقتل الفلسطينى ؟** » فقد أكمل السؤال بقوله : « **ويزيل العار عن إسرائيل ؛ لأنه من هو هذا الفلسطينى الأغلف حتى يعيّر صفوف الله الحىّ ؟** » . هكذا تطلع إلى المعركة بكونها صراع بين الله نفسه وعدو الخير الشيطان .

لعله على سبيل حب الاستطلاع سأل عن الأجرة لكنه بلا شك لم يكن ممكناً أن توجد أجرة تسحب قلب إنسان أمام رجل عملاق كجليات متدرب على القتال ، وقد ضعف أمامه الملك وكل رجال الحرب وارتعب قدامه إخوة داود الأكبر منه ... لقد غار داود غيرة رب الجنود ، وأدرك أن « الله » نفسه يهب الغلبة ليتمجد فى وسط شعبه . بهذا الفكر نزل داود إلى ارض المعركة مختفياً فى الله .

(جـ) يرى **القديس أمبروسيوس** أن سر نصرة داود أنه لم يثر هو الحرب انما كان جليات الذى بدأها ، أما هو فدُفع إليها لغيرته الروحية ... لم يحمل سلاح شاول بل مقلاعه الخاص به وعصاه ... دخل الحرب بعد استشارة الرب . يقول : [داود لم يثر حرباً ما لم يُدفع إليها ... قوته اعتمدت على ذراعيه لا على

أسلحة الغير ... لم يدخل قط فى حرب دون طلب مشورة الله[١٣١]] .

ليتنا فى جهادنا الروحى نلتزم بهذه الأمور الثلاثة ، لا ندفع أنفسنا فى الحرب بأنفسنا إنما فى اتضاع نهرب من كل عثرة ، فإذا دخلنا إلى حرب عندئذ نحمل خبرتنا الشخصية مع ربنا ونعتمد على نعمته العاملة فينا لا على صلوات الغير دون جهاد من جانبنا ، وأخيراً لا ننطلق إلى الحرب دون طلب مشورة الرب وعونه .

(د) يرى **القديس أمبروسيوس** أن داود غلب لأنه قدم نفسه عن الشعب ، إنه طلب ما هو للغير باذلاً نفسه لحسابهم ، إذ يقول : [داود أيضاً اتبع خطوات (موسى) الذى أُختير من بين الجميع ليحكم الشعب . كم كان وديعاً ولطيفاً ومتضعاً فى الروح ، وكم كان مجاهداً ومستعداً لإظهار الحب . قبل مجيئه إلى العرش قدم نفسه عن الكل . كملك أظهر نفسه معادلاً للجميع فى القتال ، مشاركاً إياهم متاعبهم . كان شجاعاً فى المعركة ، لطيفاً فى حكمه ، صبوراً فى احتمال الإهانة ، مستعداً بالأكثر أن يحتمل الغير عن أن يرد عليهم أخطاءهم . كان عزيزاً على الجميع ، وبالرغم من كونه شاباً اختير بغير إرادته ليحكم عليهم ... وعندما كبر فى السن سأله شعبه ألا يدخل المعركة إذ فضل الجميع أن يتعرضوا للخطر من أجله عن أن يتعرض هو للخطر من أجلهم . لقد ربط الشعب به بكامل حريتهم إذ قام بواجبه نحوهم ؛ أولاً عندما حدث انشقاق بين الشعب فضل أن يعيش فى حبرون كما فى منفى (٢ صم ٢ : ٣) عن أن يملك فى أورشليم . ثانياً عندما أظهر حبه للشجاعة حتى بالنسبة لعدوه ... أعجب بأبنير كبطل شجاع مع أنه كان قائداً لمن هم ضده ومثيراً للحرب ، لم يستخف به عندما طلب السلام بل كرّمه وصنع له وليمة (٢ صم ٣ : ٢٠) ، وعندما مات عن خيانة بكاه وانتحبه[١٣٢]] .

٤ــ شاول يتعرف على داود

لم يعرفه شاول مع أنه كان يضرب له بالعود فى صباه (١ صم ١٦ : ٢٢ ، ٢٣) ، فقد نسيه ، خاصة أن شاول مصاب بمرض نفسى يفقده الذاكرة ويجعله متغير المزاج . هذا وربما تغير شكل داود عندما بلغ سن الرشد .

يظن البعض أن شاول تظاهر بعدم معرفته لأنه حسده وأراد مراقبته .

+ + +



شاول الذى أحب داود جداً وجعله حامل سلاحه (١٦ : ٢١) دبّ الحسد فى قلبه ، إذ رآه ينجح فى كل عمل تمتد إليه يداه (١٨ : ٥) ، وصار يتمجد أكثر منه (١٨ : ٧) ، « لأن الرب كان معه وقد فارق شاول » ١٨ : ١٢ ... الآن باطلاً يستخدم كل وسيلة للخلاص منه .

١ــ عهد بين يوناثان وداود ١ ــ٥ .

٢ــ تمجيد داود أكثر من شاول ٦ ــ٨ .

٣ــ شاول يحاول قتل داود ٩ ــ١٦ .

٤ــ داود يصاهر شاول ١٧ــ٣٠ .

\+ + +

١ــ عهد بين يوناثان وداود

لقد وعد شاول أن يعطى ابنته لمن يقتل جليات ويخلصه من هذا العار ، وإذ حقق له داود طلبته لم يفِ بالوعد إذ أعطى ابنته الكبرى ميرب لعدريئيل المحولى ، وعوض تكريمه بدأ يحسده ويطلب الخلاص منه بطريقة أو أخرى . لقد حرمه من المكافأة التى وعده بها لكن الله لم ينس داود بل أعطاه بفيض أكثر مما وعد شاول ، إذ وهبه :

(أ) حب يوناثان بن شاول وتعلقه العجيب به (١ صم ١٨ : ١ــ٤) .

(ب) نال نجاحاً فى كل عمل تمتد إليه يداه فأعجب به جميع الشعب ورجال شاول (١ صم ١٨ : ٥) .

(جـ) غنت النساء له وأعطينه كرامة أكثر من شاول (١ صم ١٨ : ٦ ، ٧) .

(د) سقط شاول تحت سيطرة روح ردىء فاحتاج إلى موسيقى داود واهبة الراحة (١ صم ١٨ : ١٠ــ١٢) .

(هـ) حرمه شاول من الزواج بابنته ميرب فأحبته ميكال وصارت له زوجة تحميه من أبيها (١ صم ١٨ : ٢٠ــ٣٠) .

بمعنى آخر يقاوم العالم أولاد الله ويحسبون أنه فى سلطانهم حرمانهم من ثمرة برهم وجهادهم وأنهم قادرون على إذلالهم ، لكن الله لا يترك عصا الأشرار تستقر على نصيب الصديقين لكيلا يمد الصديقون أيديهم إلى الإثم (مز ١٢٥ : ٣) ، يقوم هو بنفسه بتقديم المكافأة أضعافاً مضاعفة . يقول **القديس أغسطينوس** : [فى الوقت الحاضر ، حقاً يتألم الصديقون إلى حدٍ ما ، وأحيانا يطغى الأشرار على الصديقين ، فى الوقت الحاضر تقع عصا الأشرار إلى زمان على نصيب الصديقين ، لكنها لا تُترك هكذا على الدوام . سيأتى الوقت الذى فيه يأتى المسيح فى مجده ويجمع كل الأمم قدامه (مت ٢٥ : ٣٢ ، ٣٣) . سترى عبيداً كثيراً بين القطيع وسادة كثيرين بين الجداء ، وأيضا سادة كثيرين بين القطيع وعبيداً كثيرين بين الجداء . ليس كل العبيد صالحين ... ولا كل السادة أشراراً[١٢٣]]

نعود إلى أول هبة قدمها الله لداود عوض نكص شاول بوعده ، ألا وهى صداقة ابنه يوناثان له بصورة عجيبة لم نسمع بها يماثلها فى التاريخ ولا حتى فى الروايات والقصص . كان يوناثان شجاعاً ومقداماً رجل حرب وذا كرامة لدى الشعب (١ صم ١٤ : ١ــ١٥) ، وكان ولى العهد ، ومع ذلك أحب داود الذى نال كرامة وسط الشعب ورجال البلاط الملكى أكثر من والده ، وقد حذره والده منه أنه سيسحب منه كرسى المملكة ، لكن حبه وشهامته وصداقته كانت فى عينيه أعظم من كرسى المملكة . صداقته لداود فى الرب كانت فى عينيه أثمن من طاعته لأبيه خارج الرب ! لقد قيل : « **إن نفس يوناثان تعلقت بنفس داود وأحبه يوناثان كنفسه** » ١ صم١٨ : ١ . عبّر عن هذا الحب الداخلى ، الذى ربما يُحرم منه الإنسان حتى خلال علاقاته الأسرية ، بتقديم جبته مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته . أعطاه جبته بـ لباس الشرفاء ــ التى يرتديها خلال حياته اليومية كما سلمه أدوات الحرب الخاصة به ، علامة التصاقه به تحت كل الظروف ، فى السلم كما فى الحرب .

يقدم لنا تاريخ الكنيسة صوراً حية لصداقات فى الرب خلالها ارتبط بعض القديسين معاً خلال جهادهم الروحى وتمتعهم بشركة الحب معاً فى الثالوث القدوس .

+ الصداقة لا يمكن أن تكون قوية ما لم تأتلف بصديقك وتلتصق به بتلك المحبة التى يسكبها الروح القدس المعطى لنا .

القديس أغسطينوس(١٢٤)

+ كما أن الذين يجالسون باعة المسك والأطياب العبقة يكتسبون الروائح الذكية ، هكذا ينبغى علينا أن نلازم الحكماء والمعلمين وأرباب الفضيلة لنقتدى بمثالهم فى الصالحات .

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٢٥)

+ الملتصق برجال الله يستغنى بأسرار الله ، والملتصق بالجاهل والمتكبر يبتعد عن الله ، وأيضاً يبغضه أحباؤه .

ليس شيء يبث فى نفوسنا الطهارة مثل خلطة هؤلاء الأطهار أنقياء القلوب ؛ فمثل هذا الصديق يبقظ النفس إلى الحياة ...

صداقة القديسين النشطين تملأك من أسرار الله .

القديس يوحنا سابا(١٢٦)

+ إذا ضعفت عن أن تكون غنياً بالله فالتصق بمن يكون غنياً به لتسعد بسعادته وتتعلم كيف تمشى حسب أوامر الإنجيل .

القديس باخوميوس(١٢٧)

٢ــ تمجيد داود أكثر من شاول

بعد قتل جليات وكثير من الفلسطينيين استقبلت النساء شاول وداود ، بعضهم يغنين لهما والأخريات يضربن بالدف (آلة موسيقية عبارة عن قطعة من

الجلد الرقيق المشدود على إطار خشبى حوله أجراس صغيرة) والمثلثات ويرددن القرار : « **ضرب شاول ألوفه وداود ربواته** » ١ صم ١٨ : ٧ . لقد حسبن قتل جليات وحده يمثل قتل ربوات (عشرات الألوف) . عوض الفرح بنجاح داود بدأ شاول يحقد على داود مترقباً إياه .

٣ـ شاول يحاول قتل داود

إذ غضب شاول جداً (١ صم ١٨ : ٨) ملأ الحسد قلبه ، فأراد الخلاص من داود الذى خلصه من أعدائه . أراد قتل داود فصار مثلاً سيئاً للغضب والحسد . جاء فى الدسقولية [لا تسرع فى الغضب ولا تكن حاقداً ولا سريع الإنفعال ولا هائجاً ولا متحدياً لئلا يكون لك مصير قايين (تك ٦) وشاول (١ صم ١٨) ويوآب (٢ صم ٣ : ٢٠)[١٢٨]] .

بالحسد فقد شاول سلامه الداخلى ، وبه حاول قتل داود بكل وسيلة حتى بعدما سقط شاول فى يدى داود ولم يؤذه داود ، وبسبب الحسد حاول قتل ابنه يوناثان لأنه دافع عنه (٢٠ : ٢٢) كما قتل الكهنة (١ صم ٢٢) وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف (٢٢ : ١٩) .

ماذا فعل الحسد بشاول وداود ؟

حسد شاول داود فاقتحمه روح ردىء وجنّ فى وسط البيت ، أى فقد سلامه بل وعقله ، بينما كان داود مملوءاً سلاماً يفيض به حتى على شاول نفسه عندما يضرب بمزاميره على الموسيقى ليهدىء من روعه .

كان شاول يمسك بالرمح كصولجان مُلك ، خلال الحسد صوّبه ضد داود مرتين لقتله وكان الرب مع داود ينقذه (١ صم ١٨ : ٢) . لم يكن لدى داود سلطان ولا سلاح ولا حاول مقاومة شاول ، ومع ذلك كان شاول يخافه . شعر أنه يصغر جداً أمام داود ، ويهتز كرسيه ليحتله هذا الشاب التقى . هكذا يضر الحسد الحاسد لا المحسود ؛ يفقده ما فى داخله وما بالخارج من نعم وبركات وإمكانيات .

+ أخبرنى أيها الحاسد : لماذا تحسد أخاك ؟ هل لحصوله على بركات أرضية ؟ فمن أين حصل عليها ؟ أليست من الله ؟! فمن الواضح إذن أنك بحسدك

تجعل الله موضوع العداوة فتخطىء فى حقه لأنه واهب العطية . أنظر أى شر ترتكبه ، وكيف تجمع لنفسك إكليلاً من الخطايا ؟! وأية حفرة للانتقام تحفرها لنفسك ؟!

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٢٩)

+ الزانى يحصل على لذة زمنية أثناء ارتكابه الخطية ، ثم يعود فيرفضها ... أما الحاسد فيعذب نفسه ولو لم يحدث له ضرر ممن يحسده ، فلهذا خطية الحسد أشر الخطايا وأشنعها ...

القديس يوحنا الذهبى الفم(١٣٠)

+ لطالما فرق الحسد بين الزوجات ورجالهن ، فقد نسوا القول الكريم الذى نطق به أبونا آدم : « هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى » تك ٢ : ٢٣ . ولا غرو فقد دمر الحسد والخصام مدناً عامرة وأفنى أمماً قوية .

القديس اكليمندس(١٣١)

خلال الحسد لم يحتمل شاول أن يرى داود وإذ خشى غضبَ الشعب أبعده عن بلاطه الملكى وأقامه رئيس ألف فى الجيش ، ربما حاسباً أنه يُمكن أن يموت خلال الحرب عوض قتله بيديه مما يثير غضب الشعب ورجال البلاط أنفسهم الذين أحبوه . نجح داود كرئيس ألف جداً فازداد كرامة فى أعين الجميع عدا شاول الذى فزع منه .

ما أجمل العبارة : « **وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داود لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم** » ١ صم ١٨ : ١٦ . فالشعب يشتاق أن يرى قائده غير قابع فى برج من العاج تحوطه هالة من الأمجاد الزمنية والكرامات الباطلة ويحف حوله المداهنون والمتملقون وإنما أن يخرج ويدخل أمامهم . يشاركهم الحياة بأتعابها وآلامها وتجاربها ، يخاطر بحياته من أجلهم .

ما قيل هنا عن داود كان يحمل ظلاً لما تحقق فى شخص السيد المسيح (ابن داود) ، فقد أحبه جميع إسرائيل ويهوذا ، أى أحبه رجال العهدين القديم (إسرائيل) والجديد (يهوذا) ، تطلع الكل إليه كمشتهى الأمم ومخلص العالم الذى يصالح

البشرية مع السماء . أما القول « لأنه كان يخرج ويدخل أمامهم » فتعنى أنه خرج إلى العالم ليحل بيننا ، صار ابن الإنسان ليحملنا فيه يجدد طبيعتنا ويشفى أمراضنا ويشبع كل احتياجاتنا وينزع عنا الشيطان وكل أعماله . لما قيل له : إن الجميع يطلبونك ، قال لهم : « لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز أيضاً لأنى لهذا خرجت ، فكان يكرز فى مجامعهم فى كل الجليل ويخرج الشياطين » مر ١ : ٣٧ـ٣٩ . كما قال : « لأنى خرجت من قبل الله وأتيت » يو ٨ : ٤٢ ؛ « خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب » يو ١٦ : ٢٨ ؛ « هم قبلوا وعلموا يقيناً أنى خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتنى » يو ١٧ : ٨ .

إنه الزارع الذى خرج ليزرع (مت ١٣ : ٣) فينا حياته فنحمله فى أعماقنا بروحه القدوس سر تجديدنا وتقديسنا حتى نرتفع معه إلى سمواته ونرث المجد الأبدى ، وهناك ننعم بحضن الآب أبدياً .

لقد خرج أيضا خارج أورشليم ليصلب على جبل الجلجثة ، حتى متى ارتفع يجذب إليه الجميع (يو ١٢ : ٣٢) .

كما خرج إلينا هكذا عاد فدخل بطبيعتنا إلى سمواته إذ قام وصعد إلى السموات ليقيمنا معه ويجلسنا معه فى السمويات (أف ٢ : ٦) .

فى اختصار هذا هو طريق ملكوته ، خرج ودخل ليملك فينا ونملك نحن معه ؛ لنخرج إذاً إليه خارج المحلة (عب ١٣ : ٣) ونحمل عاره فيدخل بنا إليه وننعم بمجده ، ونملك إلى الأبد .

٤ـ داود يصاهر شاول

حسب وعد شاول كان من حق داود أن يتزوج ابنته الكبرى ميرب . فطلب شاول منه أن يحارب حروب الرب ، أى الحروب التى أمر بها الرب ، ظاناً أنه بهذا يضع له شركاً فيقتله الأعداء عوض أن يقتله بنفسه (١ صم ١٨ : ١٧ ، ١٨) .

فى اتضاع قال داود لشاول : « من أنا وما هى حياتى وعشيرة أبى فى إسرائيل حتى أكون صهر الملك ؟! » لقد أراد أن يطفىء من قلب شاول نيران الحسد ،

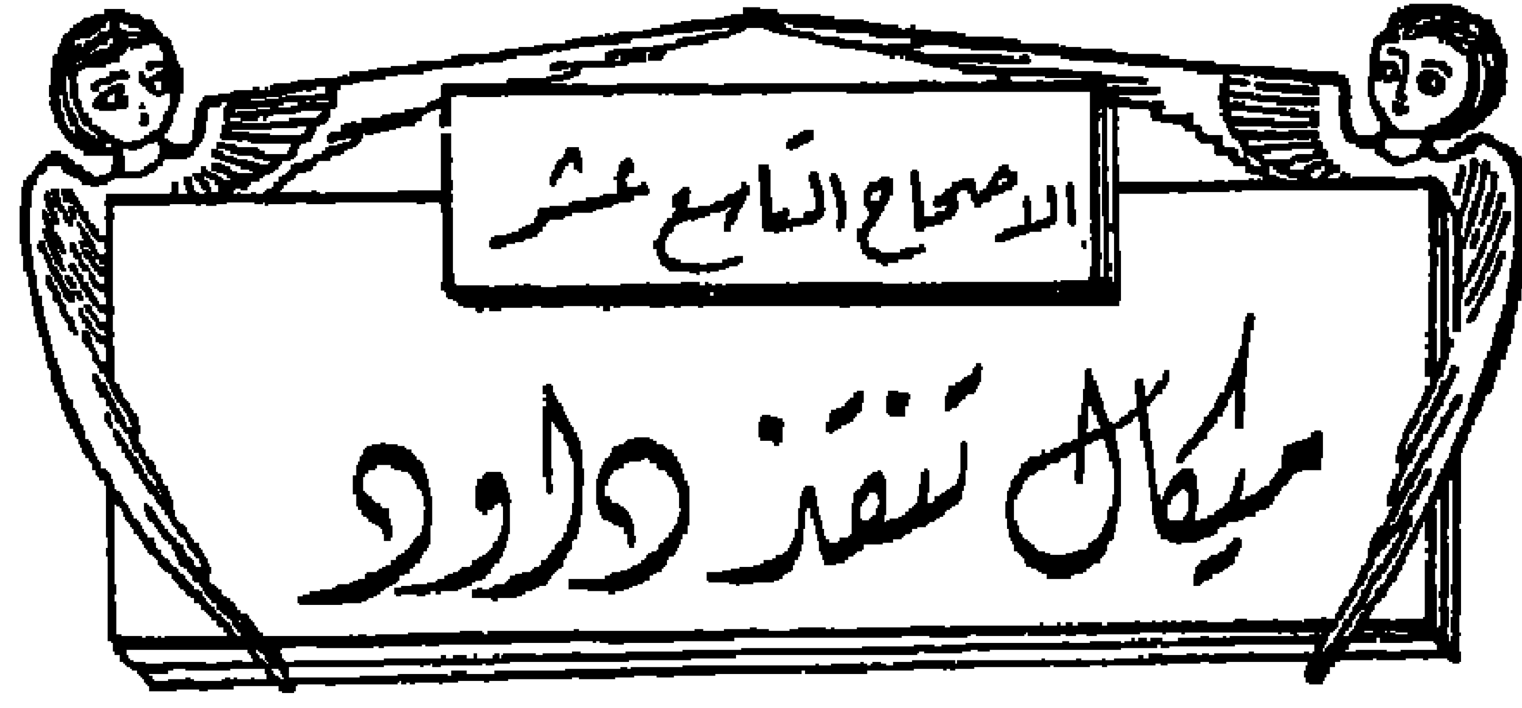
مع أنه كان يمكن لداود الذى مسحه صموئيل ملكاً سراً بين إخوته أن يفتخر على شاول بقتله جليات وإنقاذ شعب الله من العدو .

اتضع داود أمام شاول ، ونكث شاول بوعده فلم يعطه ميرب زوجة له بل أعطاها لعدريئيل المحولى ، [معناه « الله عونى »] سُمى المحولى نسبة إلى آبل محولة (معناه « مرج الرقص »] فى وادى الأردن (١ مل ٤ : ١٢) ، يرى البعض أن موضعها « عين حلوة » التى تبعد حوالى ١/٢ ٩ أميال جنوب بيسان .

أحبت ميكال ابنة شاول داود (١ صم ١٨ : ٢٠) لكن ليست كمحبة يوناثان له . نراها بعد أن تزوجت بداود أعطاها شاول لفلطى أو فلطيئيل (١ صم ٢٥ : ٤٤) ، وبعدما ملك داود استرجعها (٢ صم ٣ : ١٢ــ١٦) . لم تحتمل أن ترى رجلها داود الملك يرقص أمام تابوت العهد أما هو فلم يخجل بل وبخها على هذه المشاعر التى لا تحمل غيرة نحو الرب (٢ صم ٦ : ١٦ــ٢٣) .

بمكر طلب شاول من عبيده أن يفاتحوا داود فى أمر زواجه بميكال ابنته ، وإذ شعر داود بعجزه عن تقديم مهر لائق بها كابنة ملك جاءته الإجابة إن الملك لا يُسر بمهر بل بالغلبة على الأعداء طالباً مئة غلفة محدداً زمناً معيناً ، هادفاً بهذا قتله لكن داود ورجاله قتلوا مئتى رجل قبل الميعاد المحدد وتزوج ميكال التى كانت تحبه . أما شاول فعاد يخاف داود الذى تزايد فى النجاح ، وصار شاول عدواً له .

+ + +



الآن بدأ شاول ينهار ، إذ كلم ابنه يوناثان وجميع عبيده أن يقتلوه (١٩ : ١) ، وإذ تشفع فيه يوناثان وأقنعه أن يعدل عن قتله أقسم بالرب ألا يُقتل . لكن نصرة داود على الأعداء أثارت شاول من جديد ليضربه بالرمح ، وإذ فشل أرسل يتعقبه فى بيته فأنقذته ميكال ابنة شاول ، وأخيراً التجأ داود إلى صموئيل فى الرامة ليذهبا معاً إلى نايوت وهناك يأتى شاول ورجاله فيتنبأون .

يمكننا القول إن الله استخدم كل وسيلة ليوقف جنون أنانية شاول فلم يرتدع ، إذ حدثه على لسان ابنه الوارث لملكه يوناثان ، وعلى لسان ابنته زوجة داود ، وأخيراً خلال الأنبياء .

١ـــ يوناثان يشفع فى داود ١ ـــ ٧ .
٢ـــ شاول يبعث رسلاً لقتله ٨ ـــ ١١ .
٣ـــ ميكال تنقذ داود ١٢ـــ١٧ .
٤ـــ الأنبياء يبطلون خطة شاول ١٨ـــ٢٤ .

+ + +

١ـــ يوناثان يشفع فى داود

كان داود ناجحاً فى كل عمل تمتد إليه يداه ، لأن الرب كان معه ، لذا أحبه جميع الشعب ورجال البلاط ويوناثان بن شاول وأخته ميكال زوجة داود ، أما شاول فكان يمتلىء حسداً وبغضة وقد صمم على قتله بطريقة أو أخرى .

كان كبرياء قلب شاول يشحنه بالبغضة بينما كان داود ينمو فى الاتضاع ، حتى صار اسم « شاول » عبر الأجيال يمثل التشامخ والعجرفة واسم « داود » يمثل الاتضاع .

+ دُعى بولس أولاً شاول ؛ لقد كان متكبراً ثم اتضع . كان اسمه « شاول » ، وهو اسم مشتق من « شاؤل » الملك المتعجرف الذى اضطهد داود فى أيام حكمه (١ صم ١٨ : ٢٩) . صار بعد ذلك « بولس » ١ كو ١ : ١ ، صار آخر الكل فى الكنيسة بعدما كان متعجرفاً يضطهد الأبرياء .

+ ماذا يعنى اسم « بولس » ؟ يعنى « الصغير » . عندما كان اسمه « شاول » كان متكبراً متعجرفاً ، وإذ صار « بولس » صار متضعاً صغيراً (١ كو ١٥ : ٩ ؛ أف ٣ : ٨) .

القديس أغسطينوس[١٣٢]

ربما يتساءل البعض : كيف انحط شاول إلى هذه الدرجة ، مستخدماً كل وسيلة لقتل داود ، مع أنه سبق أن نال النبوة ؟

حقاً لقد وُهب شاول « النبوة » كعطية إلهية ، لكى يمارس حياة التسبيح والعبادة بكونه مسيح الرب ، لكنه لم يحمل الاتضاع والحب فى قلبه ولذا فقد كل صلاح ، وقاوم داود بل وعصى الله نفسه وكسر وصيته .

لا نعجب إن كان شاول الذى نال « النبوة » فى وقت ما (١ صم ١٠ : ١١) فقد كل صلاح بسبب كبرياء قلبه الذى أفقده كل حب . لذا نجد الآباء يركزون على التمتع بالحب كثمرة عمل الروح القدس فينا لنحيا بالرب ولا نفقد خلاصنا ... أما بقية المواهب فلا تقدر أن تسندنا بدون الحب ، حتى المعمودية أيضا لا تنفع بدون الحب .

+ نوال المعمودية ممكن حتى بالنسبة للإنسان الشرير ، ونوال النبوة ممكن للشرير . كان للملك شاول نبوة ، ومع ذلك كان يضطهد القديس داود ...

يمكن حتى للشرير أن يتناول جسد الرب ودمه ، وقد قيل : « الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه » ١ كو ١١ : ٢٩ .

يمكن أن يكون للشرير اسم المسيح ، إذ يمكن أن يُدعى مسيحياً ، مثل

هذا يقال عنه : « نجسوا اسم إلههم » (راجع حز ٣٦ : ٢٠) ...

أما أن يكون لك الحب وتكون شريراً فهذا مستحيل ! الحب هو العطية الخاصة ...

القديس أغسطينوس(١٣٣)

ظن شاول كملك صاحب سلطان أنه قادر على الخلاص من داود ، لكن الله أوجد لداود منقذاً ، إذ فتح قلب يوناثان بن داود بالحب الشديد لداود ، هذا أفشى سر المملكة وتجاهل بنوته الجسدية لشاول فأخبر داود بأن أباه يريد قتله وأنه يلزم الحذر ليلاً لئلا يدبر شاول مؤامرة لقتله ، وأن ينتظر حتى يعرف ما فى قلب أبيه ، وهل يمكن أن يصالحهما معاً .

إننا نعجب حين نرى رباط الصداقة الحقيقية يقوم بين بطلين متناظرين على تاج المملكة . فيوناثان وُلد ليملك ، أما داود فدُعى ليملك . كان كلاهما بطلين عظيمين ورئيسين فى الجيش ، ومع ذلك فكانت نظرة كل منهما للآخر نظرة إعجاب وتقدير ، مع حب صادق حتى الموت . دافع يوناثان عن داود حتى وبخه والده وأراد قتله . وهو الذى ساعده على الهروب (١ صم ٢٠) . ما أجمل القول : « فقام يوناثان بن شاول وذهب إلى داود إلى الغاب ، وشدّد يده بالله . وقال له : « لا تخف ، لأن يد شاول أبى لا تجدك وأنت تملك على إسرائيل ، وأنا أكون لك ثانياً ، وشاول أبى أيضا يعلم ذلك . فقطعا كلاهما عهداً أمام الرب » ٢٣ : ١٦—١٨ .

فى البداية كلم شاول ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود (١ صم ١٩ : ١) ، وإذ حذر يوناثان داود دعا أباه ليتمشى معه فى البرية بقصد الدخول معه فى حديث سرى ليصالحه مع داود ، مذكراً إياه بالحاجة إلى رجل صالح وناجح وشجاع لبنيان المملكة ، فسمع له شاول وحلف له ، ولكن كان هذا إلى حين .

كان يمكن ليوناثان من البداية أن يطلب من داود أن يهرب من وجه أبيه ، لكن يوناثان حسب هروبه خسارة عظيمة على المملكة وأيضاً بالنسبة له فقد أحبه كنفسه .

رجع داود إلى منصبه بعدما سمع شاول لصوت ابنه الصادق والأمين .

عادت الحرب بين إسرائيل وأعدائهم ؛ حاربهم داود وضربهم ضربة عظيمة فهربوا من أمامه (١ صم ١٩ : ٨) ، وكانت مكافأته أن قلب شاول امتلأ حسداً إذ دخله روح ردىء هو روح الحسد .

٢ــ شاول يبعث رسلاً لقتل داود

أراد شاول أن يقتل داود بالرمح فهرب من أمامه ونجا . أرسل شاول رسلاً إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه فى الصباح (١ صم ١٩ : ١١) .

هنا أنشد داود النبى المزمور التاسع والخمسين (٥٨ فى الترجمة السبعينية) ، إذ يقول :

« أنقذنى من أعدائى يا إلهى ، من مقاومىّ احمنى ؛
نجنى من فاعلى الإثم ومن رجال الدماء خلصنى .
لأنهم يكمنون لنفسي .
الأقوياء يجتمعون علىّ ...
استيقظ إلى لقائى وانظر .
يعودون عند المساء يهرّون مثل الكلب ويدورون فى المدينة ... » .

يرى **القديس أغسطينوس** فى شرحه للمزمور[١٣٤] أن عمل شاول يرمز إلى ما فعله رؤساء اليهود ؛ فكما أرسل شاول رسلاً فى الصباح إلى بيت داود ليراقبوه ويقتلوه ، هكذا دفع الرؤساء رشوة للجند المراقبين لقبر السيد ليشيعوا فى الصباح أن تلاميذه جاءوا ليلا وسرقوه ، وقد أرادوا بذلك أن يقتلوا السيد أى يحطموا الإيمان به ، لكنهم فشلوا .

فى المزمور ٥٩ (٥٨) يشبِّه داود النبى رسلَ شاول المرسلين لمراقبته وقتله بكلب واحد صار يدور فى المدينة لا ليُقتل بل ليُحمى . هكذا يفعل الله مع خائفيه إذ يحول الشر إلى خير . لقد طلب شاول قتل داود لكن الأخير نجا خلال تدبير ميكال ابنة شاول ؛ إذ استخدمها الله وسيلة لتأكيد رعايته له وحفظه إياه . هكذا أيضاً عندما رشا اليهودُ الجندَ ليقتلوا خبر قيامة المسيح ، تحول هذا لتأكيد القيامة ، لأنه لم يعقل أحد أن التلاميذ الهاربين من الخوف يقدرون أن يسرقوا

جسد السيد ليلاً وسط الحراسة المشددة وختم القبر . ما نادى به الجند صار تأكيداً بأن الجسد ليس فى القبر مما أكد قيامته .

٣ـ ميكال تنقذ داود

لعل ميكال سمعت من بيت أبيها عن أمر الرُسل ، وإذ كانت تحب رجلها دبرت أمر هروبه ، إذ أنزلته من الكوة . ربما كان بيتها فى حائط السور ، لذا نزل داود إلى خارج المدينة ليبدأ حلقة جديدة من حياته حملت خبرات ثمينة. دخل إلى الآلام ، يعيش وسط المظلومين والمطرودين ليس له موضع يستقر فيه ، وكأن الله قدهيأه بهذه الآلام لممارسة الحياة الملوكية لا كسلطة وعجرفة إنما كخدمة ورعاية خاصة للمطرودين والمظلومين . لقد دخل إلى تجربة الطرد لكى يعين المطرودين والمجرمين . كان داود فى هذا رمزاً للسيد المسيح الذى أنزلته محبته من السماء كما من بيته ، وجال فى برية هذا العالم ليس له أين يضع رأسه ؛ عاش طريداً ، مجرباً يقدر أن يعين المجرَّبين .

استخدمت ميكال الخداع والكذب لإنقاذ داود ، فمن جهة أخذت الترافيم ووضعته فى الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب (١ صم ١٩ : ١٣) . جاءت كلمة « ترافيم » كمفرد ، هنا تعنى تمثالاً كبيراً فى حجم إنسان ، غالباً كانت ميكال قد خبأته فى بيتها لا لتتعبد له وإنما كفأل لكى تحبل وتنجب ولداً . ولم يكن داود يعلم عنه شيئاً . ومن جهة أخرى كذبت ميكال فقالت عن داود إنه مريض ، وعندما عاتبها والدها منتهراً إياها : « لماذا خدعتِنى فأطلقتِ عدوى حتى نجا ؟! » كذبت إذ قالت : « هو قال لى : أطلقينى ، لماذا أقتلك ؟ » ١ صم ١٩ : ١٧ .

٤ـ الأنبياء يبطلون خطة شاول

إذ هرب داود ذهب إلى الرامة حيث أقام مع صموئيل النبى فى نايوت [تعنى مسكناً] ، وهو غالباً مبنى لسكن الملتحقين بمدرسة الأنبياء ، وربما اسم الحىّ الذى فيه السكن . على أى الأحوال ترك صموئيل مسكنه الخاص وأقام مع داود ربما ليحميه من شاول لا بسيف أو رمح وإنما بعمل الله وسلطانه الروحى ، بكونه رئيس مدرسة الأنبياء ومؤسسها ، وبكونه ماسح الملكين شاول وداود .

لعل داود جاء إلى هذا الموضع لأنه سبق أن التحق به إلى حين ، فجاء إلى معلمه ، واضعاً فى حسبانه أن شاول يهاب الموضع ورئيسه . لكن شاول الذى امتلأ قلبه حقداً لم يراجع نفسه ولا ذهب بنفسه ليطلب مشورة صموئيل النبى إنما بعث بإرسالية لأخذ داود كى يقتله . عندما بلغت الإرسالية الموضع نسيت هدفها لأنها تأثرت بالجو الروحى التعبدى وحل روح الرب عليهم وصاروا يتنبأون أى اشتركوا مع الأنبياء فى التسبيح والعبادة . ظن شاول أن هذه الجماعة قد انخدعت أو خافت سلطان صموئيل فأرسل جماعة ثانية وتكرر ذات الأمر معها ، وللمرة الثالثة جاءت إرسالية من قبله وصارت تتنبأ ... وفى هذا كله لم يرجع شاول إلى نفسه ولا اتعظ .

قرر شاول أن يذهب بنفسه ، فجاء إلى الرامة إلى البئر العظيمة التى عند سيخو ؛ وإذ أراد الله أن يتمجد حل عليه هو أيضاً روح الله ، فذهب إلى نايوت فى الرامة وصار يتنبأ . ومن شدة تأثره بالمسبحين بموسيقى رائعة خلع رداءه وجبته وعدته الحربية وبقى بلباسه الأبيض منطرحاً النهار والليل يسبح ويرنم . دهش كل من رآه فقالوا : « **أشاول أيضاً بين الأنبياء ؟!** » ١ صم ١٩ : ٢٤ .

لقد أراد الله أن يؤكد أنه إله المستحيلات ، قادر أن يحوّل قلب شاول المملوء حقداً إلى قلب ملتهب بالشوق نحو العبادة خاصة التسبيح ، خالعاً كل ثياب المجد والكرامة ، لكنه لا يلزمه بذلك بل تركه لإرادته الحرة ، لذلك سرعان ما ارتد شاول إلى شره .

ظن بعض الدارسين أن صموئيل وداود سخرا من شاول حينما نظراه منطرحاً عرياناً النهار كله وكل الليل ، إنما الواقع كان عكس ذلك فقد مجّد هذان النبيان الله على عمله فى شاول ولو إلى حين ، وقد ترك هذا المنظر أثراً طيباً فى قلب داود لذا مدحه مع ابنه يوناثان قائلاً : « شاول ويوناثان المحبوبان الحلوان ... » ٢ صم ١ : ٢٣ . هذا ما تبقى فى قلب داود من جهة شاول ؛ فقد نسى حسده وحقده ومقاومته له ومؤامراته لقتله ، ليراه الإنسان المحبوب الحلو الذى يسبح الله بين الأنبياء .

+ + +



تصرفات شاول تكشف عن اهتزاز نفسيته جداً ، فقد أدرك أن كرسيه بدأ يتزعزع وابنه الوارث الشرعى يسند داود ــ مغتصب الملك ــ وابنته ميكال تخلصه ، والأنبياء يقفون بجواره ... والآن يلتقى داود بيوناثان الذى يمثل كبير حجاب قصر شاول يعاتبه على تصرفات أبيه . بأمانة كاملة كشف يوناثان عما فى قلب أبيه وطلب من داود الهروب بعد أن تعانقا باكيين متعاهدين أمام الرب .

١ــ داود يعاتب يوناثان ١ ــ ١١ .

٢ــ يوناثان يتمم خطة داود ١٢ــ٢٣ .

٣ــ يوناثان يكتشف قلب أبيه ٢٤ــ٣٤ .

٤ــ يوناثان ينقذ داود ٣٥ــ٤٢ .

\+ \+ \+

١ــ داود يعاتب يوناثان

أدرك داود أن شاول يصر على قتله فقد بعث ثلاث إرساليات ، وأخيراً جاء بنفسه إلى الرامة لا لهدف آخر غير الخلاص منه ، لكن الرب أنقذه . هرب داود من نايوت فى الرامة وجاء إلى صديقه الحميم يوناثان للتشاور معه فى أمر أبيه . وقد جاءت أحداث هذا الأصحاح تكشف لنا عن شخصية يوناثان الفريدة فى الإخلاص والحب . لقد أدرك أن داود يستلم عرش أبيه لا محالة (١ صم ٢٠ : ١٤ــ١٧) ، فأظهر قبوله إرادة الله بفرح دون أى امتعاض من جهة داود بل صار يحبه كنفسه (١ صم ٢٠ : ١٧) . كان يسنده للخلاص من يد أبيه ، باذلاً كل الجهد لحساب صديقه الذى يرث أبيه . تكشف الأحداث بالأكثر عن شخصية شاول المتهورة إذ دفعه الحقد ضد داود أن يحاول قتل يوناثان لأنه يسنده .

جاء داود إلى يوناثان ليجد فيه الصدر الرحب فيعاتبه على تصرفات أبيه ويطلب مشورته ومساندته . حقاً لقد أراد الجالس على العرش أن يقتل داود لكن

الله فتح قلب أقرب مَن لشاول ـــ يوناثان ـــ ليحب داود ويخطط له من خلال البلاط الملكى ... هكذا كلما حاول الشر أن يغلق الأبواب ويحكمها يُفتح لنا باباً من حيث لا ندرى .

فى صراحة قال داود : « **ماذا عملتُ ؟وما هو إثمى ؟وما هى خطيتى أمام أبيكِ حتى يطلب نفسى ؟!** » ١ صم ٢٠ : ١ . هكذا استطاع داود أن يتكلم بصراحة مبرراً نفسه ، طالباً من يوناثان أن يقتله بنفسه إن كان قد وجد فيه ظلماً أو خيانة ، إذ يفضل أن يموت بيد صديقه يوناثان عن عدل عن أن يموت بيد شاول أو أحد عبيده عن ظلم (١ صم ٢٠ : ٨ــ١٠) .

اتسم داود بالأمانة مع الكل ومع هذا تعرض لمتاعب كثيرة ومطاردات عبّر عنها فى المزمور السابع : « خلصنى من كل الذين يطردوننى ونجنى ؛ لئلا يفترس كأسد نفسى هاشماً إياها ولا منقذ » .

يارب إلهى إن كنت قد فعلت هذا ، إن وُجد ظلم فى يدى ، إن كافأت مسالمى شراً وسلبت مضايقى بلا سبب ، فليطارد عدو نفسى وليدركها وليدس إلى الأرض حياتى وليحط إلى التراب مجدى . سلاه » مز ٧ : ١ــ٥ .

يتكلم داود النبى بصيغة الجمع « خلصنى من كل ... » ثم يكمل بصيغة المفرد « لئلا يفترس كأسد ... » ، ذلك لأنه وإن كثر المضايقون والمطاردون له ، لكن واحداً هو الذى يحركهم هو إبليس كما يقول **القديس باسيليوس**[١٣٥] .

يرى بعض الآباء فى كلمات داود النبى مع يوناثان وأيضاً ما ورد فى المزمور السابع حيث يبرر داود نفسه قائلاً : « ماذا عملت ؟ وما هو إثمى ؟ » ، « إن وُجد ظلم فى يدى » يرمز للسيد المسيح الذى وحده بلا خطية وقد ثار العدو ـــ إبليس ـــ كأسد ليفترسه على الصليب ، لكن تحطم العدو وقام المسيح ليقيم مؤمنيه معه .

+ « يارب إلهى إن كنت قد أخطأت فى هذا (فعلت هذا) » مز ٧ : ٣ » لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شىء » يو ١٤ : ٣٠ .

« إن وُجد ظلم فى يدّى » : « الذى لم يفعل خطية ولا وُجد فى فمه مكر » ١ بط ٢ : ٢٢ .

« إن كافأت مسالمى شراً » : قالوا « اصلب ، اصلب رجل كهذا » راجع يو ١٩ : ٦ .

« فليطارد عدو نفسى وليدركها » : « آخر عدو يبطل هو الموت » ١ كو ١٥ : ٢٦ .

« ليدس إلى الأرض حياتى » : لا يمكن للحياة أن تُداس الى الأرض .

« وليحطّ إلى التراب مجدى » :... يتوسل المرتل من أجل أعدائه لكى يتمجد الله فى أرضهم ، عندما يكفون عن العداوة فيتمجد الله فيهم .

القديس جيروم[١٣٦]

على أى الأحوال إذ تسلك النفس فى طريق الكمال خلال تمتعها بالحياة الجديدة فى المسيح الكامل وحده تتعرض للحروب من كل جانب ، يثيرها عدو الخير ضدها ، لكنها تنال الغلبة والنصرة . وكما يقول **القديس أغسطينوس** : [تنهزم كل حرب وكل عداوة بالنسبة لمن صار كاملاً ، فلا يكون له عدو سوى إبليس الحاسد ... يقول الرسول : « إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو » ١ بط ٥ : ٨ . لذلك بعدما تحدث المرتل بصيغة الجمع : « خلصنى من كل الذين يضطهدوننى » يتكلم بصيغة المفرد : « لئلا يفترس كأسد نفسى » . لم يقل « لئلا يفترسوا » ، إذ عرف أى عدو وخصم عنيف ضد النفس الكاملة[١٣٧]] .

تحدث داود بصراحة معلناً شدة تخوفه من شاول ، إذ يقول : « **ولكنى حى هو الرب وحية هى نفسك إنه كخطوة بينى وبين الموت** » ، أى أن الموت قد صار قريباً جداً منه يحل عليه فى أية ساعة . وكانت إجابة يوناثان : « **مهما تقل نفسك أفعله لك** » ١ صم ٢٠ : ٤ ، بمعنى أنه سيقدم له كل ما يريده داود ، ما يشير به عليه بفعله . هكذا يفعل الحب ، لأن « المحبة لا تطلب ما لنفسها بل ما هو للآخرين » .

قدم داود مشورة ليوناثان للكشف عما فى قلب أبيه ، قدمها بروح الوداعة

والاتضاع فى غير استغلال لحب يوناثان له ، إذ يقول له « أرسِلنى » ١ صم ٢٠ : ٥ ، فإنه فى غياب شاول يأتمر داود بأمر يوناثان ويخضع له . وقبل مفارقته سجد له ثلاث مرات (١ صم ٢٠ : ٤١) علامة الاحترام اللائق به كابن ملك وعلامة الشكر والامتنان .

أما المشورة فباختصار أنه يتغيب لمدة ثلاثة أيام عن حضور الوليمة مع الملك فى أول الشهر بحجة أن أخاه اليآب سأله أن يحضر إلى بيت لحم ليشترك فى الذبيحة السنوية التى لعشيرته ، وأن يوناثان أعطاه إذناً بالذهاب،ليرى ماذا تكون إجابة شاول ؛ فإن استحسن الأمر يكون ذلك إشارة إلى ارتياح قلب الملك من نحوه ، أما إذا اغتاظ فيكون قد أعد له الشر .

٢ـــ يوناثان يتمم خطة داود

كانت العادة أن يقسم الإنسان فى صيغة صلاة أحيانا ؛ هكذا فعل يوناثان إذ قال : « يارب إله إسرائيل متى اختبرتُ أبى مثل الآن غداً أو بعد غد فإن كان خير لداود ولم أرسِل حينئذ فأُخبِرَه فهكذا يفعل الرب ليوناثان وهكذا يزيد ... » ١ صم ٢٠ : ١٢ـــ١٥ .

هكذا أقسم فى صيغة صلاة ليعطى للقسم قدسيته ، مؤكداً أنه إن كان أبوه ينطق بخير سيبعث إليه رسولاً يطمئنه ليعود إلى عمله فى البلاط ، أما إذا نطق بشر فإنه يقوم بنفسه بإخباره ولا يأتمن رسولاً على ذلك حتى لا تتعرض حياة داود لخطر ، طالباً له أن يكون الرب فى رفقته أثناء هروبه حتى يتسلم الحكم ، وعندئذ يطلب من داود أن يصنع به وبنسله معروفاً ، لأنه كانت عادة الملوك حين يستلمون الحكم يقتلون الملك السابق وكل نسله حتى يطمئن أنه لا توجد فرصة لثورة ضده تحت قيادة شخص من نسل ملوكى (١ مل ١٥ : ٢٩ ؛ ١٦ : ١١) ، بالفعل حفظ داود العهد ونفذ الوصية (٢ صم ٢١ : ٧) .

٣ـــ يوناثان يكتشف قلب أبيه

اكتشف يوناثان ما فى قلب أبيه فى اليوم الثانى من الوليمة ؛ ففى اليوم الأول ظن الملك أن داود لم يحضر لأمر عارض ، لأنه غير طاهر . أما فى اليوم الثانى إذ سأل عنه قال له يوناثان بأنه ذهب إلى بيت لحم كطلب أخيه ليشترك مع بيت أبيه فى

الذبيحة السنوية ، عندئذ حمى غضب شاول على يوناثان وقال له :

« يا ابن المتعوِّجة المتمردة ، أما علمتُ أنك قد اخترت ابن يسى لخزيك وخزى عورة أمك .

لأنه مادام ابن يسَّى حياً على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك .

والآن أَرْسِل وأتِ به إلىّ لأنه ابن الموت هو » ١ صم ٢٠ : ٣٠، ٣١ .

ولما حاول يوناثان الدفاع عنه صوب شاول الرمح نحوه ليطعنه ، عندئذ علم يوناثان أن أباه قد عزم على قتل داود .

لقد سب شاول ابنه بأبشع شتيمة قائلاً : « يا ابن المتعوجة المتمردة ، وهو لا يعنى إهانة امرأته بل إهانة يوناثان نفسه » .

+ ماذا عنى بهذا ؟

أنت ابن الزانيات اللواتى هن مجنونات على الرجال ، يجرين وراء العابرين .

إنك بائس خلع القلب مخنث ، ليس فيك شيء من الرجولة ، تعيش فى خزى من نفسك ومن أمك التى عرّتك .

ماذا إذن ؟ هل حزن عند سماعه هذه الأمور ، وأخفى وجهه ، وترك محبوبه ؟ لا ؛ بل على العكس ، حَسِبَ محبته زينة .

لقد كان الواحد — يوناثان — ملكاً ابن ملك ، والآخر كان طريداً شريداًأقصد به داود ؛ ومع ذلك لم يخجل الأول من صداقته .

القديس يوحنا الذهبى الفم[١٣٨]

لم يجد شاول ما يرد به على يوناثان فى دفاعه عن داود إنما عوض الرد صوب الرمح لقتله . هذا هو روح الشر الذى يضطهد الحق ومن ينطق به مستخدماً العنف والسلطة الزمنية . فعندما عجز اليهود عن الكلام مع السيح المسيح « الحق » ذاته ، رفعوا حجارة ليقتلوه(يو ٨ : ٥٩) ، وأيضاً إذ لم يقدروا على مقاومة الحكم والروح الذى كان يتكلم به اسطفانوس رجموه (أع ٦ : ٩—١٥) .

لقد عكر الغضب عينى شاول فلم يجد ما يجاوب به ابنه إلا تصويب الرمح لقتله مع السب والشتيمة بأقذر الألفاظ .

+ إن وجدتم فى منازلكم عقارب وأفاعى ، ألا تجتهدون فى طردها حتى تعيشوا فى أمان منها فى منازلكم ؟! ومع ذلك فها أنتم غضبى ، وهوذا الغضب يتأصل فى قلوبكم ، وينمى فيها حقداً وخشباً كثيراً وعقارب وأفاعى ، ومع هذا فلا تنقون قلوبكم التى هى مسكن الله !!

القديس أغسطينوس(١٣٩)

+ الغضب هو حركة جنون ، من يقتنيه لنفسه يحيره ويجعل النفس مثل الوحوش .

القديس اوغريس(١٤٠)

+ إذا أكمل الإنسان جميع الحسنات وفى قلبه حقد على أخيه فهو غريب عن الله .

القديس باخوميوس(١٤١)

٤ـ يوناثان ينقذ داود

انطلق يوناثان إلى الحقل ومعه سلاحه وأيضاً غلام صغير حتى لا يشك أحد فى أمره بل يحسبونه ذاهباً للتمرن على رمى السهام كعادته . طلب من الغلام أن يلتقط السهام التى يرميها(١ صم ٢٠ : ٣٦) . بينما كان الغُلام راكضاً رمى السهم حتى جاوزه ، وناداه : « أليس السهم دونك فصاعداً ... اعجل . أسرع . لا تقف » . كان ذلك إشارة إلى داود المختبىء فى الحقل بأن الخطر يلاحقه وأن يسرع بالهروب . أعطى يوناثان السلاح للغلام ليدخل به إلى المدينة ، وقام داود من جنوب حجر الافتراق وسقط على وجهه إلى الأرض وسجد ثلاث مرات علامة تقديره وشكره ليوناثان الذى يهتم بحياته . كان الوداع حاراً ، إذ بكى كل منهما مع صاحبه ليفترقا بلا تلاقٍ على هذه الأرض . زاد داود فى بكائه ، فقال له يوناثان : « اذهب بسلام لأننا كلينا قد حلفنا باسم الرب قائلين : الرب يكون بينى وبينك ، وبين نسلى ونسلك إلى الأبد » ، ثم افترقا حسب الجسد أما قلباهما فازدادا التحاماً وحباً .

ما أعذب الحب وما أثمنه فإنه ليس ما يحطمه ولا حتى الموت ! هو رصيدنا الأبدى ، إذ يقول الرسول بولس : « المحبة لا تسقط أبداً ؛ وأما النبوات فستبطل والألسنة فستنتهى والعلم فسيبطل » ١ كو ١٣ : ٨ .

+ + +



صورة مؤلمة لداود إذ صار طريداً ، ترك كل شيء فجأة وخرج وحده ولم يكن معه سيف ولا خبز ، ولا وضع خطة أمامه ، ولم يستشر الرب فى شيء فصار يتخبط ، دخل نوب مدينة الكهنة وبسببه قُتل الكهنة وهلكت المدينة ، انطلق إلى جت فحسبوه جاسوساً طائشاً واضطر إلى التظاهر بالجنون لينقذ حياته . إنها لحظات ضعف عاشها رجل الإيمان الجبار داود .

١ــ داود فى نوب ١ ــ٩ .

٢ــ داود فى جت ١٠ــ١٥ .

+ + +

١ــ داود فى نوب

عجباً إن الذى ارتعب أمامه الوثنيون ، وغنت له النساء « ضرب شاول ألوفه وداود ربواته » ١٨ : ٧ ، والذى حاز حب وإعجاب الملك وابنه وابنته والقواد وجميع الشعب ... يهرب أمام الملك المرفوض . لقد جاءت ساعة التجربة المرة التى لابد لكل مؤمن أن يجتازها ، حين يشعر أنه وحيد ليس من يسنده ولا من يشاركه مشاعره .

جاء داود النبى إلى نوب ، شمال أورشليم (إش ١٠ : ٣٢) بالقرب منها ، حُسبت كمدينة للكهنة مع أنها لم تدرج مع مدن الكهنة فى يش ٢١ ، إنما حُسبت كذلك لأن الخيمة انتقلت إليها بعد خراب شيلوه . هناك التقى بأخيمالك الكاهن ، ربما هو أخيّا بن أخيطوب (١ صم ١٤ : ٣) أو أخوه وخلفه فى الكهنوت . كان رجلاً صالحاً وهو ابن حفيد عالى الكاهن الذى صدر الحكم الإلهى بخراب بيته (١ صم ٣ : ١٣ــ١٤) .

عندما ذكر السيد المسيح هذه الحادثة فى مر ٢ : ٢٦ قال إنها حدثت فى أيام

أبيأثار رئيس الكهنة ، وهو ابن آخيمالك (١ صم ٢٢ : ٢) ، مارس الرئاسة الكهنوتية مع أبيه .

إذ رأى أخيمالك داود وحده ، لأن أتباعه وقفوا خارجاً فى البداية ثم تقدموا ؛ وربما حسب أخيمالك داود وحده لأنه كان يتوقع موكباً من الأشراف يرافقونه بحكم مركزه فى البلاط الملكى ، وحسب من معه انهم لا يُحسبون . هذا المنظر أربك أخيمالك ربما لأنه سمع أن شاول يريد قتل داود ، وأن داود جاء هارباً من وجه الملك فيحل على أخيمالك غضب الملك إن استضافه .

لقد خارت قوى داود فاستخدم الخداع والمواربة ونوعاً من الكذب ليبرر موقفه أمام أخيمالك ، إذ قال له : « إن الملك أمرنى بشىء ، وقال لى : « لا يعلم أحد شيئاً من الأمر الذى أرسلتك فيه وأمرتك به ، وأما الغلمان فقد عينت لهم الموضع الفلانى والفلانى » ١ صم ٢١ : ٢ . كان داود رجلاً حسب قلب الله ، لكنه فى ضعفه كان يخطىء ؛ وقد أدى ضعفه هذا وكذبه إلى عواقب وخيمة (١ صم ٢٢ : ١٨ ، ١٩) .

طلب داود من خبز الوجوه ، الخبز المقدس (لا ٢٤ : ٥-٩) ، الذى كان الكهنة يضعونه جديداً كل سبت ويأكلون القديم ، ولا يحل تقديمه لغير الكهنة . ومع ذلك فقد قبل أخيمالك أن يقدمه لداود ورجاله إن كانوا طاهرين حتى من العلاقات الزوجية ، ذلك لأنهم جاعوا ولم يكن يوجد خبز آخر .

استخدم السيد المسيح هذه الحادثة ليوضح لليهود كيف أنه يحل للتلاميذ أن يقطفوا السنابل ويفركوها بأيديهم ويأكلوا منها يوم السبت (مر ٢ : ٢٥ ؛ مت ١٢ : ٣ ، ٤ ؛ لو ٦ : ٣-٥) .

يقول **القديس كيرلس الكبير** : [مع أن داود سلك مسلكاً مغايراً للناموس ولكن له فى نفوسنا كل إكبار وإجلال ، فهو قديس ونبى ... يجب أن نلاحظ أن خبز التقدمة الوارد ذكره فى رواية داود يشير إلى الخبز النازل من السماء الذى تراه على موائد الكنائس المقدسة وأن جميع أمتعة المائدة التى نستعملها فى خدمة المائدة السرية هى رمز للكنوز الإلهية الفائقة[١٤٢]] .

لم يفعل داود النبى ذلك عن تهاون بالوصية أو تراخ ، لكن لم يكن أمامه

طريق آخر ، لذا لم يُحسب أكله هو ومن معه من هذا الخبز كسراً للوصية[١٤٣] . وقد حمل تصرفه هذا رمزاً إذ تمتعت الأمم لا بخبز التقدمة وإنما بجسد السيد المسيح ، الخبز النازل من السماء ، كمصدر شبع حقيقى للنفس .

سأل داود عن وجود أى سلاح لدى الكاهن فى الخيمة ، فأعطاه سيف جليات الذى قتله داود فى وادى البطم (السنط) ملفوفاً ربما فى ثوب جليات وكان موضوعاً خلف أفود الكهنة ليكون فى مأمن . قال داود للكاهن : « **لا يوجد مثله أعطنى** » ١ صم ٢١ : ٩ . كان يكفيه أن ينظر إلى السيف فتهدأ نفسه ويطمئن . كان يلزمه أن يذكر كيف وقف أمام جليات الجبار بكل سلاحه كشاب لا يملك سوى عصا ومقلاع وخمسة أحجار ملسى من الوادى ، وباسم الرب غلب وانتصر .

كان فى نوب أحد عبيد شاول ، ربما ذات الغلام الذى كان يرافقه حين ذهب يبحث عن أتن أبيه الضالة (١ صم ٩ : ٣) ، يدعى دواغ الأدومى ، رئيس رعاة شاول ، رجل دخيل ، كان محصوراً أمام الرب (١ صم ٢١ : ٧) إما لوفاء نذر أو للتطهير . وقد أدرك داود أن فى وجود دواغ خطراً ، لذا أسرع بترك المكان فى ذات اليوم . لكن دواغ أبلغ شاول بما حدث وأثاره لقتل لا اخيمالك وحده بل وجميع الكهنة مع نسائهم وأولادهم مع ماشيتهم . يرى **القديس اغسطينوس**[١٤٤] أن « دواغ » تعنى « تحركاً » وآدوم تعنى « تراباً » أو « أرضا » ... وكأنه يمثل من يحمل « تحركاً أرضياً » لا سماوياً ، أى سلوكاً أرضياً يفسد خدمة الرب .

٢ــ داود فى جت

هرب داود إلى جت مدينة جليات الجبار الذى قتله ، وها هو قادم يحمل سيف بطلهم ، فثاروا ليقتلوه . لقد وجد أرامل وأيتاماً ترملن وتيتموا بسبب داود ولم يكن ممكناً أن يستضيفوا داود كطريد شاول ، إنما حسبوه جاسوساً خبيثاً ومتهوراً . قُدم لأخيش (أحد ألقاب الملوك الفلسطينيين) فلم يجد وسيلة للخلاص إلا بالتظاهر بالجنون ، فقد تمتع المجانين ببعض الامتيازات ، منها عدم معاقبتهم على تصرفاتهم ، كما حسب البعض أن بهم روحاً يخافونه ويرهبونه .

يا له من منظر يمثل منتهى البؤس ! إذ نرى داود الجبار ، رجل الله التقى ،

المتكل على الله ، يخور فى إيمانه ليتظاهر بالجنون ، فيخربش اى يكتب كتابة غير واضحة على الباب ، وبحسب الترجمة السبعينية كان يطبل على الباب ، وكان ريقه يسيل على لحيته (١ صم ٢١ : ١٣) ، وهذه كانت تعتبر بعض علامات الجنون فى الشرق ، لاسيما ما للحية من إكرام . لقد استخدم رجل الإيمان وسيلة بشرية لخلاصه !!

حسب داود نفسه فى جت كحمامة بكماء بين الغرباء ، ضاقت نفسه جداً ، لم يجد ما يتكلم به لينقذه ، ولا قوة للخلاص ، لا حول له ولا قوة ... لقد اضطر إلى استخدام الوسيلة البشرية المرة ، غير أن قلبه ارتفع نحو الله كما أعلن فى مزموره السادس والخمسين . جاء فى مقدمة المزمور [عنوان لداود عندما أخذه الفلسطينيون (Allophyli معناها « الغرباء ») فى جت (معناها « معصرة »)] . يعلق القديس **أغسطينوس** على هذه المقدمة ، قائلاً بأن ما حدث كان رمزاً لما تحقق مع شخص ربنا يسوع المسيح بن داود الذى أخذه غير المؤمنين — الغرباء — ليجتاز معصرة الصليب .

[كيف أُخذ هنا إلى جت ؟

أُخذ جسده ، الذى هو الكنيسة ، إلى المعصرة .

ماذا فى المعصرة ؟...

إثمار ! العنب الذى يُترك على الكرمة بلا عصر يبدو سليماً لكنه لا يفيض (عصيراً) ، متى أُلقى فى المعصرة وديس وعصر يبدو كأن ضرراً أصابه ، لكن هذا الضرر لا يؤذى (إذ يقدم عصيراً) ...

ليت القديسين الذين يعانون من العصر بواسطة غرباء يدركون هذا المزمور ... وينطقون بكلماته .

« ارحمنى يا الله لأن الإنسان يطأنى » مز ٥٦ : ١ . لا تخف لأن الإنسان يطأك ، فسيكون لك خمر . فيك عنب لكى تُداس (فتنتج عصيراً) .

« اليوم كله محارباً يضايقنى » مز ٥٦ : ١ ، كل شخص غريب عن القديسين يضايقك ...

« اليوم كله » أى فى كل الأزمنة ... لا يقل أحد فى نفسه : وُجدت مضايقات فى أيام آبائنا ، أما في أيامنا فلا توجد . إن ظننت أنك لا تعانى من مضايقات ، فأنت لم تبدأ بعد أن تكون مسيحياً . هنا يظهر صوت الرسول : « جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون » ٢ تى ٣ : ١٢ . إن كنت لا تعانى اضطهاداً من أجل المسيح احذر لئلا تكون لم تبدأ أن تعيش بالتقوى فى المسيح . متى بدأت تعيش بالتقوى فى المسيح تدخل المعصرة ؛ استعد للعصر . لا تكن جافاً لئلا تعجز عن أن تفيض بشيء خلال العصير[١٤٥]] .

إذ أنقذ الله داود من أبيمالك ـــ بعدما تظاهر بالجنون ـــ انطلق مسبحاً ذاك الذى أنقذه قائلا :

« أبارك الرب فى كل حين ...
بالرب تفتخر نفسى ، يسمع الودعاء فيفرحون ...
طلبت إلى الرب فاستجاب لى ومن كل مخاوفى أنقذنى ...
ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم ،
ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب ...
قريب هو الرب من المنكسرى القلوب ويخلص المنسحقى الروح .
كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب .
يحفظ جميع عظامه . واحد منها لا ينكسر ...
الرب فادى نفوس عبيده وكل من اتكل عليه لا يُعاقب » مز ٣٤ .

يعلق **القديس أغسطينوس** على تصرفات داود النبى أمام ملك جت كما جاء فى الترجمة السبعينية « وأخذ يطبل على أبواب المدينة » ١ صم ٢١ : ١٣ قائلاً :

[« وأخذ يطبل » ، لأن الطبلة لا تُعمل إلا بشد الجلد على خشب ؛ داود طبل ليعنى أن المسيح ينبغى أن يصلب . لكنه « أخذ يطبل على أبواب المدينة » . ما هى « أبواب المدينة » إلا قلوبنا التى أغلقت أمام المسيح ، هذا الذى بطبلة صليبه يفتح قلوب الساقطين تحت الموت ؟[١٤٦]] .

+ + +



إذ ترك داود النبى جت ذهب إلى مغارة عدلام ، وجد كل رجل متضايق أو من كان عليه دين وكل رجل مرّ النفس بسبب انحدار حكم شاول وفساده فى داود ملجأ ، إذ جاءوا إليه ليكون رئيساً عليهم ؛ هؤلاء الذين كانوا فى نظر شاول خطيرين وشاردين التصقوا بداود ليصيروا فيما بعد أناساً جبابرة يعملون لحساب المملكة الجديدة .

التصاق هؤلاء الرجال بداود أثار حقد شاول لكى يقتل جميع كهنة مدينة نوب ــ ماعدا أبيأثار الذى أفلت من يده ــ ذلك لأن أخيمالك قدم لداود خبزاً وسيفاً دون علمه بما كان بين شاول وداود .

١ــ داود فى مغارة عدلام ١ــ٤ .

٢ــ ذهابه إلى أرض يهوذا ٥ .

٣ــ شاول يقتل الكهنة ٦ــ٢٢ .

+ + +

١ــ داود فى مغارة عدلام

كان من الصعب على داود الذى خلص شعبه من الأعداء أن يبقى خارج وطنه كمن هو خارج عن القانون ، خاصة أن الله سمح أن يثور أهل جت عليه ليقتلوه ، لذا بدأ يتجه نحو يهوذا لكن فى شيء من التخوف . لقد جاء إلى مغارة بالقرب من مدينة عدلام الكنعانية القديمة ، واختبأ فيها حتى أتاه والداه وإخوته كما اجتمع إليه كثير من المتضايقين ليجدوا فيه رجاءً .

« عدلام »[١٤٧] كلمة عبرية تعنى « ملجأ » ، سكنها الكنعانيون فى أيام يعقوب (تك ٣٨ : ١ــ٢) . وهى إحدى المدن التى كانت من نصيب سبط يهوذا ، يُشار إليها بين بلدتى يرموت وسوكوه (يش ١٥ : ٣٥) . يرى البعض أنها

عين الماء الحديثة ، كانت تدعى « عيد الماء » ، تقع على بعد حوالى ١٢ ميلاً جنوب غربى بيت لحم ، فى وادى إيلة . لا تزال هناك نحو ١٥ مغارة هائلة تسمى مغائر عيد الماء ، من بينها مغارة وادى قريطون بجوار بيت لحم ، وهى المغارة التى سكنها داود ورجاله ، إذ يبلغ طولها حوالى ١٦٠ متراً .

يرى البعض أن موقف داود فى المغارة وبعد ذلك فى وعر حارث (١ صم ٢٢ : ٥) يرمز لموقف رب المجد حين جاء إلى مغارة هذا العالم متجسداً :

(أ) كان شاول الملك المرفوض يسيطر على الشعب ، رمزاً لرئيس العالم — الشيطان — وقد ملك على قلوب الكثيرين (يو ١٤ : ٣٠)

(ب) كان مُلك داود مخفياً بالرغم من مسحه بالدهن المقدس ، ومملكة رب المجد يسوع أيضاً مخفية فى القلوب لا يدركها إلا من آمن به وخضع له .

(جـ) التف حول الملك المتضايقون والذين عليهم دين وكل مرّ النفس ، هكذا اجتمع حول السيد المسيح المتألمون والخطاة المذنبون والعشارون والزناة ليجدوا فيه وفاءً لدينهم وتجديداً لطبيعتهم وعذوبة فى العشرة معه .

(د) كان رجاء من هم حول داود أن يروه ملكاً ، ونحن ننتظر مجىء الرب ليملك إلى الأبد .

(هـ) إذ جاءه أبيأثار بن أخيمالك يروى عليه قصته الأليمة احتضنه ، هكذا ينتظر رب المجد كل نفس هاربة تلجأ إليه ليحفظها آمنة (١ صم ٢٢ : ٢٣) .

(ز) جاء داود إلى المغارة يختفى فيها ، وجاء السيد المسيح كلمة الله مخفياً بناسوته .

إذ هرب داود من شاول إلى مغارة عدلام وضع مذهبة (مز ٥٧) ، جاء فيها :

« ارحمنى يا الله ارحمنى لأنه بك احتمت نفسى ، وبظل جناحيك أحتمى إلى أن تعبر المصائب .

أصرخ إلى الله العلىّ ، الله المحامى عنى .
يُرسل من السماء ويخلصنى .
عيّر الذى يتهممنى (يطأ علىّ) . سلاه ... » مز ٥٧ .

لقد هرب داود من وجه شاول إلى مغارة ليختبىء فيها ، وكان ذلك رمزاً لما صنعه السيد المسيح كما يقول **القديس أغسطينوس** .

[ماذا يعنى الاختباء فى مغارة ؟ اختباء فى أرض . لأن من يهرب إلى مغارة ، يتغطى بأرض كى لا يُرى . أما يسوع فقد حمل أرضاً ، تقبل جسداً مأخوذاً من الأرض ، فيه أخفى نفسه بكونه الله . « لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » ١ كو ٢ : ٨ ... لقد فعل ذلك ليهرب (يسوع) من وجه شاول فى مغارة . يمكن أن تفهم المغارة كمكان سفلى فى الأرض . بالتأكيد كما هو واضح وأكيد للكل ، أن جسده وُضع فى قبر منحوت فى صخرة . هذا القبر هو المغارة التى فيها هرب من وجه شاول . فقد اضطهده اليهود حتى عندما وضع (جسده) فى مغارة ... حتى عندما مات وهو معلق على الصليب طعنوه بحربة (يو ١٩ : ٣٤) . لكن عندما كُفن وتم تجنيزه وضع فى مغارة فلم يعودوا قادرين على عمل شىء للجسد . وإذ قام الرب من المغارة بلا ضرر ولا فساد من ذلك الموضع الذى هرب إليه من وجه شاول ، خافياً نفسه من الأشرار الذين رُمز إليهم بشاول ، أُعلن نفسه لأعضائه ... إذ لمسه أعضاؤه — الرسل — بعد قيامته وآمنوا (لو ٢٤ : ٣٩) ؛ إذ أدركوا أن اضطهاد شاول لم ينفع (المضطهدين)[١٤٨]] .

يقول **القديس جيروم** : [ترمز المغارة للعالم لأن نوره ضئيل جداً إن قورن بنور العالم المقبل ، ومع هذا فبمجىء الرب إلى العالم أناره بكونه هو النور] ؛ [كما دخل داود المغارة هارباً من شاول ، هكذا جاء الرب إلى العالم واحتمل اضطهاداً[١٤٩]] .

ليتنا نحن أيضا إذ تمررت نفوسنا خلال حكم شاول ، أى سقوطنا تحت سلطان عدو الخير إبليس ، نلجأ إلى ابن داود المختبىء فى المغارة . نلجأ إليه فقد جاء إلى عالمنا لينيره بمجد لاهوته الخفى ، واهباً إيانا الاستنارة الداخلية عوض الظلمة ، مقدماً لنا الحياة الجديدة عوض الموت الذى ملك علينا .

لنلجأ إلى مسيحنا فقد دخل مغارة طبيعتنا كى لا نرتعب منه ، بل نجده قريباً منا ، حالاً فى وسطنا بل فى داخلنا ليجدد طبيعتنا فيه ويقدسها ويمجدها ببهاء مجده .

لندخل إلى ابن داود فى المغارة لنجد حوله النفوس المضطهدة والمرة النفس ، هذا هو طريق الملكوت والمجد أن نشارك المتألمين آلامهم ، نقبل سكنى المغارة المظلمة لتدخل بنا إلى بهاء الملكوت الداخلى . لا خلاص خارج الباب الضيق والطريق الكرب مادام مسيحنا يجتاز خلالهما .

أخيراً حوّل داود هذه الطاقات التى كانت تبدو شاردة ومقاومة لكى تصير لبنيان مملكته الجديدة بعدما تحطمت مملكة شاول . لنتقدم إلى ابن داود بطاقاتنا التى نظنها أحيانا محطمة لنا — من عواطف ومشاعر وأحاسيس ومواهب وقدرات — لكى يتسلمها فى المغارة ويقدسها بروحه القدوس فتصير طاقات بنّاءة لحساب ملكوته الجديد .

أما عدد الرجال الذين تجمعوا حول داود ليكون رئيساً عليهم فكان نحو أربعمائة ، هذا الرقم أيضاً يحمل معنى رمزياً . فإن رقم ١٠٠ يشير إلى كمال عدد المؤمنين أما رقم ٤ فتشير إلى العالم بجهاته الأربع وإلى الجسد المأخوذ من التراب أى من الأرض (٤ جهات الأرض) . وكأننا إذ نلتقى بمسيحنا المتجسد ، فى المغارة ، يتحول العالم كما كالجسد إلى بركة لنا ، فلا نرى فى العالم شيئاً غير صالح ولا أيضاً فى الجسد ، فإنه خليقة الله الصالحة . يقول **القديس اكليمندس الاسكندرى** : [الله يحب كل ما خلقه » ، [الله لا يبغض شيئاً ، ولا يحمل عداوة ضد شيء ما] .

٢ــ ذهابه إلى أرض يهوذا

« **فقال جاد النبى لداود لا تقِم فى الحصن ؛ اذهب وادخل أرض يهوذا ، فذهب داود وجاء إلى وعر حارث** » ١ صم ٢٢ : ٥ .

لم نسمع عن جاد النبى إلا فى هذا الموضع وحتى آخر حياة داود حين أحصى الشعب (٢ صم ٢٤ : ١١ــ ١٥) . ساعد فى ترتيب الخدمة الموسيقية فى بيت الرب (٢ أى ٢٩ : ٢٥) ، وكان أحد المؤرخين الذين كتبوا حوادث مُلك داود (١ أى ٢٩ : ٢٩) .

يبدو أن جاد هذا كان أحد تلاميذ صموئيل النبى فى مدرسة الأنبياء ، وأن صموئيل نصح داود أن يكون جاد النبى أو الرائى مرافقاً له ؛ وها هو ينصح داود

ألا يقيم فى الحصن الذى فى موآب بل يذهب إلى أرض يهوذا حيث يواجه المتاعب من أجل شعب الله . وقد كان ذلك لخيره ولبنيان الشعب ، حيث خلص أهل قعيلة من الفلسطينيين (١ صم ٢٣ : ١ ، ٢) كما دافع عن مدن يهوذا (١ صم ٢٧ : ٨ــ١١) فاشتهر ونال ثقة يهوذا ؛ وعندما قُتل شاول كان حاضراً ليخلفه .

كانت الدعوة أن يترك الحصن ويذهب إلى وعر حارث [كلمة وعر تضاد سهل ، لكنها استخدمت هنا عن الغابة ربما لأن السير فيها صعب] ، وهى غابة تقع فى جنوب غربى بيت لحم . إنها دعوة لترك الحصون الآمنة البشرية وقبول طريق الصليب الوعر ، إذ هو طريق المُلك والمجد . يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** :

[الألم هو معلمنا .

إننا لا نجلب الألم على أنفسنا ، إنما نحتمله بشجاعة متى تعرضنا له ، لأنه دائما مصدر خيرات كثيرة[١٥٠]] .

[لا تشته حياة خالية من كل ضيقة ، فإن هذا ليس فيه خيرك[١٥١]] .

٣ــ شاول يقتل الكهنة

إذ رجع داود ورجاله إلى اليهودية بدأت الأخبار تنتشر وأحبهم الكثيرون الأمر الذى أثار غيرة شاول من جديد ، حتى ضاقت نفسه جداً فى داخله ، شعر كأن لا عمل لداود إلا تحطيم مملكته ولا همّ لمن حوله إلا خيانته من أجل المكافأة حتى ابنه وارث عرشه يقف ضده .

إذ كان شاول مقيماً تحت شجرة فى مدينة جبعة فى الرامة [غالباً لا تعنى مدينة الرامة إنما تعنى الأكمة ، أى على مرتفع] وقف أمامه عبيده وقد أمسك بالرمح كصولجان فى يده ، وصار يوبخهم قائلاً : « **اسمعوا يابنياميون . هل يعطيكم جميعكم ابن يسى حقولاً وكروماً ؟! وهل يجعلكم رؤساء ألوف ورؤساء مئات ؟! ١ صم ٢٢ : ٧** .

كشفت هذه الكلمات عن انغلاق قلب شاول ، فمع كونه ملكاً على إسرائيل كله لكنه اختار جميع رجال البلاط وأصحاب المراكز العليا من سبطه وحده ، لذا دعاهم : « اسمعوا يا بنيامينيون » . هذه صورة مؤلمة تكشف عن

قيادة مملؤة أنانية تهتم بما لنفسها وليس بما للجميع . ما أبعد الفارق بين شاول وموسى النبي ، فإن الأخير اختار يشوع بن نون تلميذاً له يتسلم القيادة من بعده وليس أحداً من أولاده .

ما أجمل كلمات **القديس يوحنا الذهبي الفم** إذ يحمل قلبه أبوة للجميع بلا تحيز : [جماعتكم هي إكليلي ؛ كل واحد منكم — في عيني — يساوي المدينة كلها(١٥٢)] .

لعل شاول بسبب عدم إيمانه كان متخوفاً من إقامة عبيد غير بنياميين لئلا يغتصب الملك منه أو من أولاده من بعده . بلا شك إن هذا التحيز أثار متاعب كثيرة في نفسية شيوخ الأسباط الأخرى .

بسبب الحسد لم يحتمل شاول أن يذكر اسم داود لذا سماه « ابن يسى » .

إذ كان شاول طماعاً ومحباً للمجد الباطل بدأ يثير عبيده بأن ابن داود يحرمهم مما تمتعوا به من حقول وكروم ومراكز قيادية ... وهو في هذا يتمثل بعدو الخير الذي يحرض البشرية على الشر خلال الإغراءات المادية والكرامات الزمنية .

تسلطت الظنون على شاول فحسب كل عبيده يقاومونه ، إذ يتهمهم قائلاً : « حتى فتنتم كلكم عليّ وليس من يخبرني بعهد ابني مع ابن يسى ؟! وليس من يحزن عليّ أو يخبرني بأن ابني قد أقام عبدي عليّ كمينا كهذا اليوم ؟! » ١ صم ٢٢ : ٨ .

حين يفقد الإنسان علاقته مع الله مصدر السلام يرى الجميع حوله أعداءً ، يهرب إلى سبعة طرق وليس من عدو خلفه ... أفكاره الداخلية هي التي تطارده وتشتت طاقاته . أما من ينعم بسلام مع الله فيحمل سلاماً في قلبه وسلاماً مع الناس ولا يخاف حتى مقاوميه .

أراد دواغ الأدومي أن يبرر نفسه وزملاءه ، إذ كان الكل خائفين لئلا يفتك بهم شاول ألقى بالمسئولية على رئيس الكهنة قائلاً : « قد رأيت ابن يسى آتياً إلى نوب إلى أخيمالك بن أخيطوب ، فسأل له من الرب وأعطاه زاداً وسيف جليات الفلسطيني أعطاه إياه » ١ صم ٢٢ : ٩ ، ١٠ .

كان دواغ صادقاً فيما قاله لكنه بتر الحقيقة وشوهها ، إذ لم يعرض الحوار

الذى دار بين أخيمالك وداود ليبرر نية أخيمالك ؛ على العكس بتر الحقيقة صور أخيمالك كخائن لشاول يتعمد مساندة عدوه داود . كان يليق به أن يظهر أن أخيمالك حسب داود يقوم بعمل هام بأمر الملك كما سمع من داود ، وأنه قصد خدمة الملك نفسه .

استدعى شاول أخيمالك وجميع بيت أبيه الكهنة لكى ينكل بالجميع ؛ هكذا فعل هامان إذ ازدُرى فى عينيه أن يمد يده إلى مردخاى وحده بل طلب أن يقتل كل الشعب انتقاماً منه (إس ٣ : ٦) .

تحدث شاول مع أخيمالك بأسلوب مهين قائلا : « اسمع يا ابن أخيطوب ... » ، مع أن الكاهن أظهر كل احترام وتوقير للملك ، إذ أجابه : « هأنذا ياسيدى » .

فنّد أخيمالك الاتهام هكذا :

(أ) لم ينكر أنه أعطاه خبزاً وسيفاً وسأل له من الله ، لكنه فعل هذا من أجل أمانة داود له ، وقرابته له كصهر الملك ، ومركزه وكرامته فى البلاط ، إذ قال : « **مَنْ من جميع عبيدك مثل داود أمين وصهر الملك وصاحب سرك ومكرم فى بيتك ؟!** » . سؤال فيه دفاع عن نفسه ويتضمن أيضاً توبيخاً لشاول الذى اتسم بعدم الاستقرار يصاحب ويخاصم بلا تعقل .

(ب) إنه لم يكن على علم بما حدث بينه وبين داود لا فى الأمور الصغيرة ولا الكبيرة .

لم يكن لدى شاول ما يجيب به عليه ، لكن كعادته يأخذ قراره المتسرع كإجابة ظالمة دون استشارة أحد . أصدر الحكم « موتاً تموت يا أخيمالك أنت وكل بيت أبيك » . دخل كخصم وحكم بنفسه ، وطلب من السعاة أن ينفذوا فلم يقبلوا أن يمدوا أيديهم إلى كهنة الرب ، ليكونوا شهوداً على الظلم والعنف وإهانة خدام الرب . أما دواغ الأدومى الذى قدم الاتهام فقام بتنفيذ الأمر وقتل فى ذلك اليوم خمسة وثمانين كاهناً ، ثم ذهب إلى مدينتهم ـــ نوب ـــ ليقتل الرجال والنساء والأطفال والرضعان حتى الحيوانات بحد السيف . صورة بشعة لوثت تاريخ شاول واقشعرت لها كل الأسباط .

لم يخرب شاول مدينة للأعداء بل إحدى مدن شعبه ... هذا ما تفعله الخطية فى حياة الإنسان ، إذ تحطم حياته الداخلية وتفسد طاقاته ومواهبه ، يصير عدواً ومقاوماً حتى لنفسه .

على أى الأحوال تحققت كلمات الرب بخصوص بيت عالى الكاهن (٢ : ٣١) إذ قُتل أخيمالك والكهنة الذين من نسل عالى .

٤ــ نجاة أبيأثار الكاهن

يبدو أن أبيأثار بن أخيمالك لم يذهب مع أبيه وأقربائه إلى شاول إذ بقى لحراسة الخيمة ، وإذ سمع بما حل بأهله هرب إلى داود قبل مجىء دواغ الأدومى (١ صم ٢٢ : ٢٠) . أخبر أبيأثار داود بما حدث ، وكانت إجابة داود النبى : « **أنا سببت لجميع أنفس بيت أبيك ؛ أقم معي ؛ لا تخف ؛ لأن الذى يطلب نفسي يطلب نفسك ولكنك عندى محظوظ** » ١ صم ٢٢ : ٢٣ .

أحد سمات داود التقوية اعترافه بخطئه وإلقاء اللوم على نفسه لا على الآخرين ؛ فكان يمكنه القول بأنه لم يكن يعرف أن دواغ الأدومى هناك عندما ذهب إلى أخيمالك ، وأنه لم يكن يتوقع أن شاول يقوم بقتل كهنة الرب ... كما كان يمكنه أن يهاجم دواغ وشاول على عنفهما ... لكن داود المتضع قال : « أنا سببت لجميع أنفس أبيك » . ما أعذب أن يعترف الإنسان فى أعماق قلبه كما بلسانه : « أخطأت » . ليس شىء أفضل من أن يلقى باللوم على نفسه ، ولا أشر من أن نلقى باللوم على الغير .

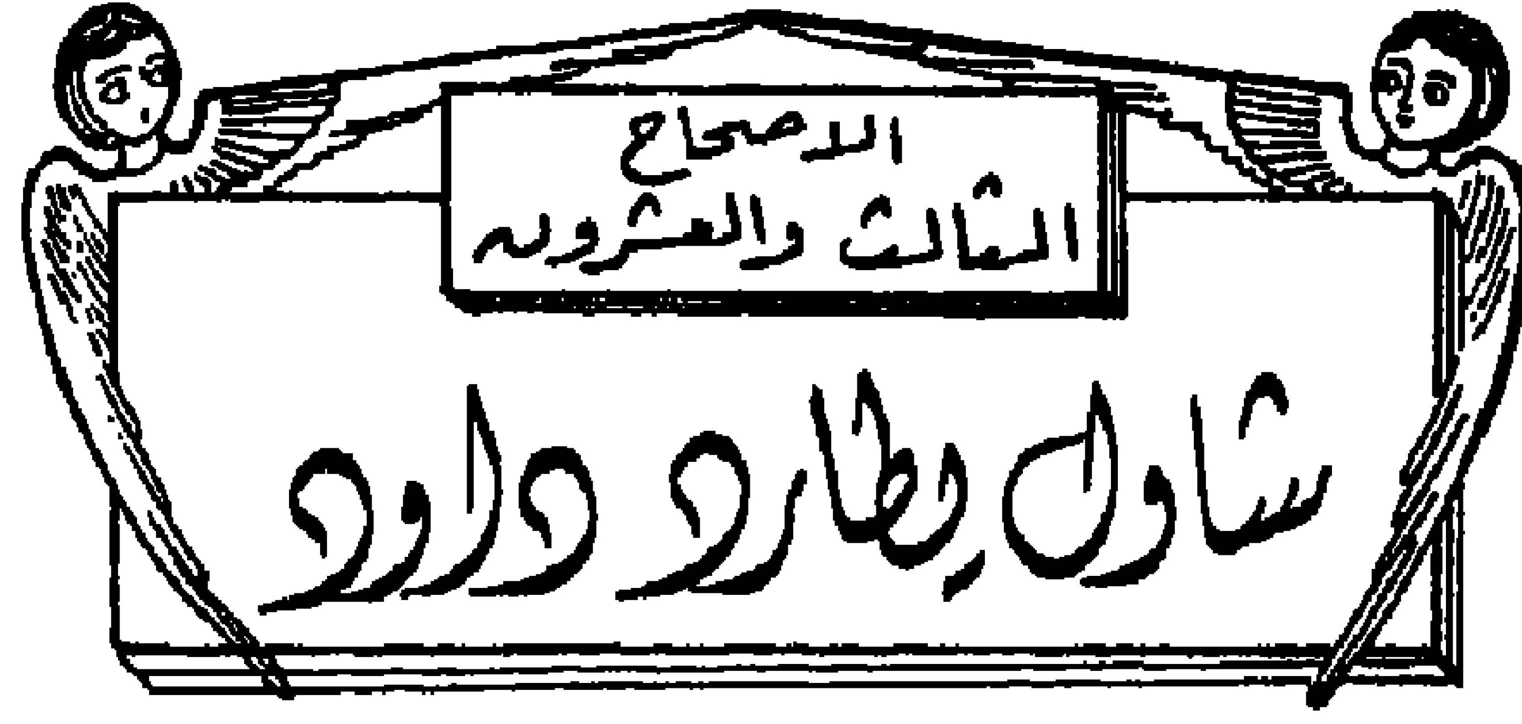
دان داود نفسه ، وحاول علاج الخطأ باحتضان أبيأثار وحمايته ، فصار معه نبياً (جاد) وكاهناً .

اهتم الآباء ــ بفكر إنجيلى ــ أن يتدرب المؤمنون على إدانتهم لأنفسهم لا للغير .

+ إن لم يكن لدى الإنسان الجرأة لكى يلوم نفسه فإنه لن يتردد فى أن يلوم الله نفسه .

الأب دوروثيوس من غزة[١٥٣]

+ + +



هاجم الأعداء قعيلة فتطلع الشعب إلى داود ورجاله القلائل (نحو ستمائة رجل) كملجإ لهم بينما تجاهلوا شاول الملك الرسمى بكل جيشه إذ فقدوا الثقة فيه وخاب أملهم من جهته . لقد أدرك الكثيرون أن داود الطريد يعمل من أجل بناء الجماعة المقدسة بينما شاول الملك لا همّ له إلا مقاومة داود ومطاردته بلا سبب . فإن الأشرار لا يطيقون أولاد الله . وكما يقول **العلامة ترتليان** : إن العالم لا يطيق الكنيسة فيضطهدها بينما تحب الكنيسة العالم وتخدمه .

١ــ داود ينقذ قعيلة	١ ــ١٣ .
٢ــ داود فى برية زيف	١٤ .
٣ــ عهد مع يوناثان	١٥ــ١٨ .
٤ــ شاول يطارد داود	١٩ــ٢٩ .

+ + +

١ــ داود ينقذ قعيلة

سمع داود عن مهاجمة الأعداء لمدينة « قعيلة »[١٥٤] ، وهى مدينة فى سهل يهوذا بالقرب من تخم الفلسطينيين (يش ١٥ : ٤٤) فوق وادى البطم (السنط) ، تبعد حوالى ثلاثة أميال من مغارة عدلام ، وثمانية أميال ونصف شمال غرب حبرون ، تدعى حالياً خربة كيلا .

كلمة « قعيلة » عبرية معناها « قلعة » أو « محاط بسور »[١٥٥] .

لم يتحرك شاول ربما لعجزه عن حراسة مملكته من الأعداء ، إذ ضاعت كل طاقاته الفكرية والنفسية والعسكرية فى التخطيط لقتل داود بسبب الغضب الذى يعكر العينين ، إذ يرى الإنسان أصدقاءه والمعينين له أعداء يلزم مقاومتهم والخلاص منهم ، بينما يتغاضى عن العدو الحقيقى المحطم لحياته .

كان قلب داود ملتهباً بالحب نحو إخوته ، لذا سأل الرب — ربما عن طريق جاد النبى وأبأثار الكاهن — إن كان يذهب ليخلص قعيلة من الأعداء ، فجاءته الإجابة بالإيجاب . وإذ خاف الرجال الذين معه بسبب قلة عددهم ونقص السلاح عاد يسأل الرب ثانية ليتحقق الأمر ، فجاءت الإجابة كالمرة الأولى . تحرك داود ورجاله ليخلصوا قعيلة ويغلبوا الأعداء ويتمتعوا بغنيمة عظيمة .

الآن أدرك داود ورجاله لماذا طلب الرب منهم مغادرة الحصن والذهاب إلى أرض يهوذا ، إذ استخدمهم الرب لخلاص أولاده مهيئاً بذلك الطريق لكى يملك داود .

فقد شاول كل تمييز وحكمة ، فقد كان يليق به أن يستغل فرصة غلبة داود على العدو ليطلب مصالحته فيكون سنداً له ضد الأعداء ؛ لكنه على العكس ظن أن الله قد رفض داود ، إذ قال : « **قد نبذه الله إلى يدى لأنه قد أغلق عليه بالدخول إلى مدينة لها أبواب وعوارض** » ١ صم ٢٣ : ٧ . حسب دخوله إلى قعيلة ، المدينة المحصنة (يش ١١ : ١٣) فرصة إلهية يقدمها الله له ليسلمه عدوه داود . قوله « نبذه الله » فى العبرية تعنى « جعله الله أجنبياً » ، أى صار غريباً مرفوضاً من الله .

إنه لأمر خطير أن يفقد الإنسان روح الحكمة ، فيرى الأمور بمنظار مقلوب ، مضاد للحقيقة ، فماذا يكون الحال إن فقد القائد الروحى هذه الروح ، ليدفع بنفسه كما بقطيع المسيح إلى الهلاك عوض الأمان . لهذا يشترط **القديس يوحنا الذهبى الفم** فى الكاهن : [أن يكون حكيماً ومحنكاً فى أمور شتى ، وأن يكون خبيراً بشئون العالم ليس بأقل من القوم المتصرفين فيه . وفى نفس الوقت متحرراً من العالم أكثر من الرهبان سكان البرارى[١٥٦]] .

ظن شاول أن داود لن يفلت من يده فقد أغلق الرب عليه ، إما أن تسقط المدينة عند المحاصرة أو يسلمه أهلها ، وم يدرك أن الله الذى أعطاه الغلبة على جليات الجبار بحجر أملس صغير قادر أيضا أن يخلصه . لقد دعا شاول جميع الشعب ، أى رجال الحرب ؛ بينما التجأ داود إلى الرب ، إذ طلب من أبيأثار أن يقدم الأفود التى تستخدم عند دخول الكاهن إلى القدس أمام الرب (خر ٢٨ : ٢٩) وعند سؤال الرب فى أمر ما (خر ٢٨ : ٣٠) . بعد سؤال الرب عرف داود

أنه يمكن لشاول أن ينزل قعيلة وأن أهلها يمكنهم أن يسلموه له .

عجيبة هى عناية الله بنا ورعايته الفائقة ، لقد أعطى النصرة لداود ضد الأعداء ليخلص مدينة قعيلة . لكنه طلب منه الهروب منها حتى لا يقتله شاول وهو أضعف من الأعداء ؛ لماذا ؟

(أ) لكى يدرك داود أن نصرته هى من الرب ، به يغلب العدو القوى لكنه بذاته يعجز عن الغلبة على شاول الضعيف ... وكأن الله أراد لداود أن يعيش فى اتضاعه على الدوام .

(ب) لكى لا يدخل فى حرب مع شاول وجيشه فيكون مقاوماً لشعبه ، ويحسب هذا عاراً عليه . الله فى رعايته طلب منه الذهاب إلى قعيلة ليحارب ، وبذات الرعاية طلب منه أن يهرب ليعيش مع رجاله فى البرية كتائهين ، إذ قيل : « **وخرجوا من قعيلة ، وذهبوا حيثما ذهبوا** » .

الله فى عنايته أحيانا يهبنا الغلبة والنصرة ، وبذات العناية يفتح لنا باباً للهروب فى مرة أخرى .

٢ــ داود فى برية زيف

غادر الراعى الأمين من وجه الأجير الذى يهتم بنفعه الخاص ولو على حساب غنم رعيته . وكان الزيفيون أيضاً مستعدين لتسليم داود ، وإذ أرشدوا عن موضعه فى برية معون وكان شاول ورجاله يطاردونه سمح الله بهجوم الوثنيين على المملكة حتى يرجع شاول عن مطاردة داود .

ربما نعطى عذراً لأهل قعيلة لأنها مدينة صغيرة ولم يكن ممكناً لها أن تقف أمام جيش شاول ، أما أهل زيف فخافوا داود وأبلغوا عن موضعه حيث التجأ إلى حصون طبيعية هناك . كان يمكنهم أن يطلبوا من داود أن يفارقهم عن أن يغدروا به .

« زيف » مدينة فى المنطقة الجبلية ليهوذا (يش ١٥ : ٥٥) بالقرب من برية وغابة ، حصّنها رحبعام (٢ أى ١١ : ٨) . تدعى الآن « تل زيف » ، وهى هضبة ترتفع ٢٨٨٢ قدماً فوق سطح البحر ، وتبعد أربعة أميال جنوب شرق حبرون[١٥٧] .

إذ جاء الزيفيون إلى شاول يقولون له : « أليس داود مختبئاً عندنا ؟! » نطق بالمزمور ٥٤ :

« اللهم باسمك خلصنى ، وبقوتك احكم لى .
اسمع يا الله صلاتى ، اصغَ إلى كلام فمى ،
لأن الغرباء قد قاموا علىّ ، وعتاة طلبوا نفسى ،
لم يجعلوا الله أمامهم . سلاه ... » مز ٥٤ .

يرى **القديس أغسطينوس** بأن « زيفاً » معناها « مزخرف » أو « مزدهر » . وكأن الذين خانوا داود كانوا كالعشب الذى يزهو وينمو لكن سرعان ما يذبل . لقد ظن الزيفيون أنهم ازدهروا بخيانتهم داود لكن خطتهم فشلت وهلكوا بينما خرج داود من الضيقات غالباً ومنتصراً .

+ لم تكن خيانتهم لصالحهم ، ولا هى أضرت داود .
+ كان داود فى البداية مختبئاً وأما أعداؤه فكانوا مزدهرين .

لاحظ داود المختبىء فى قول الرسول عن أعضاء المسيح : « قد متم وحياتكم **مستترة** مع المسيح فى الله » كو ٣ : ٣ . كانوا مختبئين (مستترين فى المسيح) فمتى يزدهرون ؟ يقول : « متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد » كو ٣ : ٤ . عندما يزدهر هؤلاء (المستترون فى المسيح) يذبل أولئك الزيفيون .

لاحظ بأية زهرة قورن مجد (الزيفيين) : « كل جسد عشب وكل جماله كزهر (الحقل) » إش ٤٠ : ٦ . ما هى نهايتهم ؟ « ييبس العشب ، ذبل الزهر » . ما هى نهاية داود ؟ لاحظ ما قيل بعد ذلك : « وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد » (راجع إش ٤٠ : ٨) .

أتريدون أن تكونوا زيفيين ؟ إنهم يزهرون فى العالم ويذبلون فى الدينونة ، وإذ يذبلون يلقون فى نار أبدية ؛ أتختارون هذا ؟! ...

لقد كان (ربك) مختبئاً هنا ، وكل الصالحين مختبئين هنا ، لأن صلاحهم داخلى ومخفى فى القلب حيث يوجد الإيمان والحب والرجاء حيث يكون كنزهم ... كل هذه الأمور الصالحة مخفية ، ومكافأتها مخفية . **القديس أغسطينوس**(١٥٨)

٣ــ عهد مع يوناثان

تم اللقاء الأخير بين داود النبى ويوناثان فى وسط المحنة (١ صم ٢٣ : ١٥ــ١٨) . وقد ظل الأخير صادقاً فى حبه وإخلاصه لصديقه داود ، إذ خاطر بحياته ليلتقى به فى وقت بلغت كراهية شاول لداود أشدها .

لم يكن ممكناً ليوناثان أن يقدم شيئاً لصديقه ، فقد جاء خفية بمفرده ، إنما قدم له حبه الذى لا يقدر بثمن . وأعلن له أن سلاحه الوحيد هو معية الله ومواعيده ، طالباً أن يكون هو الثانى بعده ، مقدماً داود أمامه بفرح وسرور ، إذ قيل : « **شدَّد يده بالله ، وقال له : لا تخف لأن يد شاول أبى لا تجدك وأنت تملك على إسرائيل وأنا أكون لك ثانياً . وشاول أبى أيضاً يعلم ذلك** » .

جددا العهد معاً امام الرب ليفترقا إلى غير لقاء فى هذا العالم .

لقد مات يوناثان قبل أن يتبوأ داود العرش ، إذ كان صعباً لا على يوناثان بل على داود نفسه أن ينتزع المُلك من صديق مخلص يضحى بحياته لأجله .

لسنا نعرف ماذا كان يحدث لو أن شاول مات وحده ليبقى داود ويوناثان الحبيبان اللذان ماكانا يتصارعان على استلام العرش ... لكن الله سمح فأراح داود من الدخول فى هذا المأزق .

٤ــ شاول يطارد داود

لا نعرف لماذا غدر الزيفيون بداود فأبلغوا عنه لدى شاول لتسليمه إياه ، هل خوفاً من شاول ؟ كان يمكن أن يطلبوا من داود أن يترك منطقتهم كى لا يحرجوا مع الملك ؛ أم تراهم فعلوا هذا كراهية وبغضة نحو داود ؟!

لقد أخبروا شاول أن داود مختبىء فى حصون الغاب فى تل حخيلة ، حالياً تدعى « بكين » ، وهى رأس مرتفع يشرف على البرية ، خلالها يرى الإنسان شواهق عين جدى والبحر الميت وجبال موآب[١٥٩] .

« حخيلة » معناها « مظلم » أو « كئيب » .

سُر شاول بتصرفهم هذا، وحسبه تصرفاً من قبل الله الذى ينصفه من ظلم داود إذ قال لهم : « **مباركون أنتم من الرب لأنكم قد أشفقتم علىّ** » ١ صم ٢٣ : ٢١ . هكذا فسدت بصيرته فحسب نفسه مظلوماً وداود ظالماً ومفترياً ،

وأنه هو عبد الرب وداود الإنسان المنبوذ من الرب ، لذا فهم مباركون إذ أشفقوا على المظلوم عبد الرب !

طلب منهم أن يتعقبوا آثار رجليه على الرمال ، مشبهاً داود بالوحش البرى ، الذى يتعقبه الصيادون بواسطة أثر أرجله .

أنطلق الزيفيون ووراءهم شاول ورجاله للتفتيش عن داود ، فانطلق داود إلى برية معون [حالياً تدعى معين تبعد حوالى ثمانية أميال جنوبى حبرون (يش ١٥ : ٥٥) ، كانت مسكن نابال (١ صم ٢٥ : ٢) . كلمة « معون » معناها « سكن »] .

ذهب شاول إلى جانب الجبل وداود على الجانب الآخر ، بينهما صخور كثيرة وعرة لا يمكن عبورها . كانا ينظران الواحد الآخر لكن لا يمكن وصول شاول إليه إلا من خلال دوران طويل . أرسل شاول فريقاً من جانب وفريقاً آخر من جانب آخر حتى لا يفلت داود من أيديهم ، فيُحاط من كل ناحية . لكن الله أوجد لداود منفذاً ، إذ جاء رسول إلى شاول يقول : « أسرع وانزل لأن الفلسطينيين قد اقتحموا الأرض » ١ صم ٢٣ : ٢٧ . يُقال إنهم اقتحموا أرضه الخاصة ، لولا ذلك لما تحرك .

دُعى الموضع « صخرة الزلقات » ، إذ فيه زلق شاول أى تعثر فلم يمسك داود .

صعد داود من هناك وأقام فى حصون عين جدى ، وهى حصون طبيعية كالصخور والمغاير ، كانت قبلاً تدعى « حصون ثامار » تك ١٤ : ٧ ، ٢ أى ٢٠ : ٢ ، على الشاطىء الغربى للبحر الميت ، تبعد ٣٥ ميلاً من القدس ، وعلى بعد ميل من شاطىء البحر الميت . ارتفاعها ٤٠٠ قدم عن سطح البحر . لا تزال تسمى عين جدى ، وهو نبع فياض تنحدر مياهه من علو شاهق على جبل صخرى ، أسفله أرض خصبة[١٦٠] .

+ + +



بينما كان شاول ينهار أمام نفسه وأمام الآخرين بلا سبب كان داود يتمجد ؛ ولعل قوته قد تجلت فى أعظم صورها عندما وقع شاول بين يديه وهو يطارده ، وحسب رجال داود أن الوقت قد حان لكى يموت شاول ويملك داود على الشعب (١ صم ٢٤ : ٤) ، أما هو فوجدها فرصة فريدة لتحقيق وصية الله مكتفياً بقطع طرف جبة شاول ، وقد ضربه قلبه على هذا العمل أيضاً » (١ صم ٢٤ : ٥) . وقف داود فى اتضاع مع حزم يوبخ شاول على مطاردته له ، وأحس شاول أن داود لابد وأن يستلم المملكة .

١ـ داود فى كهف عين جدى ١ ـ ١٥ .

٢ـ شاول يتصاغر فى عينى نفسه ١٦ـ٢٢ .

\+ + +

١ـ داود فى كهف عين جدى

هرب داود إلى حصون عين جدى . تبعد عين جدى عن البحر الميت حوالى ٢٠٠ متراً ، الوصول إليها لا يخلو من خطر جسيم ، وهى مأوى للجداء (المعزى) السورية ، ومنها اشتق الاسم « عين جدى » .

ا انتهى شاول من حملة الفلسطينيين على أرضه الخاصة استأنف نشاطه [illegible] فقد انطلق إلى برية عين جدى ومعه ثلاثة آلاف رجا[illegible] انطلق إلى [illegible] الوعول ، وهى صخه[illegible] عزة لا يقدر أحد الو[illegible] [illegible] الحامة) ، فقد [illegible] أن [illegible] مشقة للخلاص من داو[illegible] إلى [illegible] الغنم [illegible] معزى يقيمها الرعاة عند باب كهف تأويها الغنم ليلاً وفى ايام المطر والبرد(١٦١) .

دخل شاول كهفاً كبيراً ليغطى رجليه ، وهو تعبير مهذب للقول « يتبرز » ، حيث كان داود ورجاله جلوساً فى مغابن الكهف (١ صم ٢٤ : ٣) . إذ كان

الكهف مظلماً لم ير شيئاً فيه ، أما داود ورجاله فكانوا فى داخله وقد اعتادوا الظلام فرأوا شاول عند دخوله وعرفوه . كان رجال داود يشيرون عليه أن ينتقم من شاول وهو فى الكهف بمفرده ليأخذ المملكة بالقوة، وأن هذه الفرصة هى من قبل الله . قالوا له : « **هوذا اليوم الذى قال لك عنه الرب هأنذا أدفع عدوك ليدك فتفعل به ما يحسن فى عينيك** » ١ صم ٢٤ : ٧ . رفض داود هذه المشورة فإن الله لم يطلب منه أن يتعامل معه كعدو ، إنما قال صموئيل لشاول : « قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه » ١ صم ١٣ : ١٤ ، « يمزق الرب مملكة اسرائيل عنك اليوم ويعطيها لصاحبك الذى هو خير منك » ١ صم ١٥ : ٢٨ . واضح أن الله لم يدعُ داود ليفعل بشاول ما يريد كعدو له ، بل اختاره ملكاً عوضاً عنه من أجل نقاوة قلبه .وأنه أفضل من شاول ، يعامله كصاحبه .

يبدو أن داود ورجاله انتظروا حتى يأخذ شاول ركناً فى المغارة ليستريح وينام ، عندئذ مدّ داود يده ليقطع طرف جبة شاول . لكنه لم يحتمل هذا التصرف اذ خشى أن يكون بهذا قد أساء إلى مسيح الرب ، فصارت ضربات قلبه تتزايد . يقول **القديس أغسطينوس** : [كان خائفاً لئلا يُتهم بأنه اقتحم سراً عظيماً فى شاول لأنه تحرّش بثوبه ، لذلك كُتب : « إن قلب داود ضربه على قطعه طرف جبة شاول » أما الرجال الذين معه إذ نصحوه أن يحطم شاول فخلصهم بقوله لهم : « حاشا لى من قبل الرب أن أمد يدى على مسيح الرب » . هكذا أظهر تقديراً عظيما لظل الأمور المقبلة ؛ هذا التقدير ليس من أجل ما حدث معه وإنما من أجل ما ترمز إليه[١٦٣]] .

أنقذ داود شاول من أيدى رجاله الذين طلبوا قتله ليملك رئيسهم داود ، وإذ صمت الكل انتظر داود حتى يخرج شاول من الكهف ليخرج من بعده وفى اتضاع نادى وراءه قائلاً : « **يا سيدى الملك !** » . ولما التفت إليه « **خرّ داود على وجهه إلى الأرض وسجد** » . ياللعجب ! كان شاول شريراً ترك كل أعمال المملكة ليكرس طاقاته لقتل داود ، أما داود فينقذ حياته ، ويكرمه ويسجد له وهو غير مستحق للإكرام .

داود النبى فى اتضاع يسجد أمام ملك مرفوض حتى الأرض ليكسر كبرياءه بينما يخجل الكثيرون من السجود أمام قديسين علامة توقير ، أما سجود العبادة فلا يليق تقديمه إلا لله وحده .

ارتفع داود فى عينى الله والناس باتضاعه ، إذ يقول لشاول : « **وراء من خرج ملك إسرائيل ؟! وراء من أنت مطارد ؟ وراء كلب ميت ! وراء برغوث واحد !** » ١ صم ٢٤ : ١٤ . يقول **الأب دوروثيؤس** : « الاتضاع هو الذى يخلصنا من حيل العدو كلها ... لا يوجد ما هو أقوى من الاتضاع » ، [حقا يا إخوة طوبى لمن كان له اتضاع حقيقى(١٦٣)] .

مع اتضاع داود الشديد وانسحاقه حتى أمام ملك مرفوض وهو يعلم أنه يستلم الحكم منه نراه أيضاً الإنسان الحازم الصريح والشجاع . فقد أظهر نفسه لشاول لا فى داخل المغارة حين كان شاول فى قبضة يده فى ضعف شديد ، وإنما بعد خروجه من المغارة ليؤكد له أنه لا يخشى غدره ولا رمحه . فى صراحة كشف له كذب مشيريه الذين يحرضونه ضده مدعين أنه يطلب قتله . كما أعلن له أنه لا يخافه ولا يمد يده إليه إذ ترك الله الديان يقضى له .

فى قوة وصراحة يقول :

« لماذا تسمع كلام الناس القائلين هوذا داود يطلب أذيتك ؟!

هوذا قد رأت عيناك اليوم هذا كيف دفعك الرب اليوم ليدى فى الكهف ، وقيل لى أن أقتلك ، ولكننى أشفقت عليك ، وقلت لا أمد يدى إلى سيدى لأنه مسيح الرب ...

اعلم وانظر أنه ليس فى يدى شر ولا جرم ولم أخطىء إليك وأنت تصيد نفسى لتأخذها .

يقضى الرب بينى وبينك وينتقم لى الرب منك ولكن يدى لا تكون عليك .

كما يقول مثل القدماء : من الأشرار يخرج شر .

ولكن يدى لا تكون عليك » ١ صم ٢٤ : ٩-٣١ .

لقد أعطيت له الفرصة لينتقم لكنه لم يفتل إذ لم يرد أن يمد يده على مسيح الرب ، ولأن قلبه ليس شريرا ليخرج شراً ، إنما ترك الأمر بين يدى الله الذى يسمح للأشرار أن يمدوا يدهم بالشر عليه انتقاماً لداود .

إننا نحيّى شخص داود النبى الذى قابل مطاردة شاول له المستمرة بالسماحة الحقة ، حتى قال **القديس يوحنا الذهبى الفم** عنه : [نعم ، لقد ارتفع فوق

الناموس القديم واقترب إلى الوصايا الرسولية[١٦٤]] . وكأنه مارس الوصية الإنجيلية الخاصة بمحبة الأعداء وهو تحت الناموس . ويقول **القديس أمبروسيوس** : [أى عمل تقوى هذا إذ رغب داود أن يستبقى حياة الملك عدوه مع أنه كان قادراً أن يؤذه ! كم كان هذا نافعاً لهّ ، إذ ساعده عندما تولى العرش ! فقد تعلم الكل أن يكون أميناً لملكهم وألا يغتصب أحد الملك بل يهاب الملك ويكرمه[١٦٥]] .

٢ـ شاول يتصاغر فى عينى نفسه

لم يحتمل شاول المملوء حسداً وبغضة ، قاتل الكهنة بلا سبب ، أن يسمع صوت داودِ المملوء اتضاعاً ، وأن يواجه سماحته العجيبة ، لذا تصاغر شاول جداً فى عينى نفسه ، إذ نراه :

(أ) يدعو داود ابنه ، قائلاً : « **أهذا صوتك يا ابنى داود** » ١ صم ٢٤ : ١٦ . لقد دعاه داود « سيدى الملك » ، « انظر يا أبى » ١ صم ٢٤ : ٨ ، ١١ . أمام هذا الاتضاع المملوء وداعة ولطفاً دعاه شاول « ابنى داود » ، مع أنه كان فى أغلب الأوقات لا يقدر أن ينطق اسمه بل يدعوه « ابن يسى » ١ صم ٢٢ : ٧ ، ٨ ، ١٣ ...

لأول مرة يدعوه ابناً له ، إذ شعر أنه غير مستحق أن يدعوه داود « أباً » له .

(ب) شاول الجبار القادم ومعه ٣٠٠٠ رجل حرب يرفع صوته ويبكى ! شعر بالضعف الشديد والحقارة فتفجرت دموعه وعلت صرخاته ؛ لقد ضاقت به الدنيا جداً وشعر بأنه وضع نفسه فى فخ وشرك وليس من ينقذه !

(جـ) شعر شاول بشره ، هذا الذى سبق أن تحدث مع أهل زيف كمن هو مظلوم أمام داود (١ صم ٢٣ : ٢١) . وإذ قارن نفسه بداود قال : « أنت أبر منى ، لأنك جازيتنى خيراً لأن الرب قد دفعنى بيدك ولم تقتلنى » ١ صم ٢٤ : ١٨ .

(د) أدرك شاول بأن المُلك لابد أن يخرج من يديه ليتسلمه داود الذى ينجح فى طريقه . « والآن فإنى علمت أنك تكون ملكاً وتثبت بيدك مملكة إسرائيل ، فاحلف لى الآن بالرب إنك لا تقطع نسلى من بعدى ولا تبيد اسمى من بيت أبى » ١ صم ٢٤ : ٢٠ ، ٢١ . لقد تأكد أن ما سمعه من صموئيل النبى سيتحقق (١ صم ١٥ : ٢٨) .



فى الأصحاح السابق سقط شاول العنيف بين يدى داود الوديع المتضع فأبت نفسه أن تصنع به سوءاً ، والآن إذ رفض نابال فى حماقة أن يقدم عطية لغلمان داود الذين حرسوا غنمه ، ساباً إياهم ، صمم داود أن ينتقم منه (ضعف بشرى !) ، فأرسل الله له إمرأة حكيمة ترده عن الانتقام لنفسه ، وقد استجاب النبى لمشورتها (وداعة !) .

١ــ موت صموائيل النبى	١ .
٢ــ حماقة نابال	٢ ــ١٣ .
٣ــ حكمة أبيجايل	١٤ــ٣١ .
٤ــ داود يمتدح أبيجايل	٣٢ــ٣٥ .
٥ــ داود يتزوج أبيجايل	٣٦ــ٤٤ .

+ + +

١ــ موت صموئيل النبى

بعد فترة جهاد طويلة ــ إذ دُعى صموئيل وهو فى الثانية عشرة من عمره ، وبقى يخدم الرب وشعبه بكل أمانة حتى بلغ التسعين من عمره ــ مات ، فاجتمع جميع إسرائيل وندبوه كما ندبوا موسى النبى (تث ٣٤ : ٨) ودفنوه فى الرامة على مرتفعات بنيامين ، غالباً فى فناء بيته أو البستان الملحق به ، إذ لم يكن ممكناً دفنه داخل مبنى البيت لأن ذلك يُحسب نجاسة (عد ١٩ : ١٦) .

تُرى هل التقى داود بشاول ويوناثان ؛ لأنه غالباً ما يُنادى بعفو شامل فى مثل هذه المناسبات ، وقد جاء داود ليشترك فى توديع معلمه وأبيه الروحى وصديقه الحق والسند الوداع الأخير . غالباً لم يقدر أن يقترب من شاول إلا فى حدود مراسيم وواجبات الجنازة .

٢ـ حماقة نابال

إذ انتهت مراسيم الجنازة نزل داود إلى برية فاران (١ صم ٢٥ : ١) ، وهى برية متسعة تكاد تكون مقفرة من السكان ، جنوب اليهودية ، يحدها شرقاً أرض أدوم وجنوباً برية سيناء وغرباً برية شور .

جاء فى الترجمة السبعينية أنه ذهب إلى « معون » ، وهى تبعد نحو ميل واحد عن الكرمل وثمانية أميال جنوب حبرون .

وجود داود ورجاله فى المنطقة كان باعثاً للسلام والطمأنينة خاصة بالنسبة للرعاة إذ كانوا يتعرضون لهجمات العمالقة والفلسطينيين ، بجانب هجمات الحيوانات المفترسة . كان داود ورجاله أشبه بسور يحمى المراعى هناك خاصة مراعى نابال الذى كان غنياً جداً ، له ثلاثة آلاف من الغنم وألف من الماعز. وقد عبر رعاته عن دَيْنِهم لداود ورجاله بحمايتهم لهم ، إذ قال أحدهم : « الرجال محسنون إلينا جداً فلم نؤذ ولا فُقد منا شىء . كل أيام ترددنا معهم ونحن فى الحقل ، كانوا سوراً لنا ليلاً ونهاراً كل الأيام التى كنا فيها معهم نرعى الغنم » ١ صم ٢٥ : ١٥ ، ١٦ .

أما اسمه « نابال » فعبرى معناه « جاهل » مز ١٤: ١ . وكما قالت زوجته أبيجايل عنه لداود كى تصرف عنه غضبه : « لأن كاسمه هذا هو ؛ نابال اسمه والحماقة عنده » ١ صم ٢٥ .

مسكينة هذه الزوجة التى اقترنت برجل اتسم بالحماقة والجهالة . اضطرت أن تعترف بحماقته فى مرارة نفس ، لتنقذه وتنقذ حياتها وأيضا تخلص داود من غضبه ورغبته للانتقام لنفسه . ليتنا نحن أيضا إذ قبلنا الجهالة قريناً لنا نعترف بذلك أمام ابن داود مخلص نفوسنا « الحكمة » ذاته ليحل فى قلوبنا نازعاً ظلمة الجهل من أعماقنا .

يحذرنا سليمان الحكيم فى سفر الأمثال من الجهل قائلاً :

« الابن الحكيم يسر أباه والابن الجاهر حُزْن أمه ...

الحكماء يذخرون معرفة ، أما فم الغبى فهلاك قريب ...

فعل الرذيلة عند الجاهل ضحك » أم ١٠ ١ : ١ــ٢٣ .

للأسف كان هذا الرجل الأحمق من نسل كالب الذى سكن حبرون وما جاورها (يش ١٥ : ١٣) ، أى جاء عن أصل شريف ، لكن الأصل لا يشفع فيه ، إذ قيل عنه : « وأما الرجل فكان قاسياً وردىء الأعمال » ١ صم ٢٥ : ٣ .

سمع داود أن نابال يجز غنمه (١ صم ٢٥ : ٤) ، وكان هذا الوقت يُحسب وقت فرح وأكل وشرب وعطاء بسخاء ، لذا أرسل إليه داود يقول له : « حييت وأنت سالم وبيتك سالم وكل مالك سالم ، والآن قد سمعت أن عندك جزازين . حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم ولم يُفقد لهم شيء كل الأيام التى كانوا فيها فى الكرمل . اسأل غلمانك فيخبرونك ــ فليجد الغلمان نعمة فى عينيك لأننا قد جئنا فى يوم طيب . فأعطِ ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود » .

لقد خدموا نابال إذ حفظوا ماله من الوحوش واللصوص دون مقابل ، ولم يرد داود أن يأخذ شيئاً بغير رضاه . لذا أرسل فى هذه المناسبة يطلب ما تجود به يده ، وقد طلب بأدب ووداعة كابن يتحدث مع أبيه . وقد طلب من رسله ألا يزيدوا شيئاً عن كلامه (١ صم ٢٥ : ٩) حتى لا يخطىء واحد منهم بكلمة فظَّة فتنسب لداود .

قابل نابال هذا اللطف بغلاظة قلب وإساءة إذ تجاهل السبب الذى لأجله يعيش داود طريداً ، معللا ذلك بأقسى الألفاظ ، حاسباً إياه إنسانا متمرداً على سيده الملك ، فلا يستحق خيراً لأنه خارج عن القانون (١ صم ٢٥ : ١٠ ، ١١) .

كشف أسلوب إجابته عن طمعه ، إذ يقول : « أآخذ خبزى ومائى وذبيحى الذى ذبحت لجازىّ وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم » ١ صم ٢٥ : ١١ .

إذ سمع داود من غلمانه ما قاله نابال أدرك كيف تحدث باستخفاف محتقراً إياه ، كما شعر أنه طماع ظلم غلمان داود الذين قاموا بحراسته بأمانة وشجاعة . ثار داود وغضب ، فطلب من رجاله أن يتقلد كل واحد سيفه وتقلد هو أيضاً سيفه وخرج معه حوالى ٤٠٠ رجل وترك مائتين مع الأمتعة .

داود الذى اتسم بضبط النفس والاتضاع ، الآن فى لحظات ضعفه كاد أن يقترف جريمة لو تمت لأحزنت قلبه كل بقية أيام حياته ، ولصارت عثرة لشعبه عندما يتولى الحكم .

٣ــ حكمة أبيجايل

إن كانت حماقة نابال كادت تؤدى إلى هلاكه ، فإن حكمة أبيجايل هدأت قلب داود كى لا ينتقم لنفسه ، وأزالت الهلاك المدبر لها ولرجلها بواسطة رجال داود ، وأهلتها لتصير زوجة داود الملك والنبى .

قيل عنها : « **وكانت المرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة** » ١ صم ٢٥ : ٣ . كانت جيدة الفهم ، أى مملوءة حكمة ، وقد طبعت هذه الحكمة انعكاساً على ملامح وجهها فكانت جميلة الصورة . حقاً توجد نساء جميلات الصورة لكنهن بغير الحكمة يفقدن قيمة هذا الجمال ، بل يتحول الجمال إلى تحطيم لشخصياتهن وحياتهن .

ما أحوجنا أن تكون الحكمة طبيعتنا فى كياننا الداخلى مقترنة بجمالنا فى الخارج ، أى نحمل قدسية الإنسان الداخلى وقدسية الجسد أيضاً بأحاسيسه ومشاعره ومواهبه وكل طاقاته . هذه الحكمة (أو المعرفة أو الفهم) هى هبة إلهية .

+ الروح القدس الذي فيه كل أنواع المواهب ، يهب البعض كلمة حكمة[١٦٦] .
+ خلال قيادة الروح يأتى الإنسان إلى معرفة طبيعة كل الأشياء[١٦٧] .
+ أرسل نورك (مز ٤٣ : ٣) ؛ هذا النور المرسل من الآب إلى ذهن المدعوين للخلاص هو الفهم خلال الروح ، الذى يقود الذين استناروا بالله[١٦٨] .

العلامة أوريجانوس

+ ليست معرفة بدون إيمان ، ولا إيمان بدون معرفة ... الابن هو المعلم الحقيقى .

القديس اكليمندس الاسكندرى[١٦٩]

« أبيجايل » كلمة عبرية مشتقة من كلمتين تعنيان « أب » (أو « مصدر ») ، « الفرح » ... وكأن الحكمة هى مصدر الفرح الحقيقى لا للإنسان الحكيم وحده وإنما أيضاً لعائلته ولمن حوله . يقول سليمان الحكيم : « الابن الحكيم يسر أباه والابن الجاهل حزن أمه » أم ١٠ : ١ .

« الحكمة خير من القوة والحكيم أفضل من الجبار » حك ٦ : ١ .

يحدثنا الكتاب المقدس عن الحكمة ليس فقط كعطية إلهية وإنما بالحرى هى أقنوم إلهى يتعامل معنا ونحن معه فى علاقات شخصية متبادلة :

(أ) الحكمة كخالق : « أى شيء أثمن من الحكمة صانعة الجميع ؟! » حك ٨ : ٥ .

(ب) الحكمة تنادى وتحب : « ألعل الحكمة لا تنادى والفهم ألا يعطى صوته . عند رؤوس الشواهق عند الطريق بين المسالك تقف ... أنا أحب الذين يحبوننى والذين يبكرون إلىّ يجدوننى ... كنت عنده صانعاً وكنت كل يوم لذته فرحه دائماً قدامه » أم ٨ : ١ ، ٢ ، ١٧ ، ٣٠ .

« الحكمة بنت بيتها ، نحتت أعمدتها السبعة ، ذبحت ذبحها ، مزجت خمرها ، أيضاً رتبت مائدتها ... قالت له : « هلموا كلوا من طعامى واشربوا من الخمر التى مزجتها » أم ٩ : ١ــ٥ .

نتحد بها وهى تجعلنا أصدقاء الله : « لقد أحببتها والتمستها منذ صباى وابتغيت أن أتخذها لى عروساً ، وصرت لجمالها عاشقاً ... عزمت أن أتخذها قرينة لحياتى ... » حك ٨ : ٢ ، ٩ .

« وفى كل جيل تحل فى النفوس القديسة فتنشىء أحباء الله وأنبياء ، لأن الله لا يحب أحداً إلا من يساكن الحكمة » حك ٧ : ٢٧ ، ٢٨ .

لقد عرف الغلمان أن أبيجايل اتسمت بالحكمة على خلاف رجلها نابال الأحمق ، لذا جاء أحدهم اليها يخبرها بما حدث قائلاً :

« هوذا داود أرسل رسلاً من البرية ليباركوا سيدنا فثار عليهم . والرجال محسنون إلينا جداً فلم نؤذَ ولا فُقد منا شيء كل أيام ترددنا معهم ونحن فى الحقل .

كانوا سوراً لنا ليلاً ونهاراً ...
والآن اعلمي وانظري ماذا تعملين لأن الشر قد أُعد على سيدنا وعلى أهل بيته وهو ابن لئيم لا يمكن الكلام معه » ١ صم ٢٥ : ١٤—١٧ .

هذا الحديث الصريح الذى فيه يتحدث الغلام بأدب واحتشام لكن فى صراحة يصف رجلها كابن لئيم يكشف عن جانبين فى حياة أبيجايل وهى ثقة الكل فيها وفى حسن تدبيرها من جهة وتقديرها لكل إنسان،لذا لم يخف الغلام من دعوة رجلها كأبن لئيم ، إذ يعرف أنها تجيد الاستماع وتسمع بحكمة لكل كلمة فى غير غطرسة أو عجرفة ، الأمر الذى ينقص الكثيرين فى تعاملهم ليس فقط مع مرؤوسيهم وإنما حتى مع أولادهم .

يكشف الحديث أيضا عن دور داود ورجاله فى المنطقة إذ حسبهم الغلمان سوراً لهم . فإن حماية ثلاثة آلاف من الغنم وألف من الماعز فى منطقة واسعة من البرية يهاجمها عنفاء كالعمالقة والجشوريين والجرزيين (١ صم ٢٧ : ٨) ليس بالأمر السهل .

لقد أدرك داود النبى أن الله سوره وملجأ له ، لذا لا يكف عن أن يكون هو سوراً للآخرين ، يرد حب الله بحبه لخليقته المحبوبة لديه أى بنى البشر .

الله سور لنا ، يحمينا من ضربات العدو ويستر على ضعفاتنا ، هكذا يليق بنا أن نكون سوراً للآخرين ، نسند ضعفاء النفوس (٢ كو ١١ : ٢٩ ؛ رو ١٥ : ١ ؛ ١ تس ٥ : ١٤) ، نستر أيضاً ضعفاتهم بالحب ولا ندينهم . يقول **الأب دوروثيؤس** : [فى كلمة — كما سبق أن قلت — يليق بكل أحد أن يعين الغير قدر استطاعته لأنه كلما اتحد الإنسان مع قريبه يتحد بالأكثر مع الله(١٧٠)] .

إذ سمعت أبيجايل كلام الغلام لم تحتد عليه لأنه تدخل فيما لا يعنيه ولأنه دعا رجلها كابن لئيم ، ولا ناقشت الأمر ، إذ كان الوقت مقصراً والحاجة ماسة للعمل السريع بحكمة . لقد أخذت من الخيرات مئتى رغيف خبز وزقى خمر وخمسة خرفان مهيأة وخمس كيلات من الفريك ومئة عنقود من الزبيب . ومئتى قرص من التين ووضعتها على الحمير وطلبت من غلمانها أن يعبروا قدامها ، ولم تخبر نابال رجلها بما فعلت .

كان داود فى ثورته يتحدث مع رجاله ، وقد أقسم : « هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد إن أبقيت من كل ماله إلى ضوء الصباح بائلاً بحائط » ١ صم ٢٦ : ٢٢ ، أما هى فبحكمتها قدمت أمامها هدية مادية من الخيرات (أم ١٧ : ٨ ؛ ١٨ :٦) ، وقدمت اتضاعاً إذ نزلت عن الحمار وسقطت أمامه على وجهها وسجدت إلى الأرض عند رجليه ، كما قدمت جواباً ليناً يصرف الغضب (أم ١٥ : ١) ، إذ قالت له :

« علىّ أنا يا سيدى هذا الذنب ودع أمتك تتكلم فى أذنيك واسمع كلام أمتك .

لا يضعن سيدى قلبه على اللئيم هذا نابال لأن كاسمه هذا هو ...

وأنا أمتك لم أرَ غلمان سيدى الذين أرسلتهم ...

والآن يا سيدى حىّ هو الرب وحية هى نفسك إن الرب قد منعك عن إتيان الدماء وانتقام يدك لنفسك ...

واصفح عن ذنب أمتك لأن الرب يصنع لسيدى بيتاً أميناً ، لأن سيدى يحارب حروب الرب ولم يوجد فيك شر كل أيامك .

وقد قام رجل ليطاردك ويطلب نفسك ، ولكن نفس سيدى لتكن محزومة فى حزمة الحياة مع الرب إلهك وأما أنفس أعدائك فليرم بها كما من وسط كفة المقلاع .

ويكون عندما يصنع الرب لسيدى حسب كل ما تكلم به من الخير من أجلك ويقيمك رئيساً على إسرائيل ، أنه لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب لسيدى ، أنك قد سفكت دماً عفواً أو أن سيدى قد أنتقم لنفسه .

وإذا أحسن الرب إلى سيدى فاذكر أمتك » ١ صم ٢٥ : ٢٤—٣١ .

ما أحكم هذه السيدة وما أعذب كلامها ، فقد كشفت عن روحها الداخلية التى اتسمت بالاتضاع إذ بدأت تعترف بخطئها أو ذنبها الذى لم ترتكبه بإرادتها إنما بكونها شريكة حياة رجل أحمق يخطىء فيسىء إلى البيت كله . اعتذرت فى رقة أنها لم تر غلمان داود لتعطيهم من خيرات الله لها . كما اتسمت بالإيمان فحسبت شاول مرفوضاً إذ دعته « رجلاً » وليس « ملكاً » بينما نظرت إلى داود

كرئيس وملك فى طريقه لاستلام العرش . اتسمت أيضا بالحكمة ففى لطف ذكّرت داود بالآتى :

(أ) أنه لا يليق به مقاومة رجل لئيم كنابال ... فإن داود أسمى وأعظم من أن يمد يده إلى مثل نابال .

(ب) أن الله هو الذى أرسلها كى لا ينتقم لنفسه ، فهو رجل عام ذو نفس كبيرة يعمل لحساب الجماعة لا لحساب نفسه .

(جـ) أن شاول قام وحاربه لكن الله حفظ نفسه كما فى حزمة (صرة) ، أما اعداؤه فيلقون كحجارة من وسط المقلاع ... فلماذا الآن يدافع عن نفسه ؟

(د) أنه مهتم أن يحارب حروب الرب ، فلا يليق به أن يهتم بهذه الصغائر .

(هـ) أنه سيستلم المُلك على كل الشعب ، فليعمل كملك يهتم بشعبه ولا يعثرهم بالانتقام لنفسه .

(و) أنه يملك ، لذا تطلب الا ينساها عندما ينال هذه الكرامة ... وكأنها تقول له إن عيون الكل إليك كملك تنتظر منك إحساناً فلا تنشغل بغير هذا .

يمكننا القول إن الله سمح لأبيجايل أن تتدخل كى لا يخطىء داود لسببين :

(أ) أن داود نقى القلب احتمل شاول فى اضطهاده له مرات كثيرة ، لهذا إذ يضعف داود يسرع الرب فيحدثه بطريق أو آخر . لم تأتِ أبيجايل إليه مصادفة ، إن صح التعبير ، وإنما مجيئها بتدبير إلهى ؛ نظر الرب إلى قلبه وطول أناته فلم يرد له السقوط .

(ب) اتسم داود بالاتضاع فلم يستنكف من قبول مشورة من الآخرين مادامت بفكر روحى سليم . هنا تبرز حكمة داود الملتحمة بحكمة أبيجايل ، إذ قبل المشورة ومدحها وقام بتنفيذها ، بالرغم من قسمه الذى حلف به أمام رجاله . وكما يقول الأب يوسف : [لقد فضل (داود) أن يكون كاسراً لكلمته عن أن يحفظ وعده المرتبط بالقسوة(١٧١)] .

٤ــ داود يمتدح أبيجايل

شعر داود النبى أن ما قامت به أبيجايل هو رسالة إلهية مملوءة حكمة ، فقال

لها : « مبارك الرب إله اسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم لاستقبالى ... لقد سمعت لصوتك ورفعت وجهك » ١ صم ٢٥ : ٣٢ــ٣٥ .

لا أعرف هل أمتدح أبيجايل التى ردت رجلاً عظيماً كداود عن ارتكاب جريمة أم أمدح داود الذى قبل المشورة وامتدحها ؟! ان كان قد تتلمذ على يدى صموئيل النبى التقى فقد قيل إن أبيجايل أيضا تتلمذت على يديه فحمل الاثنان روح الحكمة الممتزجة بالاتضاع والورع .

ليتنا نتمثل بداود إذ لم يعتمد على رأيه الذاتى بل قبل مشورة الغير :

+ يستحيل على إنسان يتمسك بحكمه الخاص وفكره الذاتى أن ينكر نفسه ...

+ الذى لا يتشبث بإرادته الذاتية ينال دائما ما يريده . فمن الخارج لا يسلك طريقه الذاتى لكن ما يحدث ــ أيا كان الأمر ــ أنه ينال شبعاً كافياً ويكتشف أمام نفسه أن ما حدث يحقق ارادته .

+ إننى أعرف أنه لا يحدث سقوط لراهب سوى من اعتدّ بآرائه .

ليس شيء يدعو إلى الأسى ــ ولا ما هو أكثر خطورة ــ من أن يكون الإنسان مرشداً لنفسه .

الأب دورويثوس[١٧٢]

+ استعد المحاربون للانتقام من نابال ، لكن أبيجايل صدتهم بتوسلاتها . من هنا ندرك أنه يلزمنا ليس فقط أن نخضع لتوسلاتهم (الصالحة) فى الوقت المناسب ، بل ونسر بها . هكذا كان داود إذ سُرّ بمن توسطت لديه وباركها ، لأنه مُنع من الرغبة فى الانتقام لنفسه .

القديس أمبروسيوس[١٧٣]

هكذا كانت أبيجايل حكيمة فى توبيخها وكان لداود الأذن الصاغية ، وكما يقول سليمان الحكيم : « قرط من ذهب وحلىّ من إبريز الموبخ الحكيم لأذن سامعة » أم ٢٥ : ١٢ ، وكما يقول داود نفسه : « ليضربنى الصديق فرحمة ، وليوبخنى فزيت للرأس » مز ١٤١ : ٥ .

٥ـ داود يتزوج أبيجايل

انتهت القصة بموت نابال بعد حوالى عشرة أيام بسكتة قلبية ، ربما بسبب الضيق الداخلى والكآبة ثم تزوج داود أبيجايل .

عادت أبيجايل لتجد نابال رجلها قد أقام وليمة كوليمة الملوك (١ صم ٢٥ : ٣٦) ، يسرف بلا حساب من أجل الترف بينما رفض تقديم القليل لمن يستحقون . ظن أن الوليمة تسعده ، لكنه إذ سكر جداً زاد حماقة ، ولم يسعد بشيء .

إذ عرف داود بموت نابال أدرك أن يد الله قد امتدت لتعمل وتضرب من أساء إليه دون أن يخطىء هو إليه . طلب أبيجايل زوجة ، فقبلت فى الحال بغير حوار وفى اتضاع ، إذ قامت وسجدت على وجهها إلى الأرض أمام رسل داود . وقالت : « **هوذا أمتك جارية لغسل أرجل عبيد سيدى** » . قبلته وهو وسط الضيق لترافقه أيام مجده .

جاء زواج داود بأبيجايل بعد موت صموائيل النبى وأيضا رجلها الأحمق نابال ... هذا الزواج يمثل اتحاد السيد المسيح بكنيسته أبيجايل الحقيقية ، صارت فيه مصدر الفرح الداخلى . فإنه ما كان يمكن لأبيجايل أن تتحد بعريسها السماوى إلا بعد موت صموئيل النبى ، أى بعد إكمال الناموس ونبوات العهد القديم لتحيا لا تحت الناموس بل فى حرية النعمة . اتحدت بعريسها الجديد بعد أن مات رجلها القديم الأحمق أى العبادة الوثنية ، إذ جاءت الكنيسة من بين الأمم الوثنية .

لِنَمُت عن حرفية الناموس ، ولنرفض نابال من حياتنا ، فنقبل ابن داود عريساً حقيقياً يفيض بنعمته فينا فنمتلىء فرحاً بروحه القدوس لنفيض به بلا توقف ، إذ يقول : « إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب . من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حىّ » يو ٧ : ٣٧ ، ٣٨ .

+ + +



لم يكف شاول عن مطاردة داود ، بالرغم من سقوطه تحت يده وقد عفا عنه ودخل معه فى عهد (١ صم ٢٤) ، وداود لا يكف عن الصفح تاركاً قضيته فى يد الله . لقد تمجد داود أكثر فأكثر إذ منع أبيشاى عن أن يمد يده ضد شاول ، كما وبخ أبنير رئيس الجيش لعدم سهره على حياة سيده ، وطلب أن يعيد الرمح لشاول ، وأخيراً فى اتضاع يقول لشاول : « ملك إسرائيل قد خرج ليفتش على برغوث واحد » ١ صم ٢٦ : ٢٠ .

١ـــ داود يرفض قتل شاول	١ ـــ١٢ .
٢ـــ داود يوبخ أبنير	١٣ـــ١٦ .
٣ـــ داود يعاتب شاول	١٧ـــ٢٠ .
٤ـــ شاول ينهار أمام داود	٢١ـــ٢٥ .

\+ + +

١ـــ داود يرفض قتل شاول

للمرة الثانية جاء الزيفيون إلى شاول للغدر بداود إذ كان مختفياً فى تل حخيلة مقابل القفر .

ظن بعض الدارسين أن الحادثة الواردة هنا هى تكرار لذات الحادثة السابقة الواردة فى الأصحاح ٢٤ ، لكن مع تشابه بعض الجوانب فى الحادثتين فإنه يوجد اختلاف واضح بين تفاصيل الحادثتين كما سبق أن رأينا فى مقدمة السفر .

للمرة الثانية يغدر الزيفيون بداود ، وقد قام شاول ونزل إلى برية زيف ناسياً ما قدمه له داود من لطف حين كان بين يديه فى الكهف ولم يصنع به شراً . نسى شاول كيف تصاغر فى عينى نفسه أمام كرم داود واتضاعه وأدبه حتى صرخ وبكى طالباً من داود أن يقطع معه عهداً . الآن قد سحبه قلبه الشرير إلى الغدر

كعادته ، الأمر الذى لم يصدقه داود بسبب العهد الذى قطعاه معاً فى ذات برية زيف . لم يهرب داود من البرية بل أرسل جواسيس للتأكيد إن كان شاول بالفعل قد جاء (١ صم ٢٦ : ٤) .

عندما تأكد داود أن شاول كسر العهد وجاء برجاله ليقتلوه، لم يخف بل فى شجاعة نادرة أخذ معه أبيشاى بن صروية وأخيمالك الحثى . نظر داود إلى المكان الذى نزل فيه شاول ، ورآه وهو على تل وإذا بشاول وحراسه نائمون عند المتراس وهو حاجز من الحجارة أو التراب أو الخشب يختفى وراءه الجنود عند الحرب للحماية من ضربات العدو .

كان شاول وجنده وراء المتراس لكن النعاس غلبهم ؛ اتكلوا على القوة الزمنية لكنهم غُلبوا حتى من طبيعتهم فلم يقدر واحد منهم أن يسهر .

« **أبيشاى** » هو ابن صروية أخت داود من الأم وليست من الأب ، إذ يبدو أن امرأة يسى كانت أولاً امرأة ناحاش ملك عمون (٢ صم ١٧ : ٢٥) ولدت له صروية وأبيجايل ثم أخذها يسى فولدت له داود وإخوته[١٧٤] . أما كلمة « أبيشاى » فتعنى « الأب عطية » أو « أب أو مصدر العطية »[١٧٥] .

قال أبيشاى لخاله داود : « **قد حبس الله اليوم عدوك فى يدك ؛ فدعنى الآن أضربه بالرمح إلى الأرض دفعة لا أثنى عليه** » ١ صم ٢٦ : ٨ . لقد حسب أبيشاى أن النعاس الذى حل بشاول ورجاله ليس مصادفة ولا عن حاجة جسدية طبيعية وإنما هو بسماح إلهى لكى يحبس الرب شاول فى يده ليقتله . أما داود فأبى أن يمد يده على مسيح الرب الكاسر العهد المملوء حسداً وبغضاً الطالب سفك دمه . لقد منع أبيشاى من أن يمد يده أيضاً عليه قائلاً له :

« حيّ هو الرب ، إن الرب سوف يضربه أو يأتى يومه فيموت أو ينزل إلى الحرب ويهلك .

حاشا لى من قبل الرب أن أمد يدى إلى مسيح الرب

والآن فخذ الرمح الذى عند رأسه وكوز الماء وهلم » ١ صم ٢٦ : ١١ .

نجح داود النبى فى مقابلة عداوة شاول المتكررة باللطف ، وقد مات شاول قتيلاً بيد غير يد داود ، وتمتع داود بالنفس المتسعة بالحب ليكون مثالاً حياً

للحب . يقول **القديس غريغوريوس** : [يعلمنا الكتاب أن نوحاً كان باراً ، وإبراهيم مؤمناً ، وموسى وديعاً ، ودانيال حكيماً ، ويوسف طاهراً ، وأيوب بلا لوم ، وداود صاحب النفس الكبيرة[١٧٦]] .

لقد نجح داود فى ألا يغضب على شاول بل على الشيطان عدو الخير المثير للفتن . وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** : [وقع شاول تحت قبضة داود ، لكن داود لم يتحرك بالغضب . لم يرمه بالرمح إذ صار العدو بين يديه إنما انتقم من الشيطان[١٧٧]] .

يقول **القديس مار أفرام السريانى** : [ليت الإنسان يظهر رحمة لمضطهديه كما فعل ابن يسى مع شاول[١٧٨]] .

يرى **القديس أمبروسيوس** أن داود ضحى بأمانه إذ ترك عدوه الشرس حياً ولم يمد يده عليه ، ففى عينيه البر أفضل من الأمان الزمنى . [على أى الأحوال لم يُعطِ لأمانه أولوية على بره ؛ فعندما أُعطيت له فرصة أخرى لقتل الملك لم يستخدمها لتحقيق نوع من الأمان عوض الخوف ولتحقيق التمتع بالمُلك عوض نفيه] .

يتحدث **القديس جيروم** عن إصرار شاول على تعقب داود للخلاص منه وإصرار داود على الاحتمال بطول أناة ؛ قائلاً : [« هل يغير الكوشى جلده أو النمر رقطه ؟! » إر ١٣ : ٢٣ ... هذا ما يقوله داود (أيضا فى المزمور السابع) فكما أن الكوشى لا يقدر أن يغير جلده هكذا لم يستطع شاول أن يغير شخصيته . لقد سقط بين يدىّ مرتين ، وكان فى استطاعتى أن أقتله . كان يمكننى أن أسفك دمه . لقد أردت أن أغلبه باللطف ، لكن إرادته الشريرة بقيت غير منهزمة . كما لا يقدر الكوشى أن يغير جلده هكذا لا يستطيع شاول أن يغير خبثه . أخيراً ، ماذا يقول داود ؟ « يارب إلهى ان كنت قد فعلت هذا (أخطأت) » مز ٧ : ٤ ، أى إن كنت قد صنعت أى شر ضد شاول ، إن وُجد ظلم فى يدى ، إن كافأت صديقى شرا (مز ٧ : ٤) . لاحظ ماذا يقول ؟ لقد كافأت الشر خيراً بينما ردّ شاول الخيّر شراً[١٧٩]] .

انفتح قلب داود واتسع ليحتمل عداوة شاول بطول أناة فكان الرب يسنده ،

إذ قيل : « **فأخذ داود الرمح وكوز الماء من عند رأس شاول وذهبا ولم يرَ ولا علم ولا انتبه أحد لأنهم جميعاً كانوا نياماً لأن سبات الرب وقع عليهم** » ١ صم ٢٦ : ١٢ .

٢ــ داود يوبخ أبنير

عبر داود إلى العبر ووقف على تل حخيلة فى مكان مرتفع بالنسبة لموضع شاول ، وكان بعيداً عنه إذ لا يأتمنه . من هناك نادى داود أبنير رئيس الجيش والحارس لشاول ؛ وبخه فى أدب قائلاً له : « **أما تجيب يا أبنير ؟!** » ١ صم ٢٦ : ٢٤ . وكأنه يقول له : « أما يكفيك نوماً ؟! » . كان الوقت فجراً لذا انزعج أبنير ولم يعرف من هو هذا الذى يتجاسر ويوقظ الملك بصوته المرتفع ، ويتكلم معه بهذه اللهجة . لذا سأله : « من أنت الذى ينادى الملك ؟ » ١ صم ٢٦ : ٢٤ .

لم يكن ينتظر داود أن يكون أبنير نائماً فى وقت كهذا دون تدبير حراسة للملك . لهذا تحدث معه داود باستخفاف كمن هو ليس برجل ولا يستحق الحياة ، هذا ما عناه داود بقوله :

« أما أنا رجل ، ومن مثلك فى إسرائيل ؛
فلماذا لم تحرس سيدك الملك ؟!
لأنه قد جاء واحد من الشعب لكى يهلك الملك سيدك .
ليس حسناً هذا الأمر الذى عملت .
حيٌّ هو الرب إنكم أبناء موت أنتم ، لأنكم لم تحافظوا على سيدكم على مسيح الرب .
فانظر الآن أين هو رمح الملك وكوز الماء الذى كان عند رأسه ؟! » ١ صم ٢٦ : ١٥ ، ١٦ .

لم يجد أبنير ما يجاوب به داود ، غير أن شاول عرف صوت داود ، إذ كان معتاداً عليه .

٣ــ داود يعاتب شاول

تأثر شاول جداً بتصرف داود ولكن كعادته يتأثر إلى حين ، لذلك عندما قال

له شاول : « ارجع يا ابنى داود لأنى لا أسيء إليك بعد من أجل أن نفسى كانت كريمة فى عينيك اليوم » ١ صم ٢٦ : ٢١ ، لم يقبل داود بل « ذهب داود فى طريقه ورجع شاول إلى مكانه » ١ صم ٢٦ : ٢٥ .

تأثر شاول قائلاً : « أهذا صوتك يا ابنى داود ؟! » ١ صم ٢٦ : ٧ .

فى أدب وبخه داود قائلاً :

« إنه صوتى يا سيدى الملك ...

لماذا سيدى يسعى وراء عبده ؟ لأنى ماذا عملت ؟ وأى شر بيدى ؟

والآن فليسمع سيدى الملك كلام عبده .

فإن كان الرب قد أهاجك ضدى فلِيَشْتَمَّ تقدمة ،

وإن كان بنو الناس فليكونوا ملعونين أمام الرب لأنهم قد طردونى اليوم من الانضام إلى نصيب الرب ، قائلين : اذْهب اعبُد آلهة أخرى .

والآن لا يسقط دمى إلى الأرض أمام وجه الرب .

لأن ملك إسرائيل قد خرج ليفتش على برغوث واحد ،

كما يُتبَعُ الحجل فى الجبال » ١ صم ٢٦ : ١٧–٢٠ .

تكشف هذه الإجابة عن أعماق قلب داود النقى من جهات كثيرة منها :

(أ) لم تُفقِد مقاومة شاول المستمرة اتضاعَ داود أمامه ، إذ يدعوه « سيدى الملك » ، بينما يدعو نفسه « برغوثا واحداً » ... الغالب المنتصر يدعو نفسه « برغوثا واحداً » بينما يدعو المنهزم الساقط : « سيدى » ! اتضاع داود هو سر قوته ! كان النجاح يزيده اتضاعاً ، والاتضاع يهبه نجاحاً مستمراً !

شبه خروج شاول وراءه لقتله كصياد يبذل كل الجهد وسط الجبال ليصطاد حجلاً (طائراً صغيراً) .

(ب) استطاع داود أن يقول بشجاعة : « أى شر بيدى ؟ » ... هكذا ليتنا لا نسقط فى شر حتى يمكننا أن نتكلم بروح الغلبة فى شجاعة ، إذ يحرم الشر الإنسان من الشجاعة .

(جـ) قدم داود لشاول احتمالين : الأول أن الله سمح بالهياج عليه كتأديب لداود عن خطايا ارتكبها ، فهو مستعد أن يقدم تقدمة « ذبيحة خطية » معترفاً

بضعفاته وخطاياه ، والثانى أن أناساً أثاروه ضده ، هؤلاء يجلبون اللعنة على أنفسهم لأنهم يوشون به .

(د) بقوله « قد طردونى اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب ، قائلين : « اذهب اعبد آلهة أخرى » كشف عن مرارة نفسه الداخلية بسبب حرمانه من الشركة مع شعبه فى الصلاة والتسبيح وكل صنوف العبادة . الذين يوشون به لدى شاول يريدون أن يدفعوا به إلى الحرمان من شركة الجماعة المقدسة ، وكأنهم يطلبون منه أن يذهب إلى شعوب وثنية يمارسون عبادتهم للآلهة الغريبة .

(هـ) آمن داود بعدل الله الذى يسمع للصرخات الخفية الداخلية ، إذ يقول : « لا يسقط دمى إلى الأرض أمام وجه الرب » . فإن قُتل يصرخ دمه قدام الرب كدم هابيل (تك ٤ : ١٠) .

٤ــ شاول ينهار أمام داود

انهار شاول امام داود ، إذ قال : « **قد أخطأت ؛ ارجع يا ابنى داود لأنى لا أسيء إليك بعد من أجل أن نفسى كانت كريمة فى عينيك اليوم . هوذا قد حمقت وضللت كثيراً جداً** » . ١ صم ٢٦ : ٢١ .

تصاغر شاول جداً فى عينى نفسه ، فقد اعطى ابنته ميكال زوجة داود لآخر ، وصار يتعقبه ليقتله بينما يرد داود هذا الشر بالخير ، مما أخجل شاول جداً ، فصار يكرر تعبير : « يا ابنى داود » ، مدركاً أنه ينال بتصرفاته نعمة ونجاحاً . « مبارك أنت يا ابنى داود فإنك تفعل وتقدر » .

أرجع داود لشاول رمح الملك الذى يمثل الصولجان وتقبله شاول بروح الخنوع والمذلة .

+ + +



تكرار هجوم شاول الملك على داود حتى بعد إقامة عهود بينهما أفقد داود كل ثقة فى شاول ، فبدأ يفكر جدياً فى الالتجاء إلى بلاد غريبة خاصة أنه صار ملتزماً بمرأتيه أخينوعم اليرزعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملية (١ صم ٢٧ : ٣) وربما صار له أولاد ، كما ارتبط رجاله الستمائة بأسرهم فصارت إمكانية تركهم واختفائهم فى المغاير والكهوف أصعب مما كانوا قبلاً . كان صعباً على نفسية داود أن يفكر هكذا ، الأمر الذى عبّر عنه فى عتابه مع شاول : « وقد طردونى اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب ، قائلين : اذهب اعبد آلهة أخرى » ١ صم ٢٦ : ١٩ . لم يكن سهلاً عليه وقد عاش كل سنواته الماضية يغار على شعب الله أن يصير طريداً ، يُحرم حتى من الاشتراك فى العبادة الجماعية لله .

الآن — ربما فى ضعف بشرى ودون استشارة الرب — اضطر إلى الالتجاء إلى أخيش ملك جت ليسمح له مع رجاله أن يعيشوا فى قرية صقلغ ، حتى ييأس شاول من التفتيش عنه (١ صم ٢٧ : ١) .

١— هروب داود إلى جت ١—٤ .

٢— سكناه فى صقلغ ٥—٧ .

٣— غزوه للجشوريين وغيرهم ٨—١٢ .

+ + +

١— هروب داود إلى جت

إن كان داود يحسب أحد أبطال الإيمان العظماء لكنه فى هذا الأصحاح يظهر فى لحظات ضعف إيمان جلبت عليه متاعب كثيرة . كثيراً ما يقدم لنا الكتاب المقدس داود لنقتدى به فى عظم إيمانه ، أما هنا فيعلمنا أن لكل إنسان لحظات ضعف فيها يسقط لا ليستسلم فى يأس وإنما ليقوم بالرغم مما ترتب على سقوطه من متاعب داخلية وخارجية .

لقد فكر داود فى أعماقه أن يفلت مع أسرته ورجاله إلى أرض الفلسطينيين فييأس شاول منه ولا يفتش عليه ، فينجو ، وأخذ قراره بالذهاب إلى أخيش فى جت (١ صم ٢٧ : ٣) . لعل أخيش بن معوك المذكور هنا هو خليفة أخيش الوارد فى ١ صم ٢١ : ١٠ . فى المرة السابقة شك الملك فى أمره لأنه جاء بمفرده فظنه جاء يتجسس ويخطط ضده ، أما فى هذه المرة فجاء مع أسرته وستمائة جندى محارب بأسرهم ، لن يكون داود سيىء النية إذ تصعب عليه الحركة مع الأسرة ، لذا حسبه قوة ينتفع بها كحليف له ، خاصة أن مطاردة شاول لداود صارت علانية ومتكررة عرفتها الأمم المحيطة ، مما طمأن قلب أخيش من جهة داود ورجاله .

نعود إلى داود فنقول إن من حقه ألا يثق فى وعد شاول بأنه لا يسىء إليه (١ صم ٢٦ : ٢١) ، لكن لم يكن من اللائق أن يخاف ويهرب فى ضعف إيمان وقد عاين بنفسه واختبر معاملات الله له ، هذا الذى وعده بالمُلك ، خاصة أن يوناثان وأباه شاول تأكدا أنه يرث المُلك وأخبراه بهذا . لقد كانت الظروف المحيطة ببطرس توحى بالاضطراب ، وإذ ضعف فى الإيمان بدأ يغرق ، لذا « مدَّ يسوع يده وأمسك به وقال له : يا قليل الإيمان لماذا شككت ؟ » مت ١٤ : ٣١ . لقد طلب الرسل منه : « زد ايماننا » لو ١٧ : ٥ .

ضعف الإيمان دفع داود إلى أخيش ملك جت ، ليجتاز مرارة المعصرة [كلمة جت فى رأى **القديس أغسطينوس** تعنى معصرة(١٨٠)] أما الإيمان فيرتفع بالإنسان الروحى لتعاين أعماقه الأمور غير المنظورة ، ويسمو قلبه إلى ما فوق المنظورات (عب ١١ : ١٣–١٦) .

+ الإيمان يكمل كل ما نقص فى معرفتنا ، ويهبنا كل ما هو غير منظور . هكذا يقول الرسول بولس : « بالإيمان تشدد (إبراهيم) كأنه يرى ما لا يُرى » عب ١١ : ٢٧ .

القديس غريغوريوس أسقف نيصص(١٨١)

نسى داود وصية جاد النبى : « لا تقم فى الحصن ، اذهب وادخل أرض يهوذا » ١ صم ٢٢ : ٥ ، حتى لا يعتمد على ذراع بشرى وحصون أرضية بل

يدخل إلى الشعب يشاركهم تعبهم من شاول ومذلتهم . الآن يترك حدود يهوذا وينطلق إلى حصون بشرية فى ضعف إيمان !

٢ــ سكناه فى صقلغ

رحب أخيش بداود إذ تأكد أن شاول يطارد داود بلا هوادة ، فقد اطمأن إلى أن الأخير لن يثق بعد فى شاول ولن يتحالف معه . قبوله داود يكسر شوكة شاول الملك ، كما ينتفع من إمكانيات داود ورجاله . أما داود فلم يستحسن أن يسكن فى جت مع أخيش ، ذلك لأن رجاله وعائلاتهم كثيرون تضيق بهم المدينة من جهة المسكن والطعام ، ومن جهة أخرى لم يكن داود يقصد خدمة أخيش إذ هو مرتبط قلبياً بشعبه ولذلك قال لأخيش : « إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فليعطونى مكاناً فى إحدى قرى الحقل فأسكن هناك » ١ صم ٢٧ : ٥ ؛ بهذا يكون له شيء من الحرية خاصة فى العبادة .

أحد الأسباب الأخرى لطلبه هذا هو خبرته مع بلاط شاول الملكى ، فقد خشى أن تتكرر نفس المأساة متى نجح فى طريقه فيحسده أخيش أو بعض رجاله . أيضا ببعده عن جت لا يحتك هو ورجاله بالاحتفالات الشعبية الخاصة بالعبادة الوثنية ، إذ كانت جت أحد المراكز العظمى لعبادة آلهة الفلسطينيين .

فى اتضاع وانسحاق قدم داود طلبه هذا قائلاً : « ولماذا يسكن عبدك فى مدينة المملكة معك (يضايقك ويزحم مدينتك) ؟ .

استجاب الملك لطلبه وأعطاه صقلغ ليسكن فيها مع رجاله .

« **صقلغ** » : مدينة فى الجنوب الأقصى من يهوذا (يش ١٥ : ٣١) ، أعطيت لشمعون (يش ١٩ : ٥ ، أى ٤ : ٣٠ ؛ فى أيام شاول كانت فى أيدى الفلسطينيين ... وفيما بعد صارت ليهوذا (١ صم ٢٧ : ٦) ، وسُكنت بعد السبى . يرجح أنها تل الخويلفة ، تبعد حوالى ١٠ أميال شرقى تل الشريعة و ١٠ أميال شمال بئر سبع[١٨٢] .

٣ــ غزوه للجشوريين وغيرهم

إقامة داود ورجاله بعائلاتهم بعيداً عن جت أعطى الفرصة لداود أن يقودهم فى شيء من الحرية ويقوم بتنظيمهم ، لذا بدأ يمارس بعض حملات غزو ضد

الوثنيين من جشوريين وجرزيين وعمالقة ، عرفوا بالحياة العنيفة واللصوصية بجانب الفساد والرجاسات . كانت فرصة لتطهير الأرض حتى لا يتسلل الفساد فى أبشع صوره إلى الشعب المقدس ويفسدوا الخميرة النقية .

ربما كان الجشوريون والجرزيون فروعا من العمالقة[١٨٣] الذين كانوا أشبه بجماعات من اللصوص لا عمل لهم إلا السلب والنهب مع ممارسة الرجاسات ، يشيرون إلى الخطايا ويرمزون إلى عدو الخير إبليس ؛ كانوا يعيشون فى جنوب فلسطين . كانت الوصية لشاول : « قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر ، فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً ، بقراً وغنماً ، جملاً وحماراً » ١ صم ١٥ : ٣ . رمز عماليق لعدو الخير الذى يقف فى طريق صعودنا من هذا العالم إلى كنعان السماوية ليعوقنا عن التمتع بالحياة الأبدية ، وكان تحريمه رمزاً لنزع كل أثر للخطية فينا ، خطايا النفس (كل رجل) والجسد (كل امرأة) ، كل فكر مهما كان مبتدئاً (كل طفل ورضيع) الخ ...

لقد كسر شاول الوصية وجاء بأجاج ملك العمالقة حياً كما ترك جياد الغنم والبقر (١ صم ١٥) ، أما داود فحقق كلمات صموئيل لشاول : « **وضرب داود الأرض ولم يستبقِ رجلاً ولا امرأة** » ١ صم ٢٧ : ٩ ، وإذ لم تكن الوصية موجهة إليه لذلك أخذ الغنيمة ليعيش بجزء منها ويعطى ملك أخيش الجزء الآخر كنوع من الجزية مقابل سكناه فى بلاده واستغلاله لصقلغ على حدود الفلسطينيين .

كان من ثمرة التجاء داود إلى الغرباء عوض بقائه فى أرض يهوذا ليس فقط التزامه بتقديم جزء من الغنيمة كجزية لأخيش ملك جت وإنما أيضا التجاؤه إلى المواربة وإخفاء الحقيقة . عندما قال له أخيش : « **إذاً لم تغزو اليوم** » ١ صم ٢٧ : ١١ ، يقصد التساؤل : هل غزوتم اليوم ؟ ومن غزوتم ؟ لم يقل له الحقيقة بل قال : « بلى . على جنوبى يهوذا وجنوبى اليرحمئيليين وجنوبى القينيين » . لقد تظاهر أنه غزا جنوب يهوذا ، هاجم اليرحمئيليين (من نسل يهوذا) والقينيين (الذين غزاهم كانوا جيران القينيين) ، لذلك قال أخيش عن داود : « **قد صار مكروهاً لدى شعبه إسرائيل فيكون لى عبداً إلى الأبد** » ١ صم ٢٧ : ١٢ .

« **اليرحمئيليون** »[١٨٤] : ينتسبون إلى « يرحمئيل » أى « الله يرحم » ، وهو ابن حصرون بن فارص ابن يهوذا (١ أى ٢ : ٤ الخ) ؛ مؤخراً حُسبوا من نسل يهوذا (١ أى ٢) ، سكنوا جنوب اليهودية .

« **القينيون** »[١٨٥] : سبق الحديث عنهم فى ١ صم ١٥ : ٦ ، يُظن أنهم كانوا حدادين لإسرائيل . كانوا من أحلاف إسرائيل ولا سيما يهوذا . لهم علاقة بالمديانيين وينتسب إليهم يثرون حمو موسى كاهن مديان ، أحصوا مع سبط يهوذا فى ١ أى ٢ : ٥٥ . ينتسب قسم منهم إلى حمة أبى بيت ركاب . وقد فضلوا سكنى الخيام حتى فى العصر الملكى المتأخر (إر ٣٥ : ٦ـــ١٠) محتفظين بوصية أبيهم .



التجاء داود إلى أخيش جعله فى مركز حرج عندما ثار الفلسطينيون ضد إسرائيل ... أما شاول فإذ حل به الخطر لم يجبه الرب بسبب شروره المستمرة ، فالتجأ إلى صاحبة جان ، مع أنه حرم أصحاب الجان والتوابع . لقد تخفى وطلب منها أن تستدعى روح صموئيل ليطلب مشورته ، فجاء الشيطان فى شكل صموئيل يتحدث معه ... لأنه ليس ممكناً له أن يستحضر أرواح المنتقلين .

+ + +

١ـ حرب بين إسرائيل والفلسطينيين ١ ـ ٢ .
٢ـ التجاء شاول إلى صاحبة جان ٣ ـ ٢٠ .
٣ـ انهيار شاول ٢١ـ٢٥ .

+ + +

١ـ حرب بين إسرائيل والفلسطينيين

كان أخيش متيقناً من ولاء داود وإخلاصه له ، وجاءت إجابة داود هادئة يشوبها اللبس ، لكنه بلا شك كان مرّ النفس بالنسبة لشعبه ، لا نعرف ماذا كان يعمل لو أنه اشترك فى الحرب ؟!

إذ جمع الفلسطينيون جيوشهم لمحاربة إسرائيل قال أخيش لداود فى ثقة : « **أعلم يقيناً أنك ستخرج معى فى الجيش أنت ورجالك** » ١ صم ٢٨ : ١ . لقد حسب أخيش هذا الأمر لا يحتاج إلى نقاش ، كما حسبه كرامة له أن يحارب داود ورجاله ضد بلادهم وشعبهم .

لم يعطِ داود وعداً صريحاً وإنما قال فى لبس : « **أنت ستعلم ما يفعل عبدك** » ؛ وإذ فهم أخيش من الإجابة أن طلبه أمر لا يحتاج إلى نقاش سُرّ بداود جدا مظهراً ثقته فى إخلاصه وفى قدرته فى الحرب فوعده بتعيينه قائداً لحرسه

الخاص « **حارسا لرأسى كل الأيام** » ١ صم ٢٨ : ٢ .

٢ـــ التجاء شاول إلى صاحبة جان

الآن ما هو موقف شاول تجاه جيش الأعداء الذى يجتمع لمحاربته بينما فارق روح الرب شاول ، ومات صموئيل النبى ، وهرب منه داود بسبب مضايقاته له ؟

يكرر السفر حادثة موت صموئيل هنا فى إيجاز لا للحديث عنها ولكن لإيضاح تصرفات شاول القادمة . « **ومات صموئيل وندبه كل إسرائيل ودفنوه فى الرامة فى مدينته ؛ وكان شاول قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض** » ١ صم ٢٨ : ٣ .

من الأعمال الحسنة التى قام بها شاول ـــ غالباً بإرشاد صموئيل النبى ـــ مقاومته لأعمال السحر والشعوذة لذا نفى أصحاب الجان . وقد جاءت الكلمة الأصلية « أصحاب الجان » تعنى الذين يتكلمون كأنه من بطونهم فيتظاهرون بجان حالٍّ فيهم يخبرهم بأمور خفية ومستقبلية . كما نفى « التوابع » أى توابع الجان ، أى الذين يتبعونه حيثما يذهب كخدم وعبيد لسيدهم ، لذا يكشف لهم أموراً لا يدركها أو ينظرها البشر ويقدم لهم إمكانيات فوق طاقات البشر مثل استدعاء أرواح الموتى[١٨٦] . لقد حرمت الشريعة السحر والشعوذة بكل أنواعها لأنها تعنى التجاء الإنسان إلى الشر كمرشد له وسند يعينه عوض الالتجاء إلى الله والاتكال عليه .

« **اجتمع الفلسطينيون وجاءوا ونزلوا فى شونم وجمع شاول جميع إسرائيل ونزل فى جلبوع** » ١ صم ٢٨ : ٤ .

اجتمع الفلسطينيون فى **شونم** ، مدينة فى أرض يساكر تدعى حالياً سولم على جانب جبل الدوحى الجنوبى الغربى ، فيها عين حولها أرض خصبة ، يبعد هذا الجبل (التل) $3\frac{1}{2}$ من الأميال شمال شرقى يزرعيل و ٥ أميال شمال غرب نهاية جبل جلبوع و ١٦ ميلاً من جبل الكرمل[١٨٧] .

نزل شاول وجيشه إلى جلبوع مقابل شونم . « **جلبوع** »[١٨٨] اسم عبرى ربما كان معناه « عين متفجرة » ، ويطلق عليه اليوم « جبل فقوع » ، تقع بالقرب

منه قرية جلبون . هذا الجبل يكوّن الجزء البارز فى الشمال الشرقى من جبل أفرايم ، كما يكوّن مساقط المياه بين حوض نهر قيشون ووادى نهر الأردن . ويطلق هذا الاسم على سلسلة جبال مرتفعة تكون قوساً شرقى وادى يزرعيل يبلغ طولها ٨ أميال وعرضها من ٣ إلى ٥ أميال تقسمها الأودية العميقة الضيقة إلى عدة هضاب . أعلى نقطة فيها عند « الشيخ يرقان » يبلغ ارتفاعها ١٦٩٦ قدماً فوق سطح البحر .

لما « رأى شاول جيش الفلسطينيين خاف واضطرب قلبه جداً » ١ صم ٢٨ : ٥ ، أما سر خوفه الحقيقى فهو تخلى الله عنه لأنه عصاه وأصر على العصيان ؛ على خلاف داود النبى الذى لم يخش جيشا ما إذ يقول : « الرب نورى وخلاصى ممن أخاف ؛ إن نزل علىّ جيش لا يخاف قلبى » مز ٢٧ : ١ .

بسبب شره فقد شاول كل إمكانية للنصرة ؛ فقد أعلن الرب أنه رفضه ، ومات صموئيل غاضباً على تصرفاته ، وفارقه داود تاركاً له البلاد ، وقتل كهنة نوب الخ ... لهذا عندما سأل الرب بخصوص الحرب لم يجبه لا بالأحلام (عد ١٢ : ٦) ولا بالأوريم ولا بالأنبياء .

نحن نعلم أن أبيأثار الكاهن سبق أن هرب من نوب والتجأ إلى داود وبيده الأفود (١ صم ٢٣ : ٦) ، لذلك يبدو أن شاول أقام كاهناً آخر وعمل أفوداً أخرى ...

لعل ما حدث كان بالنسبة لشاول فرصة جديدة من بين الفرص الكثيرة التى قدمها له الله لكى يراجع نفسه ويدرك سر فشله ، فيعود إلى الله بالتوبة القلبية الصادقة ... لكنه على العكس أساء استخدام هذه الفرصة فقد اسودت الحياة فى وجهه وبدأ يفكر فى امرأة صاحبة جان ؛ فأهانَ الله إذ أقام هذه المرأة الكاذبة الجاهلة موضع الله .

عجباً ! ملك إسرائيل يطلب من عبيده أن يبحثوا له عن امرأة صاحبة جان لتكون له مشيرة فى أمر مصيرى يمس حياته وحياة الشعب كله ! أية غباوة هذه !

لقد أخبروه عن وجود صاحبة جان فى عين دور ، تبعد حوالى ١٠ أميال من

جلبوع على الجانب الشمالى من جبل دوحى .

شاول الذى قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض (١ صم ٢٨ : ٩) تنكر وذهب إلى صاحبة جان لتصعد له صموئيل يستشيره بعد أن أقسم لها أنه لن يلحقها إثم فى هذا الأمر . هكذا انحرف شاول من ضعف إلى آخر حتى ارتكب هذا الشر الخطير . لهذا يحذرنا الآباء من فتح الباب للخطايا التى تبدو تافهة والتى تقودنا تدريجياً إلى ما كنا نظن أننا لن نرتكبه .

+ أتوسل إليكم ... أن تغلقوا مداخلهم (مداخل الخطايا)، فإن الشيطان فى دناءته يستخدم مكراً عظيماً وجهداً وخنوعاً لإهلاك البشر إذ يبدأ هجومه عليهم بأمور تافهة للغاية . لاحظ كيف أتى بشاول إلى الاعتقاد بالخرافات مستخدماً صاحبة الجان ، فلو أشار عليه بذلك من البداية لما اهتم شاول بمشورته ، إذ كيف يقبل هذا من قطع أصحاب الجان ؟! لقد قاده الشيطان إلى ذلك قليلاً قليلاً ...

القديس يوحنا الذهبى الفم[189]

يرى **القديس يوحنا الذهبى الفم** أن ما وصل إليه شاول من انحطاط وانهيار حتى التجأ إلى صاحبة جان جاء كثمرة لانفصاله عن داود كقائد عظيم وقوى ، فبفقدانه خسر الكثير ، إذ يقول : [إلى أن انفصل عن داود لم يسقط (شاول) فى حرب ما ، فكان كلاهما فى أمان ومجد ، إذ كان مجد القائد يعبر إلى الملك[190]] .

ما هو رأى الآباء فى الروح الذى ظهر لشاول ؟

يرى **القديس هيبوليتس** أن شاول لم ير صموئيل ، إنما كان ذلك خداعاً . أما ما أنبأ به الشيطان فهو نتيجة طبيعية (هزيمة شاول) لغضب الله عليه ، وكأنه طبيب ليست له معرفة بعلم الطب رأى المريض فى حالة خطيرة فأنبأه بموته . هكذا عرف الشيطان غضب الله على شاول من تصرفات شاول نفسه مقدماً له المشورة خلال الجان ، مخبراً إياه بهزيمته وموته ، لكنه أخطأ فى تحديد يوم موته[191] .

+ استشار شاول الميت بعد. فقدانه الله الحيّ . حاشا لنا أن نظن أن نفس أى قديس ــ بالأكثر نفس نبى ــ تُستدعى (من مكان راحتها فى الجحيم) بواسطة شيطان . « إننا نعلم أن الشيطان نفسه يغير شكله إلى ملاك نور » ٢ كو ١١ : ١٤ ، فبالأكثر إلى رجل نور ، بل وسيُظهر نفسه فى النهاية أنه هو الله (٢ تس ٢ : ٤) ويعطى آيات وعجائب « حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً » مت ٢٤ : ٢٤ . فى الحالة السابقة تردد بقوة ليثبت نفسه أنه نبى الله خاصة بالنسبة لشاول الذى كان يقطن فيه .

العلامة ترتليان (١٩٢)

يرى **القديس باسيليوس الكبير** أن شاول رأى أرواحاً شريرة دعيت آلهة كما جاء فى مز ٩٦ : ٥ ، أر ١٠ : ١١ (الترجمة السبعينية) .

لقد ظهر ضعف شاول الشديد وانهياره إذ :

(أ) خاف واضطرب قلبه جداً عندما رأى جيش الفلسطينيين (١ صم ٢٨ : ٥) .

(ب) انهار أمام عبيده الذين يعلمون أنه سبق أن نفى أصحاب الجان ، وها هو يطلب منهم أن يفتشوا عن امرأة صاحبة جان ؛ موقف مخز أمام عبيده !

(جـ) خاف لئلا تخشاه المرأة فتنكر ولبس ثياباً أخرى (١ صم ٢٨ : ٨) ؛ صورة مخزية !

(د) ذهب إليها فى عين دور ، سار نحو عشرة أميال ، محتملاً التعب ومتعرضاً للخطر حيث كان الأعداء فى شونم بين جلبوع وعين دور .

(هـ) غالباً ما عرفته المرأة بسبب طول قامته عن كل الشعب ، فتظاهرت بعدم ممارستها هذه الأمور ، أما هو فبجهل حلف بالرب أنه لن يؤذيها (١ صم ٢٨ : ١٠) .

(و) ظهر الشيطان فى شكل صموئيل النبى مُغطى بجبة فصرخت المرأة توبخ شاول : « لماذا خدعتنى وأنت شاول » ١ صم ٢٨ : ١٢ . أما هو فلم يرتدع بل كمّل هذا الطريق الشرير ؛ دخل فى حوار مع الروح الظاهر له

والمتحدث باسم صموئيل ، فخرّ شاول على وجهه إلى الأرض وسجد ، وبعد الحوار سقط على الأرض بطوله وخاف جداً ... إنها سلسلة من الانهيارات والمتاعب عاشها شاول فى آخر حياته .

(ز) أشفقت عليه المرأة صاحبة الجان بسبب انهياره الشديد وهو ملكها وقدمت له أفضل ما عندها طعاماً بعد إلحاحها هى وعبديه .

ما أبعد الفارق بين مواجهة شاول الملك للموت إذ ختم حياته بصورة مخزية بعصيانه الرب حتى آخر أيام حياته ، ومواجهة بولس الرسول له ، إذ يقول : « وقت انحلالى قد حضر ، قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان ، وأخيراً قد وضع لى إكليل البر » ٢ تى ٤ : ٦ـــ٨ .

الإنسان الفاسد داخلياً يجمع لنفسه مرارة من يوم إلى يوم حتى اللحظات الأخير من حياته ،وأماالروحى فيخزن فى أعماقه أمجاداً متلاحقة تملأ أعماقه فرحاً حتى نهاية حياته على الأرض . ومع هذا فإن الله لا يغلق الباب أمام الأول طالباً توبته ولو فى النفس الأخير كما حدث مع اللص اليمين ، ولا يليق بالآخر أن يتهاون لئلا يسقط .

+ + +



كان داود بلا شك فى مأزق ، تظاهر بالخروج مع الأعداء الساكن فى وسطهم لمحاربة شعبه ، أما قلبه فكان محطماً . أعلن أقطاب الفلسطينيين لأخيش عدم ثقتهم فى داود ، وكانت هذه الإهانة ملجأ داخلياً لداود ، إذ قال : « انفلتت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين ، الفخ انكسر ونحن انفلتنا » مز ١٢٤ : ٧ .

١ــ رفض اشتراك داود ١ــ٥ .

٢ــ أخيش يعتذر لداود ٦ــ١١ .

\+ + +

١ــ رفض اشتراك داود

تحرك جيش الفلسطينيين من شونم نحو الجنوب إلى أفيق بالقرب من معسكر الإسرائيليين الذين كانوا قد انتقلوا إلى يزرعيل بالقرب من جبل جلبوع ، عند عين هناك ، ربما « عين حرود » الحالية ، التى نزل إليها جدعون (قض ٧ : ١) . وجاء داود ورجاله مع أخيش فى مؤخرة جيش الفلسطينيين ، أما قلب داود فكان يحترق من جهة موقفه الحرج ، فهو لا يستطيع أن يهرب برجاله عندما تدور المعركة فيحسبه أخيش خائناً ، إذ استضافه فى بلاده وأعطاه كل إمكانية للعمل بحرية ، وإن دخل المعركة مع الفلسطينيين يشعر بخيانته لوطنه وشعبه . ماذا يحدث لو قتل شاول ؟ أما ينظر الشعب إلى أن داود المتحالف مع الأعداء هو القاتل ؟!

كانت التجربة قاسية للغاية ، لكن كما قيل : « الله أمين الذى لا يدعكم تُجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ » ١ كو ١٠ : ١٣ .

٢ـ أخيش يعتذر لداود

عبر أقطاب الفلسطينيين ، أى عظماء المدن الكبرى إلى أخيش يطالبونه برجوع داود إلى موضعه فى صقلغ وألا ينزل معهم إلى الحرب لئلا ينقلب عليهم أثناء المعركة ، قائلين له :

« أرجع الرجل فيرجع إلى موضعه الذى عينت له ، ولا ينزل معنا إلى الحرب ، ولا يكون لنا عدواً فى الحرب .

فبماذا يرضى هذا سيده ؟ أليس برؤوس أولئك الرجال ؟!

أليس هذا هو داود الذى غنين له بالرقص قائلات : ضرب شاول ألوفه وداود ربواته ؟! » ١ صم ٢٩ : ٤ ، ٥ .

كان أخيش يحب داود جداً ويثق به فدافع عنه أمام الأقطاب لكنه كان واحداً بين الخمسة لذا خضع لهم ، لذا اعتذر لداود طالباً منه أن يرجع بعد أن اقسم بالرب أنه يعلم باستقامته وأنه يشتاق أن يشترك معه فى الحرب ، وأنه لم يجد فيه شراً من يوم مجيئه حتى وقت الحديث معه ، وأنه يتطلع إليه كملاك الله .

حقاً ، ما أعظم شهادة الخارجين عن نقاوة قلب الإنسان وصلاحه ! فإن الحياة الصالحة لا يمكن أن تختفى أو تُنكر !

لقد طلب أخيش من داود أن يرجع مع رجاله بسرعة حتى تبدأ المعركة : « **بكر صباحاً مع عبيد سيدك** » دعاهم عبيد شاول ، لأن داود ورجاله لم يغيّروا جنسيتهم .

لقد وجد داود الحل للمأزق الذى عاش فيه ورجع إلى صقلغ ، لكن نفسه مرة من أجل شعبه .

+ + +



استغل عماليق خروج داود ورجاله من صقلغ للاشتراك فى الحرب وبسرعة فائقة غزوا منطقة الجنوب وضربوا صقلغ وأحرقوها بالنار وسبوا النساء اللواتى فيها ، من بينهن أخينوعم اليزرعيليَّة وأبيجايل. إذ رجع داود استشار الرب ، وعوض اليأس ، انطلق برجاله ليرد النساء وغنائم كثيرة ، قدم منها إلى شيوخ يهوذا أصحابه .

١ــ حرق صقلغ ١ ــ٦ .
٢ــ نصرة داود ٧ ــ ٢٠ .
٣ــ اقتسام الغنيمة مع المتخلفين ٢١ــ٢٥ .
٤ــ ارسال غنيمة إلى شيوخ يهوذا ٢٦ــ٣١ .

\+ \+ \+

١ــ حرق صقلغ

إذ فارق داود ورجاله جيش الفلسطينيين عادوا إلى صقلغ فى اليوم الثالث ليجدوا العمالقة قد غزوا الجنوب أى ما بين جبال يهوذا والقفر كما غزوا صقلغ التى أحرقوها بالنار بعد أن سبوا النساء ، والأطفال كعبيد . رفع داود ورجاله أصواتهم وبكوا بمرارة حتى لم تبق لهم قوة للبكاء .

تضايق داود جداً فقد سُبيت امرأتاه أخينوعم اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملى ، كما سُبيت كل نساء رجاله مع الأطفال ، هذا وقد فكر الرجال فى رجمه لأنه أخذهم جميعاً ولم يترك أحداً لحراسة المدينة .

إن كانت كلمة « أخينوعم » تعنى « أخى نعيم » أو « أخى بهجة »[١٩٣] ، وأبيجايل تعنى « أب أو مصدر الحكمة »[١٩٤] ، فقد اقترن داود النبى بهما ، فصار النعيم الداخلى أو البهجة فى الرب كما فى قرابة أخوة معه بينما حمل مصدر

الحكمة فيه . هكذا يهبنا ابن داود ملكوته نعيماً دائماً عربوناً للأبدية ويقدم لنا ذاته مصدر الحكمة السماوية . أما عمل عدو الخير المقاوم لمسيحنا فهو أن يأسر نعيمنا وحكمتنا ، لنعيش محطمين بروح القنوط والغم مملوئين بظلمة الجهالة وعدم الحكمة .

ليتنا نجاهد روحياً بروح الرب لكى نسترد فرحنا الداخلى وحكمتنا فى الرب فنعيش الحياة الجديدة التى لنا فى المسيح يسوع سر فرحنا وحكمتنا .

٢ــ نصرة داود

لم يستلم داود للبكاء ولا تحطم باليأس إنما **تشدد بالرب إلهه** (١ صم ٣٠ : ٦) ، إذ يقول فى مزاميره :

« أحبك يارب ياقوتى ،
الرب صخرتى وحصنى ومنقذى .
إلهى صخرتى به أحتمى .
اكتنفتنى حبال الموت ، وسيول الهلاك أفزعتنى
حبال الهاوية حاقت بى ؛ أشراك الموت انتشبت بى .
فى ضيقى دعوت الرب وإلى الهى صرخت ،
فسمع من هيكله صوتى وصراخى قدام أذنيه
فارتجت الأرض وارتعشت أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه غضب ...
أرسل من العلى فأخذنى .
نشلنى من مياه كثيرة .
أنقذنى من عدوى القوى ومن مبغضىّ لأنهم أقوى منى .
أصابونى فى يوم بليتى وكان الرب سندى .
أخرجنى إلى الرحب ، خلصنى لأنه سر بى .
يكافئنى الرب حسب برّى ، حسب طهارة يدىّ يردّ لى .
لأنى حفظت طرق الرب ولم أعص إلهى ... » مز ١٨ : ١ــ٢١ .

« انتظر الرب . ليتشدد وليتشجع قلبك وانتظر الرب » مز ٢٧ : ١٤ .

« عليك يارب توكلت . لا تدعنى أخزى مدى الدهر . بعدلك نجنى » مز ٣١ : ١ .

طلب داود من أبياثار الكاهن أن يقدم له الأفود لكى يسأل الرب إن كان يمكن أن يلحق الغزاة ، وإذ جاءت الإجابة الإلهية بالإيجاب أخذ ستمائة رجل وجاءوا إلى وادى البسور ، جنوب صقلغ وأرض يهوذا ، ربما هو وادى الشريعة .

بالرغم من كون الستمائة رجل أقوياء وجبابرة حرب لكن مائتين منهم أعيوا فلم يقدروا أن يعبروا النهر بل انتظروا مع الأمتعة ، وعبر داود مع الأربعمائة رجل . ويبدو أن داود أمرهم بعدم العبور بسبب إعيائهم ، ولم يتوقفوا عن خوف أو عصيان ، إذ قيل « أرجعوهم فى وادى البسور » ١ صم ٣٠ : ٢١ .

التقوا برجل مصرى فى حالة إعياء شديد لم يأكل ولم يشرب لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ، تركه سيده العماليقى ـــ الذى سبق أن أسره واستبعده ـــ فى الحقل بلا طعام ولا شراب لأنه مرض وصار عاجزاً عن القيام بخدمته . قدموا له قرصاً من التين وعنقودين من الزبيب فأكل ورجعت روحه إليه . أخبرهم أنه كان مع سيده حين هاجم العمالقة جنوب الكريتيين [قبيلة من الفلسطينيين أرضهم فى الجنوب (حز ٢٥ : ١٦ ؛ صف ٢ : ٥) ربما كان أصلهم من كريت] وما ليهوذا وجنوب كالب [أرض حبرون التى أعطيت لكالب ، وبعدما أعطيت مدينة كالب للكهنة. أخذ كالب الأرض التى حولها (يش ١٤ : ١٣ ؛ ٢١ : ١١ ، ١٢)] ، وعندما أحرقوا صقلغ بالنار .

طلب داود من المصرى أن ينزل به إلى الغزاة فوافق بعد أن طلب منه أن يحلف بالله ألا يقتله ولا يسلمه إلى يد سيده ، إذ كانوا فى القديم أحيانا يستخدمون الدليل فى الحروب ثم يقتلونه لئلا يخونهم .

نزل المصرى بداود ورجاله إلى العمالقة فوجدهم منتشرين على كل وجه الأرض يأكلون ويشربون ويرقصون بسبب الغنيمة العظيمة التى جمعوها من أرض الفلسطينيين ومن أرض يهوذا . كانوا فى حالة لهو وعدم اكتراث إذ يعلمون أن الطرفين [الفلسطينيين وإسرائيل] فى حالة حرب لن يلحقوا بهم هكذا بهذه السرعة .

كان العمالقة كما نرى هنا جماعة عنيفة لا تعرف إلا السلب ، يدها على كل إنسان (تك ١٦ : ٢١) ، استغلوا الحرب القائمة لينهبوا الطرفين .

يبدو أن داود ورجاله وصلوا المنطقة فى المساء فكمنوا حتى نام العمالقة ، وعند السحر هجم برجاله عليهم ودام القتال النهار كله ، وكانت الضربة قوية إذ لم ينج من العمالقة سوى أربعمائة غلام ركبوا الجمال وهربوا . أما داود فأنقذ امرأتيه وكل النساء والأطفال واسترد الغنيمة دون أن يفقد رجلاً واحداً فى القتال . عاد الكل فرحاً ، يسوقون غنيمة ضخمة دعوها غنيمة داود (١ صم ٣٠ : ٢٠) .

من هو هذا المصرى الذى غزاه العماليقى واستعبده مستغلاً كل طاقاته حتى مرض جداً ثم تركه فى الحقل بلا مأوى ولا أسرة أو أصدقاء يتضوّر جوعاً وعطشاً فى حالة موت إلا اللص اليمين الذى استعبدته الخطية وأذله عدو الخير واستخدم كل طاقاته فى الشر وأخيراً عُلق على خشبة فى مذلة وسط آلام مبرحة مع جوع وعطش وحرمان من كل قريب أو صديق ، كما فى حالة موت ؟! هذا قدم له ابن داود المحارب لعماليق الحقيقى نعمته طعاماً وشراباً ، حاملاً إياه إلى أرض المعركة ليرى وينعم بنصرة المسيح ويفرح ويتهلل بغنيمة سيده ، الذى حطم أبواب الجحيم وأنقذ المسبيين ودخل بهم إلى فردوسه .

أنقذ داود امرأتيه المسبيتين أخينوعم من يزرعيل وأبيجايل امرأة نابال الكرملى وردهما اليه . إنهما كنيستنا العهدين القديم والجديد ، فقد انطلق ابن داود إلى الجحيم ليحطم عماليق الحقيقى ، إبليس ، ويرد رجال العهدين القديم والجديد ككنيسة مقدسة متحدة به أبدياً .

٣ـ اقتسام الغنيمة مع المتخلفين

ما أرق قلب داود ، فقد غلب برجاله القليلين العمالقة بجبروتهم وكثرة عددهم ، هذه النصرة لم تشغله عن السؤال عن الرجال الذين أوقفهم بسبب الإعياء ، إذ « **تقدم داود إلى القوم وسأل عن سلامتهم** » ١ صم ٣٠ : ٢١ .

كثيراً ما تشغلنا النصرة عن إخوتنا خاصة الضعفاء أو المحتاجين أو المتضايقين ، أما داود فقائد روحى حق ، ينشغل بكل أحد ، ويهتم بالكل .

طلب بعض الأشرار من المحاربين ألا يشترك المائتان رجل فى الغنيمة ، يكفيهم أن يستلموا نساءهم وبنيهم ، أما داود فأصر أن يشترك من بقى مع الأمتعة مع المحاربين فى الغنيمة ، كما تقضى الشريعة (عد ٣١ : ٢٥ـ٢٧) . تحدث حتى مع

القساة الأشرار بالوداعة ورقة مع حكمة حتى لا يسبب انقساماً . لم يستخدم أسلوب الأمر كقائد ناجح بل أسلوب الحب كأخ ، إذ يقول : « **لا تفعلوا هكذا يا إخوتى ، لأن الرب قد أعطانا وحفظنا ودفع ليدنا الغزاة الذين جاءوا علينا ، ومن يسمع لكم فى هذا الأمر ؟! لأنه كنصيب النازل إلى الحرب نصيب الذى يقيم عند الأمتعة ، فإنهم يقتسمون بالسوية** » ١ صم ٣٠ : ٢٣ ، ٢٤ .

وأظهر محبة لجميع رجاله ، كما نسب النجاح لله الذى قدم لهم هبة مجانية ل لهذالاق بهم أن يقدموا لإخوتهم أيضاً من ذات الهبة التى لا فضل لهم فيها .

اشتراك الذين بقوا مع الغنيمة مع الذين عبروا النهر مع داود لمحاربة عماليق إنما هو اشتراك لرجال العهد القديم الذين أعيوا تحت ثقل الناموس مع رجال العهد الجديد الذين عبروا بالمعمودية — نهر الأردن — إلى معركة الصليب ونالوا كل نصرة بابن داود الغالب لحسابهم .

٤ـ إرسال غنيمة إلى شيوخ يهوذا

اتسم داود باتساع القلب والكرم ، لذا فكر فى إخوته وأصدقائه شيوخ يهوذا ليشاركوه فى الغنيمة ، قائلاً لهم : « **هذه لكم بركة من غنيمة أعداء الرب** » ١ صم ٣٠ :٢٦ .

أرسل إلى شيوخ مدن كثيرة بلا حصر مما يكشف عن وفرة الغنيمة جداً ، أرسلها كبركة أى هدية ليس من قبله بل من قِبَل الرب واهب الغلبة والنصرة والمعطى الجميع بسخاء . وكأن داود قد حارب لا لحساب نفسه ورجاله ، إنما حارب حروب الرب لحساب كل الشعب .

قدم الهدايا إلى شيوخ المدن التالية :

بيت ايل[١٩٥] : وهى غير بيت إيل بنيامين ، بل مدينة فى جنوبى يهوذا (يش ١٢ : ٦ ، تسمى أيضاً كسيل (يش ١٥ : ٣٠) وبتول (يش ١٩ : ٤) وبتوئيل (١ أى ٤ : ٣٠) ، يظن أنها خربة الرأس بين بئر سبع وخوليفة .

راموث الجنوب[١٩٦] : غير راموث جلعاد (يش ١٩ : ٨) ، وتسمى أيضاً رامة الجنوب (رامة النجب) ، وأيضا بعلة بئر (يش ١٩ : ٨) ، وهى قرية فى جنوب تخم شمعون .

يتير[197] : مدينة للكهنة ، فى جبال اليهودية ، يظن أنها تبعد ٦ أميال شمال مولادة و ١٣ ميلاً جنوب غربى حبرون . يرجح أن تكون هى خربة عتير . [يتير تعنى « تفوق » أو « أفضلية » أو « استعلاء »] .

عروعير[198] : غير عروعير التى فى موآب ، وهى قرية فى يهوذا ، على الطريق من غزة إلى وادى موسى ، تبعد حوالى ١٢ ميلاً جنوب شرقى بئر سبع ، آثارها قائمة فى وادى عرارة [« عروعير » معناها « عريان » أو « دغل أشجار العرعر » .

سفموث[199] : اسم عبرى ربما كان معناه « شوارب » ، لعلها فى جنوب يهوذا .

اشتموع[200] : مدينة للكهنة ، اسمها الحالى « سموع » أو « السموعة » ، تبعد حوالى ٩ أميال جنوب حبرون . « اشتموع » كلمة عبرية تعنى « استماع » أو « طاعة » .

راخال أو راكال[201] : اسم عبرى معناه « تجارة » ، مدينة فى يهوذا ، لا يعرف موقعها الآن .

مدن اليرحمئيليين : (راجع ١ صم ٢٧ : ١٠) .

مدينة القينيين : (راجع ١ صم ١٥ : ٦) .

حرمة[202] : اسمها الأصلى صفاة (قض ١ : ١٧) من نصيب يهوذا نُقلت إلى شمعون ، تقع فى الجنوب نحو تخوم آدوم ، ربما كان موقعها فى تل الملح ، نحو ٣ أميال جنوب شرقى بئر سبع [دعيت حُرمة بعد تخريبها وتحريمها قض ١ : ١٧)] .

كورعاشان (فرن الدخان) أو بورعاشان (حفرة الدخان) أو عاشان (دخان) ، فى سهل يهوذا تحولت إلى شمعون ثم صارت للاويين . تسمى خربة عاسان ، شمال غربى بئر سبع وبالقرب منها[203] .

عتاك[204] **ض** : قرية فى جنوب يهوذا ، ربما هى عاتر (يش ١٥ : ٤٢) .

حبرون : حالياً تُدعى الخليل .

قدم داود النبى من الغنيمة لشيوخ هذه المدن وأيضا لشيوخ جميع الأماكن التى ترددعليها هو ورجاله علامة شكره لهم على حسن ضيافتهم .

+ + +



باطلاً حاول شاول أن يقتل داود ، وإذ ترك داود الأمر لله ، سقط شاول وبنوه وحامل سلاحه فى يوم واحد دون أن يمتد يد داود بسوء ، ولا حمل قلبه ضغينة أو تشفياً بل كل حب (٢ صم ١) ، إذ حزن عليه جداً ورثى داود شاول ويوناثان بمرارة يمدحهما ويمجدهما .

١ــ قتل أبناء شاول ١ــ٢ .
٢ــ إصابة شاول وموته ٣ــ٧ .
٣ــ سكان يابيش يأخذون أجسادهم ٨ــ١٣ .

\+ \+ \+

١ــ قتل أبناء شاول

بعدما تحدث الوحى عن نجاح داود فى الهجوم على العمالقة ورد المسبيين مع غنائم كثيرة قام بتوزيعها على كثيرين عاد إلى الحرب القائمة بين إسرائيل والفلسطينيين فى جبل جلبوع ويزرعيل .

ضرب الفلسطينيون أبناء شاول الثلاثة : يوناثان وأبيناداب وملكيشوع (١ صم ٣١ : ٢) .

لقد خابت كل حسابات شاول البشرية وتحققت حسابات داود الإيمانية . بحسب حسابات شاول كان لابد لداود أن يُقتل حتى لا يغتصب المملكة بعد موته من ابنه يوناثان (١ صم ٢٠ : ٣١) ، وها هو يوناثان الجبار وأخواه يموتان أمام عينى شاول بينما حُفظ داود بعيداً ليستلم المُلك . طرد شاول داود من وطنه خلال حسده الشرير ولم يدرك أنه بهذا حفظه بعيداً حتى يموت هو وبنوه لينال داود الملك من بعده .

أما حسابات داود الإيمانية فهى أنه لا يمد يده على مسيح الرب ، وإنما كما قال : « الرب سوف يضربه أو يأتى يومه فيموت أو ينزل إلى الحرب ويهلك » ١ صم ٢٦ : ١٠ . وقد جاء اليوم الذى فيه ضربه الرب ضربة قاضية ، جاء يوم يموت وقد نزل إلى الحرب وهلك بيد أعدائه الذين ضربوه بالرمح كما قتل نفسه إذ أمسك بسيفه وألقى بنفسه ... ليتنا نترك أمورنا فى يد الله مؤمنين بعمله معنا !

٢ـ إصابة شاول وموته

ركز الفلسطينيون ضرباتهم على الملك شاول (١ صم ٣١ : ٣) حتى متى سقط يسقط الجيش كله (١ مل ٢٢ : ٣١) . ضربه الرماة بالرماح فانجرح ، وإذ شعر بالخطر طلب من حامل سلاحه أن يقتله بالسيف حتى لا يطعنه الغلف ويُقَبِّحونه [ربما خشى أن يهزأوا به كما فعلوا بشمشون إذ قلعوا عينيه وأوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن فى بيت السجن ، كما جاءوا به إلى بيت إلههم داجون ليلعب أمام ثلاثة آلاف من الرجال والنساء وهم يسخرون به (قض ١٦ : ٢١ ، ٢٥)] . إذ خاف حامل السلاح جداً واختشى من سيده ، أخذ شاول السيف وسقط عليه . ولما رأى حامل السلاح ذلك سقط هو أيضا على سلاحه ومات . بحسب التقليد اليهودى حامل السلاح هو دواغ الذى قتل كهنة نوب (١ صم ٢٢ : ١٨ ، ١٩) .

مات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله (١ صم ٣١ : ٦) أى حرسه الخاص ، أما ابنه اشبوشث العاجز عن العمل ورئيس جيشه أبنير فلم يموتا ... الأمر الذى سبب هزيمة مُرة لإسرائيل ، فترك الإسرائيليون الذين فى عبر الوادى [شمال وادى يزرعيل أى أسباط نفتالى وزبولون ويساكر] وفى عبر الأردن [أى شرقى الأردن] المدن ، فجاء الفلسطينيون وسكنوها .

٣ـ سكان يابيش يأخذون أجساد شاول وبنيه

جاء الفلسطينيون إلى أرض المعركة لسلب الثياب الثمينة والأسلحة وكل ذى قيمة التى للقتلى ، فوجدوا شاول وبنيه ساقطين فى جبل جلبوع ، فقطعوا رأس شاول ونزعوا سلاحه وبعثوا رسلاً إلى كل بلادهم يبشرون بموته ، ناسبين النصرة لأصنامهم ، لذا وضعوا سلاحه فى بيت عشتاروت . [ربما الهيكل الذى فى أشقلون كما جاء فى هيرودت] .

سمر الفلسطينيون جسد شاول وبنيه على سور بيت شأن ، وهى مدينة بيسان الحالية وتبعد حوالى خمسة أميال غربى نهر الأردن . دُعيت سكيثوبوليس بعد السبى ، تعتبر عاصمة المدن العشر .

رد أهل يابيش جلعاد الجميل لشاول الذى أنقذهم من يد ناحاش العمونى حين طلب منهم ناحاش أن يقطع لهم عهداً ويستعبدهم بشرط تقوير كل عين يمنى لهم ليكون ذلك عاراً لهم (١١ : ١ ، ٢) . الآن إذ خلصهم شاول (١١ : ١١) شعروا بالدين نحوه . لم يقبلوا أن يتركوا جسده وأجساد بنيه معلقة على سور بيت شان فى مهانة ، إنما قام كل ذى بأس وساروا الليل كله حتى جاءوا بالأجساد ودفنوها فى يابيش تحت الأثلة ، وصاموا سبعة أيام .

+ + +

أُفتتح هذا السفر بميلاد صموئيل الذى جاء هبة إلهية لا لحنة أمه فقط وإنما للشعب كله بكونه ثمرة صلوات ودموع وتقوى أمه ليكون بركة لشعبه ، عمل ولا زال يعمل بصلواته لحساب ملكوت الله . وخُتم السفر بانتحار شاول وقطع رأسه ، هذا الذى اختير حسب مشورة الشعب البشرية كأطول رجل بينهم ليحميهم من الأعداء ، انتهت حياته فى عار وخزى وقُطعت رأسه بيد أعدائه . حقاً ما أبعد الفارق بين تدبير الله والتدبير الإنسانى البحت !

+ + +

الملاحظـــات

مقدمة فى سفر صموئيل الأول

1 - Nelson: A New Catholic Commentary on Holy Scripture, 1969, p 308.
2 - The New Westminster Dictionary of the Bible, 1969, p 828. J.L. Mckenzie: Dictionary of the Bible, 1972, p 767.
3- Oesterley and Robinson: An Introduction to the Books of the Old Testament, SPCK 1961, p 85.
4 - The Talmud (Baba Bathra 15 a).
5 - J. Hastings: Dictionary of the Bible, N.Y. 1963, p 884.

٦ــ قاموس الكتاب المقدس ، ١٩٧١ ، ص ٥٤٤ .

7 - Layman: Interpreter's One Volume Commentary on the Bible, 1980, p 1085.
8 - New Westminister Dict. of the Bible, p 831.
9 - Welhausen, Cornill, Budde, Kittel and Sellin.
10- Interpreter's One Volume Commentary, p 1085.
11- Eissfeldt.
12- Introduction to the Old Testament, p 87-88.
13- cf. J. H. Raven: Old Testament Introduction, 1910, p 166. Driver: Notes on the Test of Samuel, Oxford 1890, p 173.

١٤ــ د. فرنسيس داندس : تفسير الكتاب المقدس ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ .

15- Raven, p 167.

الأصحاح الأول

1 - -The Westminster Dict. of the Bible, p 792, 791.
2 - Nelson: New Catholic Commentary..., p 308.
3 - Stromata 6:12, 7:7
4 - Treatise 4:5.
5 - In Matt. hom 19.
6 - In Eph. hom 24.
7 - In Matt. hom 6.
8 - In Eph. hom 24.
9 - On Prayer 13:3.
10- Scripture Union: Bible Study Books, books 2, p 48.
11- In Eph. hom 21, 24.
12- J.H. Raven: O.T. Introd., 1910, p 168.

الأصحاح الثانى

13- Nelson: New Catholic Commentary, p 309.
14- Ibid.
15- St. Chrysostom: In Matt. hom 61.
16- Treatise 12:19.
17- On Ps. hom 20.

18- On Ps. 21.
19- St. Cassian: Conf. 3:15.
20- Against Eunomius 3:6.
21- On John. hom. 50:1.
22- Concerning Repentance 1:40.
23- Treatise 10-15.
24- In Rom. hom. 8.
25- In 1 Tim. hom 4.
26- In 2 Tim. hom 2.
27- Frag. from Comm. on Daniel 2:14.

الأصحاح الثالث

28- Nelson: A New Catholic Commentary, p 309.
29- Stromata 2:10; 7:10.
30- Ibid 6:8.
31- Ladder, Step 4:1.

٣٢ــ الحب الرعوى ، ١٩٦٥ ، ص ٦٨ .
٣٣ــ المرجع السابق ، ص ٧٠ .

34- Cassian: Conf. 2:14.
35- Apo. Poemen 54. PG 65:333-6.
36- On the need for Consultation.

٣٧ــ الحب الرعوى ، ص ٦٨ .
٣٨ــ الحب الرعوى ، ص ٧١ .
٣٩ــ الحب الرعوى ، ص ١٥ .
٤٠ــ الحب الرعوى ، ص ١٧ .

الأصحاح الرابع

41- McKenzie: Dict. of the Bible, p 38.
42- On Ps. 78 (32).
43- Ibid 78 (33).
44- On Ps. 66.
45- Nelson: A New Catholic Comm., p 310.

الأصحاح الخامس

46- Serm. on the N.T. Lessons 3:7.
47- Strong's Exhaustive Concordance of the Bible, article 1712.
48- McKenzie: Dict. of the Bible, p 168.
49- Strong's Exh. Concordance of the Bible, art. 795.
50- Ibid, art. 1660.
51- McKenzie. p 224.

الأصحاح السادس

52- In Matt. hom. 6.
53- On Prayer 25:3.
54- Dial. with Trypho.

55- Nelson: A New Catholic Comm. p 310.
56- Strong's Exh. Concordance..., art. 7157

الأصحاح السابع

57- Nelson: A New Catholic Comm. p 310.
58- Strong's Exh. Concordance..., art. 41.
59- In Ep. Rom. hom 19.

٦٠ــ الحب والعطاء ، ١٩٧٠ ، ص ٢٧ .

61- Strong's Exh. Concordance..., art. 499.
62- McKenzie: Dict. of the Bible, p 72.
61- Strong's Exh. Concordance..., art. 4709.
62- On Priesthood 6:4.

الأصحاح الثامن

٦٣ــ الحب الرعوى ، ١٩٦٥ ، ص ٣٠ .
٦٤ــ المرجع السابق ، ص ٥٣ .

الأصحاح التاسع

65- On Ps. 18 (1).
66- Ep. 159:1.
67- Strom. 7:13.
68- Strong's Exh. Concordance, artic. 8031.
69- Ibid, 8171.
70- Nelson: A New Catholic Comm. p 311.

الأصحاح العاشر

71- A.N. Frs, vol 7, p 531.
72- De Principiis 1:1:3; Comm. Rom. 1:5; 9:24; Comm. John 32:7.
73- Paed, 1:6,
74- De Prin. 2:6.
75- The Ascetical Homilies, 64.

الأصحاح الحادى عشر

76- Nelson: A New Catholic Comm., p 312.
77- cf. Our Lord's Sermon on the Mount, 1:13 (37).
78- Strong's Exh. Concordance, art. 1568.

٧٩ــ قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٦٤ .

80- Strong's Exh. Concordance, art. 3002.

٨١ــ الحب الرعوى ، ص ٢١٨ــ٢٢١ .

الأصحاح الثانى عشر

82- In 2 Cor. hom 24.

٨٣ــ الحب الرعوى ، ص ١٧٠ ؛ In Eph. PG 62: 150

84- On Priesthood 6:4.

٨٥ــ للمؤلف ــ القديس يوحنا الذهبى الفم ، ١٩٨١ ، ص ٣ــ١٨٢ .

الأصحاح الثالث عشر

86- Strong's Exh. Concordance, art. 4363.
86- Ascetical hom. 51, 62.
88- Const. of the Holy Apostles 2:4:27.
89- Ibid 8:5.
90- Commentary on an Easter Hymn of St. Greg. Nazian.
91- Treat. 9:13.
92- On self-accusation.
93- City of God 17:6.
94- Ibid 17:7.

الأصحاح الرابع عشر

95- On Ps. 137.
96- Ascetic Hom. 64.

الأصحاح الخامس عشر

97- Unger's Bible Dict., 1966, p 1074.
98- Ibid 627.
99- Ibid 459.
100- Ibid 1022.

١٠١ــ الحب الرعوى ، ص ٦٠٧ .
١٠٢ــ المرجع السابق .
١٠٣ــ المرجع السابق .

104 In Acts hom. 3, 44.
105- ad Haer. 4:17:1.
106- St. Cassian: Conf. 2:2, 3.
107- Answer to Eunomius' second book. N.P. Frs, series 2, vol 5, p 293.

الأصحاح السادس عشر

108- In Matt. hom 5.
109- Paed. 3:2.
110- cf. St. Jerome: On Ps. hom. 3.
111- Nelson: A New Catholic Comm., p 314.
112- On Ps. 78 (9).
113- On John, book 10:5.
114- ad Serapion 1:22, 23.
115- On the Spirit, ch 26 (61).
116- In Matt. book 2.

الأصحاح السابع عشر

117- Unger's Bible Dict., p 1034.
118- Ibid, 315.
119- Caesarius of Arles: Serm. 121: 1,2.
120- Ibid 121:3-8.
121- Duties of the Clergy 1:35: 177.
122- Ibid 2:78:32, 33.

الأصحاح الثامن عشر

123- On Ps. 125.

١٢٤ــ للمؤلف : الحب الاخوى ، ١٩٦٤ ، ص ٤٦٥ .

١٢٥ــ المرجع السابق ، ص ٤٦٧ .

١٢٦ــ المرجع السابق ، ص ٤٦٧ .

١٢٧ــ المرجع السابق ، ص ٤٦٨ .

128- Const. of the Holy Apostles 7:1.

١٢٩ــ الحب الأخوى ، ص ٣٩٧ــ٣٩٨ .

١٣٠ــ الحب الأخوى ، ص ٣٩٩ .

١٣١ــ الحب الأخوى ، ص ٤٠٠ .

الأصحاح التاسع عشر

132- Serm. on N.T. Lessons 27:3; In 1 Tim. Rom. 8.
133- In 1 John hom. 7.
134- On Ps. 59 (1).

الأصحاح العشرون

١٣٥ــ القمص بيشوى كامل : تأملات فى المزامير ، مز ٧ .

136- On Ps. 7.
137- On Ps. 7.
138- In 1 Cor. hom 33.

١٣٩ــ الحب الأخوى ، ١٩٦٤ ، ص ٣١٥ .

١٤٠ــ الحب الأخوى ، ص ٣١٧ .

١٤١ــ الحب الأخوى ، ص ٣٢٠ .

الأصحاح الحادى والعشرون

١٤٢ــ عظة ٢٢ على انجيل لوقا .

١٤٣ــ راجع تفسيرنا لانجيل متى ، ص ٢٦٨ .

144- On Ps. 52.
145- On Ps. 56.
146- On Ps. 34.

الأصحاح الثانى والعشرون

147- Westminster Dict. of the Bible, p 18.
148- On Ps. 57.
149- On Ps. hom. 52.
150- In Acts. PG 60:302.
151- In Ps. PG 55:317.

١٥٢ــ الحب الرعوى ، ص ٦٧٨ .

153- On Renunciation.

الأصحاح الثالث والعشرون

154- Westminster Dict. of the Bible, p 534.
155- Strong's Exh. Concordance of the Bible, article 7084.
156- On Priesthood 6:4.
157- Westminster Dict. of the Bible, p 1025.
158- On Ps. 54.

١٥٩ـ كتاب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ، سفر صموئيل الأول ، ص ١١٠ .
١٦٠ـ قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٥٢ .

الأصحاح الرابع والعشرون

١٦١ـ كتاب السنن القويم ... ص ١١٣ .

162- City of God 17:6.
163- On Humility.
164- In Matt. hom 3.
165- Duties of the Clergy 3:9 (60).

الأصحاح الخامس والعشرون

166- de Principiis 2:7:3.
167- De Principiis 2:7:4.
168- Sel Ps. 43:3.
169- Stromata 5:1.
170- On Refusal to Judge our Neighbor.
171- Cassian: Conf. 17:25.
172- Maxims on the Spiritual Life, 1, 12, 19.
173- Duties of the Clergy 1:21:94.

الأصحاح السادس والعشرون

١٧٤ـ كتاب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ، ص ١٢٢ .

175- Westminster Dict. of the Bible, p 6.
176- PG 45:1017 D.
177- In Acts hom 17.
178- Hymns on the Nativity 1.
179- On Ps. hom 3.

الأصحاح السابع والعشرون

180- On Ps. 56.
181- : From Glory to Glory, N.Y. 1977. ch. 1:10.
182- New Westminster Dict. of the Bible, p 1024.
183- Matthew Henery: Comm. on the Whole Bible, 1963, p 321
184- New Westminster Dict., p 456.
185- Ibid, p 534.

الأصحاح الثامن والعشرون

١٨٦ــ كتاب السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ، ص ١٢٨ .
قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٦٢ .

187- Westminster Dict. of the Bible, p 877.
188- Ibid, art. Gilboa, p
189- In Matt. hom. 86.
190- Ibid 62.
191- Frag. from Comm. A N Frs. vol. 5, p 169.
192- A Treatise on the Soul, 57.

الأصحاح الثلاثون

193- Strong's Exh. Concordance, art. 293. قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٦.
194- Ibid art. 26.
195- Westminster Dict. of the Bible, p 113.. قاموس الكتاب المقدس ، ص ٢٠١
196- Ibid 791.
197- Ibid 448.
198- Ibid, p 65.
199- Ibid, p 887.
200- Ibid, p 277.
201- Ibid, p 789.
202- Ibid, p 404.
203- Ibid, 68.

قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٩٢ .
قاموس الكتاب المقدس ، ص ١٠٥٣ .
قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦١٩ .
قاموس الكتاب المقدس ، ص ٤٧٠ .
قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٩٠ .

صدر عن هذه السلسلة

العهد الجديد:

١. متى
٢. مرقس
٣. لوقا
٤. رومية
٥. غلاطية
٦. أفسس
٧. تسالونيكى الأولى
٨. تسالونيكى الثانية
٩. تيموثاوس الأولى
١٠. تيموثاوس الثانية
١١. تيطس
١٢. فليمون
١٣. العبرانيين
١٤. يعقوب
١٥. بطرس الأولى
١٦. بطرس الثانية
١٧. رسائل يوحنا الرسول
١٨. رسائل يهوذا
١٩. رؤيا يوحنا اللاهوتى

أسفار العهد القديم:

١. التكوين
٢. الخروج
٣. اللاويين
٤. العدد
٥. التثنية
٦. يشوع
٧. القضاة
٨. راعوث
٩. صموئيل الأول
١٠. صموئيل الثانى
١١. ملوك الأول
١٢. أستير
١٣. المزامير
١٤. الأمثال
١٥. الجامعة
١٦. نشيد الأناشيد
١٧. أشعياء
١٨. ارميا
١٩. حزقيال
٢٠. دانيال
٢١. هوشع
٢٢. يوئيل
٢٣. عاموس
٢٤. عوبديا
٢٥. يونان
٢٦. حبقوق
٢٧. حجى
٢٨. زكريا

يطلب من:

كنيسة مارجرجس أسبورتنج ـ الإبراهيمية ـ الإسكندرية.
كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس ـ سيدى بشر ـ الإسكندرية.
مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس ـ العباسية ـ القاهرة.

الثمن ٢٥٠ قرش